١٤٤٠١

بازرسی شد
٢٧ - ١۶

بازدید شد
١٣٨٢

ن-٨٨٩٩
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب الکشاف عن حقائق التنزیل جلد ٢
مؤلف زمخشری (جارالله - محمود بن عمر)
موضوع
شماره ثبت کتاب
٨۵٣٣۵
١١٨١۴
شماره قفسه
ف
٩٠٢٠

خطی، فهرست شده
٩٠٢٠

مصطفی پاشازاده محمد بیک حضرتلرینکدر

هذا کتاب کشاف تفاسیر شریفه‌دندر نصف ثانیدر   ق ۳۲۹   س ۲۷

ان التفاسیر فی الدنیا بلا عدد
ولیس یوجد فیها مثل کشاف

ان کنت ذا بصر فالزم قراءته
فالجهل کالداء والکشاف کالشافی

مفسر کشافدن

[illegible]

کتابخانه [illegible]
جعفر سلطان [illegible]
تبریز ۱۳۴۵

مریم ۲	طه ۱۳	انبیآ ۲۷	حج ۳۸	مؤمنین ۴۸	نور ۵۷	فرقان ۷۲	شعرآء ۸۲
نمل ۹۰	قصص ۱۰۵	عنکبوت ۱۲۲	روم ۱۲۹	لقمان ۱۳۵	سجده ۱۴۰	احزاب ۱۴۳	
سبا ۱۵۷	ملائکه ۱۶۶	یس ۱۷۳	صافات ۱۸۱	القطعة الرابعة	ص ۱۹۳	زمر ۲۰۳	مؤمن ۲۱۴
فصلت سجده ۲۲۴	شوری ۲۳۰	زخرف ۲۳۲	دخان ۲۴۵	جاثیه ۲۴۸	احقاف ۲۵۱	محمد ۲۵۶	فتح ۲۶۰
حجرات ۲۶۵	ق ۲۷۳	ذاریات ۲۷۶	طور ۲۷۹	نجم ۲۸۱	قمر ۲۸۵	رحمن ۲۸۷	واقعه ۲۹۰
حدید ۲۹۴	مجادله ۲۹۸	حشر ۳۰۱	ممتحنه ۳۰۴	صف ۳۰۸	جمعه ۳۰۸	منافقین ۳۱۰	تغابن ۳۱۲
طلاق ۳۱۴	تحریم ۳۱۷	ملک ۳۲۰	ن ۳۲۳	الحاقه ۳۲۶	معارج ۳۲۹	نوح ۳۳۱	سورة الجن ۳۳۳
مزمل ۳۳۷	مدثر ۳۳۹	قیمه ۳۴۳	انسان ۳۴۵	مرسلات ۳۴۸	نبأ ۳۴۹	نازعات ۳۵۲	عبس ۳۵۴
تکویر ۳۵۵	فطرت ۳۵۷	مطففین ۳۵۸	انشقت ۳۵۸	بروج ۳۵۹	طارق ۳۶۱	سبح اسم ربک الاعلی ۳۶۱	غاشیه ۳۶۲
فجر ۳۶۳	لا اقسم بلد ۳۶۶	اذا الشمس ۳۶۷	واللیل ۳۶۷	والضحی ۳۶۸	الم نشرح لک ۳۶۹	والتین ۳۷۰	علق ۳۷۱
قدر ۳۷۲	لم یکن ۳۷۲	زلزال ۳۷۲	عادیات ۳۷۳	قارعه ۳۷۴	تکاثر ۳۷۴	عصر ۳۷۴	همزه ۳۷۴
فیل ۳۷۴	لایلاف ۳۷۵	ارایت ۳۷۵	کوثر ۳۷۶				

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه
نداء خفيا كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء قراءة حمزة وبكسرهما عاصم وبفتحهما الحسن وقرأ الحسن
ذكر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الأمر راعى سنة الله في إخفاء دعوته
لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص عن
الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر والشيخوخة أو أسره من الموالي
الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات
اختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون
قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وقرئ وهن بالحركات
الثلاث وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه
أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية و
قصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان
قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها أدغم السين في الشين أبو عمرو شبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار
ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا
ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل
إليه بما سلف له من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا فقال مرحبا
بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك
كانوا مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا
الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي
بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى
الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الأمر
من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين خفّت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما

أن يكون ورائي بمعنى خلفي بعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم
ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني أن يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا إلى الله وصادرا من
عنده وإلا فهب لي وليا يرثني كاف أو لأنه أراد اختراعا منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة يرثني
ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يرثني ويرث بالجزم أبو عمرو وعلي جواب الدعاء والرفع صفة نحو ردءا
يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري أو يرث على تصغير وارث و
قال غلام صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان و
المراد بالإرث إرث الشرع والعلم لأن الأنبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من
آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان ومن للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا
كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو
زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الأسامي الشنع جديرة
بالأثرة وإياها كانت العرب تنحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل
في مدح قوم شنع الأسامي مسبلي أزر حمر تمس الأرض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن
نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وإنما
قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي
لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت بن
المزرع قالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان
حصورا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أي كانت على صفة العقر
حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين فحين اختل السببان جميعا أُرزق فمن أين وإنما قال
أو طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت نهاية ما
أجيب به قرة أذان الوسوسة إيقانا ليدفع المبطلون وإلا فمعتقد زكريا أولا وآخرا كان على منهاج واحد في
أن الله غني عن الأسباب أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال
عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا
عِتيا حمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وأبي ومجاهد عسيا
قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كذلك الكاف رفع أي الأمر
كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه و

وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على
الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو علي ذلك يهون علي او على وجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من
وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القرائتين اي قال هو علي هين قال او هو علي هين فان
لم يتوسط لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا
معتدا به كقولهم عجبت من لا شيء ... اذا ... وقرأ الاعمش والكسائي خلقناك
قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما
بشرتني به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل
ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن **فخرج على قومه**
من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا اومأ اشار عن مجاهد وتشهد له الآية رمزا وعن ابن عباس
كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم**
صبيا اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم قتادة الحكم
فعال الحكم حكما الحكم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب
فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه ونبأه
وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا حنانا رحمة لابويه و
غيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه فقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل
حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم
على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم **وسلام عليه**
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة لانها اوحش المواطن
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقوع هذه القصة العجيبة فيه
والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة
عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد
فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك في
صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا
او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا
لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله

روحنا

من تلك الصورة الحسنة التي اعجبها الحسن وكان تمثله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبر لعفتها وقيل كانت في منزل
زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة
في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين
يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ
مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا
كما تقول لحبيبك انت روحي وقرأ ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح
عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم
الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اردت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالا
ستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين **قال انما انا رسول ربك لاهب**
لك غلاما زكيا اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي
بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقول الله تعالى **قالت انى يكون لي غلام ولم**
يمسسني بشر ولم اك بغيا جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن
او لمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه
الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر **قال كذلك قال ربك**
هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ولنجعله تعليل معلله محذوف اي
ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله
السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث
مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقيا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة
والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة
الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا**
عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة
الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من
يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل
بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو
في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن

اي ذهبت وهو في بطنها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل
قيل كانت سمية لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق
حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها المخاض الى جذع
النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير
بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقرئ المخاض بالكسر يقال
مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وكان جذع نخلة يابسة في صحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان
يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند
الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه
الشجرة خاصة كان الله تعالى لما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة
لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها
لها والجاها اليها وقرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات المنسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة
الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا
عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا
يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك
لما لحقها من فرط الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة
التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية
الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل شريف
تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه او لخوفها
على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمزة
وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة و
المنخر فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبلها كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم
وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها
لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في

مخضت الحامل [illegible] اذا ضربها الطلق [illegible]

تحتها النخلة [illegible] سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال
لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن
كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة
والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما
الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط
بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة
وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر
ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب
فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي و
وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد فكلي و
اشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
وقرئ ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة
وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا
انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله
بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها
الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب
ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق
انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت
هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا الفري البديع وهو من فري الجلد هرون
كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة بينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي
كانت من اولاده وانما قيل يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها
شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع

ورد قال لبيد اي توسطا العير والاتان المذكوران قبل [illegible]

جنانه ان يعرفوا انه كلام يشبه هرون بن بركاته وبانه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا او رهط هرون اخي موسى
كان ابوك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها
ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم
اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه قالوا كيف
نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما
كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل
كان المستنطق لعيسى زكريا صلوات الله عليهما وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد
علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار
بسبابته وكلمهم بما ذكر ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وكان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم
يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر
وهو ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان
حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل
اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه
او يجعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت وقيل
معلما للخير وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل
في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله في قوله وسلام عليه كانه قال وذلك
السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا
التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال
وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان
العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى ابن
مريم قول الحق الذي فيه يمترون قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق
وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في
معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ونصبه
على المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك
هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قال لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله
كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد به

التي بمعنى ان يكون الحق اسم الله تعالى وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون
اي في امره يحقق ثم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون فقالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق
الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
تكذيب للنصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه بانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول لمن يعبده
عليه اذ من المحال عليه المستقيم ان يكون ذاته كذات من يشابهه الى ان ... ذلك بان من اذا اراد
شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان اراده
يتحقق تحقيقا كونه لا محالة من غير توقف تشبيها لذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وان الله ربي و
ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرأ الكوفيون وابن عامر بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه وكقوله
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل ... والاشارة وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر
بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية
وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي
من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من
شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء
الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير
بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع
قلوبهم اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانه لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ
قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة
او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم على هذه الحال غافلين غير
مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يعني لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك او نميتهم ونخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم
ويفني الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك
صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك

عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه
وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل
أي كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا
في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت
اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم وإذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق
إذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات و
المراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم
وإلا فالله تعالى هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا أبت عوض من ياء الإضافة ولا يقال يا أبتي لئلا
يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض
الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم
والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف
رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين و
الأدب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه تعالى حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن
كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه طلب
أولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حيا مميزا سميعا
بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة و
وصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة
والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون
وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب
الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا
ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد
ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا
أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك
وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية
دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى

الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو
أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت
النظر عابد الشيطان إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من
جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم
وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره
ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب
لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان
ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه
الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية
الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح
الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في ما لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به
استماع ولا إبصار وشيئا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيئا من الغناء ويجوز أن
يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك قد جاءني فيه
تجدد العلم عنده لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة
العجيبة مع تلك الملاطفات قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني
مليا أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر
على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإ
نكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم
المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا
طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا
إذا كان مطيقا له مضطلعا به فإن قلت علام عطف واهجرني مليا قلت على معطوف عليه محذوف يدل
عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع قال سلام عليك سأستغفر لك ربي
إنه كان بي حفيا سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا
نبتغي الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له و
الحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار فإن قلت
كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر

والنواهي الشرعية على الكفار والمراد استطراد الآيات ومكاتبة الحادث والعقيدين بالسلسلة كما ذكره ويطلق
اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان
يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وللقائل
ان يقول النهي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد
بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدلك على صحته قوله تعالى الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما
عن موعدة وعدها اياه قالوا الواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك
وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى **واعتزلكم**
وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي ابدا بالاعتزال المهاجرة الى
الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة
ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض
بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم
النفس **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا** ما خسر
على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء **ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا**
لهم لسان صدق عليا هو من رحمتنا النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني و
دنياوي اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته
واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال الله تعالى ملة ابيكم
ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم
واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا** المخلص بالكسر
الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول
الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله تعالى وان لم يكن معه كتاب كيوشع **وناديناه من جانب**
الطور الايمن وقربناه نجيا الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او الجانب شبهه
بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صرير القلم الذي
كتبت به التورية **ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا** من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترحمنا عليه وهبنا
له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان
كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن

ابن عباس رضي الله عنهما **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ذكر اسمعيل
عليه الصلوة بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم و
الاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا
انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم
من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا
عن الاقارب والمتصلين وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك **واذكر في الكتاب ادريس انه**
كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ
وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات و
يجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف
النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه رفع الى
السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة
الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا و
انا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة **اولئك**
الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل
وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اولئك اشارة الى المذكورين في
السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان
ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح و
اسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من
ذريته ومن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا
تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث

عن حقيقي مع وجود الفاصل الذي مع باكٍ كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا
بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن
فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا ينبغي ان يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وفي سجدة سبحان قال
اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين
الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك **فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات**
فسوف يلقون غيا خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون
كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد اضاعوها بالتأخير ويؤيد الاول قوله
الا من تاب وآمن فانه يقتضي الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند
العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج
جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه
اوديتها وقرئ يلقون **الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون**
شيئا وقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بان الايمان
يهدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك ما طلبك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا ينقصون البتة اي شيئا
من الظلم **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا** لما كانت الجنة مشتملة على
جنات عدن اي اقامة ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة
كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعانيها في الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العلم لذلك او هو
علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة
ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي بعدها وهي غائبة عنهم
او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به وقيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل
والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا **لا يسمعون**
فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه
ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا

باللغو

باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا
فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او لا يسمعون
فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة
ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الكلام
لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى
ويتعشى وهي عادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد
غداء وعشاء وقيل المراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين **تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا** نورثه وقرئ نورّث استعارة اي نبقي
عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها
باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقويم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا **وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما**
بين ذلك وما كان ربك نسيا وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى
اذ احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر
كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل
جبريل قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال اني كنت اشوق ولكني عبد
مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله هذه الآية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى
النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع
نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في
الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات
والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو
الحافظ لما لا يخل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا
ان نتقلب في ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما
يستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها
والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي
وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف
نقدم على فعل بحضرته الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا

وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر واما احتباس
الوحي فلم يكن عن تركه الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها
السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم
وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت
السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل
واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي
وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجوز ان يكون الخلاف في التنزل مثله في التنزي رب السموات والارض وما
بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون
خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر
بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي
اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا
يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين
بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام
من الهمزة فمخصوص به المعبود بالحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم
من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا و
شبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها وتكاليفها ويقول الانسان ااذا ما مت لسوف اخرج حيا يجوز ان يراد بالانسان الجنس باسره
وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه
المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل
منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى
بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه
باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء
الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد
كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا
احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج

من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج
حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج حيا وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن
مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة
ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه اولا يذكر الانسان انا
خلقناه من قبل ولم يك شيئا الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف
العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على
قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار
الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت
حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء
الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل
على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا تفاوت في قدرته
الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد
البعث بذلك دفعا في بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر
وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه فوربك لنحشرنهم
والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسوله
صلى الله عليه وسلم تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله فورب السماء
والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم
يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد
بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر
جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة
فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر
واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم
فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان
بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة
على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية
على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز

والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي كانوا لا يطيقون معها القيام
على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا فان قلنا بالعموم فالمعنى انهم يتقاودون من عند موقفهم الى شاطئ جهنم على
حال معدة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا المراد
بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم
فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى
بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين و
دركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم
ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب
وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض
من كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن
مسلم الهراء استاذ الفراء **فان قلت** بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدر لا سبيل اليه **قلت** هما للبيان
لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو
اولى بكذا **وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا** وان منكم التفات الى الانسان يعضده
قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى
الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروي
دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة
الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه
انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر
ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها
واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط
لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين و
وردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في
الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد

بالورود

بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي الموجب
بالمصدر كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا
يكون غيره **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** قرئ ننجي وينجي وننجى وينجى على ما لم يسم
فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون
الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري و
ابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها و
ان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات**
قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات
المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا
او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك
ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا
الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين
بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة
ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالثياب الفاخرة ثم يدعون مفتخرين
على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا** كم مفعول
اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن
في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد
بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ورئيا على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت
وريئا على القلب كقولهم راء في راي وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة و
الترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رييا بحذف الهمزة
والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة
والمعنى احسن من هؤلاء **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له
في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير

الضلالة ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته حتى اذا راوا ما
يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في هذه الآية
وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا
يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال
فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما
واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة
ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها
والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي
تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر
مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي
المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه
واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا
وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم
ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله
شجعاء جربها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا
وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في
الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه
في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها
استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضا بقصة هذا

الكافر

الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع
الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار
هذه الكلمة شأن يقول اوقد بلغ من عظمة شأنه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار و
المعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من
عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في اسد او بمعنى الولد
كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح
قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في
الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال
لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاني اذا مت بعثت قلت
نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر
فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا و
ولدا حينئذ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا كلا ردع وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما
يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من
غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة
والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان و
استأخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار
المستهزؤن او نزيد من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن
ابي طالب ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به
غضبه ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة و
نعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي
فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى
على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه
ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى
فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين
ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته
لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله

اشرفن الوادي ... مطلع ...
... مطلع الجبل مصعده ...

ولم تجدي من ان تقري بها بدا ...
... حر

ولم نؤته ما تمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا في يديه الا تراك
حال بعضده عن فاد خلفها خالصين لانه يعيره سوابقه في اتيانه فرد احين يأتي ثم فينا ما فيه
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا
ينجونهم من العذاب كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا
مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا
ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا
والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون
قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم
تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل و
الهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم
عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته
لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء
واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا
بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعدائهم
ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل
عليهم انما نعد لهم عدا الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي
وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل
واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد
وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا
استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض
بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها
الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق
اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد

ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان
يكون منصوبا بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم
ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة
واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة
الورد المسير الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ
الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين
والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه
في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا
شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا
وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك
باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من
الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا
قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله
عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا
المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادا تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا يكاد قراءة
الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر
الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قلت ما معنى
انفطار السماوات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان
احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسماوات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني

علي من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة علي الله والتعرض لسخطه وتنبيه علي عظم ما قالوه في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها اما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبني وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من

وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن صح

ويلتجيء

هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وترى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء او قلبت الفا في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في

خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكشاف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعدادا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه كان صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط **فان قلت** اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم **قلت** بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها **فان قلت** هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى **قلت** لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية **تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى** في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له **فان قلت** ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب **قلت** غير واحدة منها عادة

انزلناه تذكرة

نظر ص ١٢

الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ووصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها **الرحمن على العرش استوى** قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق **فان قلت** الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح **قلت** اذا جررته فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعته جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك **فان قلت** كيف طابق الجزاء الشرط **قلت** معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر **الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى** الحسنى تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن **وهل اتاك حديث موسى** قفاه بقصة موسى عليه السلم ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود **اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى** يجوز

أن يقتصا ظرف للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعول لاذكر قيل انه استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققها لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به بقبس نار مقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من شعفة ونحوها هدى اي قوما يهدوني الطريق او ينفعوني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق **فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى** قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وتكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثمة طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالتنوين والكسر منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى**

اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فيها ان اعبد وتصلي لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا او كان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها بناء على قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد واكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلاة **فان قلت** العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود **قلت** فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل كن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه وفيه ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله **وما تلك بيمينك يا موسى قال هي**

عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ما تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في
انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز
تعالى في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه و
المقلوب إليه وتنبيهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول
زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة
وأنيق السرد وقرأ ابن أبي إسحاق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ الذي أكثر ما قبل ياء التكلم فلم يقدروا
عليه فقلبوها إلا إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصايِ بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخيّ
وعن ابن أبي إسحاق سكون الياء أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة
أهش الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة
نجيب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونجيب واد قريب من الطائف كثير السدر
وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي
أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب
هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما ينفع العيدان
ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد تعالى أن يعدد المرافق الكثيرة
التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقبه تلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت
عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل
بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه
وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا
طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته
من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها
الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات
أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا ويكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت
عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها
فينبع الماء وإذا رفعها نضبت وكانت تقيه الهوام قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى السعي
المشي بسرعة وخفة حركة فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت أما الحية فاسم
جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من
الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة

ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في شخص
الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس
وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى لما رأى ذلك الأمر العجيب
الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع
الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له
ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة
من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين
ويجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو
أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت
بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى
يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم يدك إلى
جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي
العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند
الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص
كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب
وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز
للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس
تغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصبه
وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام عليه وقد تعلق بهذا
المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى
أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي
لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و
صدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من
الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو
خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فإن قلت لي في

اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستقيم **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقيل
اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح و
التيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى
الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان
يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد
بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني
لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني
انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة
كانه قيل عقدة من عقد لساني **واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري**
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا الوزير من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره
ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي
قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولك
عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز
ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة ووزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية
بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او
جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه
على الجواب وفي مصحف ابن مسعود واخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري و
يجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به ازري خبره ويوقف على هرون
الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون
لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا **قال قد اوتيت سؤلك**
يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على
عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا
تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز

بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول **الوحي** الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى
الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها
كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة
دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان
الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة
الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم **فان قلت**
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى
في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي
وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم
الوصول الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع
الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه و
جصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة
مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره و
قذفه ثمة فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم
اداه النهر الى حيث البركة مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها
انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي انه كانت على وجهه مسحة جمال
وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما
يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن
مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ويرأم ونحوه او حذف معلله
اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع
بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان
يكون بدلا من اذ اوحينا **فان قلت** كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان **قلت** كما يصح وان اتسع الوقت
وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها
وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها

فذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها وروي ان آسية استوهبته من
فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع ه هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي
قتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له
باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ذهب منه الى مدين مهاجرا الى
مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة
على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال سعيد بن
جبير ابن عباس رضي الله عنهما عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ه ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين و
ضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولعله
المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت
سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى مدين على ثماني مراحل من مصر عن وهب لبث عند
شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين اي جئت في قضائي وقدري ان اكلمك
واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على
مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو على راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم
والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه
اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه ولا
يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع
اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون
والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم
الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقرئ لينا بالتخفيف والقول اللين مثل قوله تعالى هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عده شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل
لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل
كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما

وطمعكما

ع

وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد
باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من
نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا ربنا اننا نخاف ان
يفرط علينا او ان يطغى يسبق ويتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي
نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادر بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان
يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حب الرياسة
او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قوم فرعون وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط
من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم
يعاجلنا بناء على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك و
قسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال
لا تخافا انني معكما اسمع وارى معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل
فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فيجوز ان يقدر اقوالكم وافعالكم ويجوز ان لا يقدر شيء فكانه قيل انا
حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وحصلت النصرة وذهبت المبالاة
بالعدو فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من
ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانت بنو
اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة
في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء ه قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا
رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد
قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها وكانه قال قد جئناك
بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت
من الصادقين او لو جئتك بشيء مبين ه ويحتمل سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو
موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام
موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى خلقه اول
مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته

تشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي
يوافق الاستماع وكذا الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها يطابق لما علق به من المنفعة غير ناب
عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل
والمراة فلم يزاوج منها شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او المضاف اليه
اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرّفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف
يتوصل اليه ولله دره من جواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف
كان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا
سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما
اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان
يخطئ شيئا او ينساه من ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل
وقرئ يُضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحّد
حتى يجازيه ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال
ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم
وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان
كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى يا مدعي
الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء
ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب
على المدح وهذا من مقالة موسى وقرأ اهل الكوفة مهدا اي تمهدونها فهي لهم كالمهد
وهو ما يمهد للصبي وسلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه في قلوب المجرمين اي جعل لكم
فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا عدل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ
المتكلم المطاع لما ذكرته من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن
الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء عن ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امّن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا
نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات

والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع و
الطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم فان من نعمته تعالى ان ارزاق
العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا و
ارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا
المعنى فاخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقد خلقتم من الارض بخلق اصلكم وهو آدم عليه السلام
منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب و
النطفة معا وانا له باخراجكم منها اذ تولف اجزائكم المتفرقة المختلطة بالتراب ويرد دم كما كانوا احياء
ونخرجهم الى المحشر ثم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها
لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها سبلا يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف
النباتات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم فهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها نشأوا هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد اريناه آياتنا كلها
فكذب وابى اريناه بصرناه او عرفناه صحتها وعدلنا بها وانما كذب ظلما كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان
احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام ولو فعل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطي
الا بصفة العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى عدد ما آتاه الله و
عدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما
يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا
سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى لعله يوجب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
ان فرعون كانت ترتعد فرائصه مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالب على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا
فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا محالة الموعد في
قوله اجعل بيننا وبينك موعدا مراد ان تجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم
يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا
لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة

الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قال يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مكانا مصدرا بمعنى الوعد ويقدر
مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للوعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن
الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه
مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير
والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون
المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان
قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد
يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه
لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام
ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على
جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد
وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري
الوصل مجرى الوقف وقرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز
ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله
موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم
ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص
لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل
بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا آياته
بمنزلة سحر وقرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق
الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال تصطك الركب في تسوية اعرابه فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا
ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى عن ابن عباس ان
نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب
لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول
ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن
اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران

على قولك انه لمنطلق واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ ابي ان ذان الا ساحران
وقرأ ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان
لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره
لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون
وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ
فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها
امرهم بان يأتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل و
عصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم و
صلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول
من القى ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او
الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على
اعطائهم النصفة من انفسهم وكأن الله تعالى الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع
ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا
فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين
وعبرة بينة للمعتبرين قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى يقال في اذا هذه
اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في
بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى
فاذا حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم
وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي
وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة
سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تجيل ويخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى
انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة
موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة

سنه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه
إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتأكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف
وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر
ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى وقوله ما في يمينك ولم يقل
عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي
في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا
تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره
عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله
تعالى تلقف ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها
كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين
الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع
قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا
ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما نكر من أجل تنكير المضاف
لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر
دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي
حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان ه سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم
للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقائين وروي أنهم لم
يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم
منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأ
قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأ
بقى لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني
كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء ه وقرئ لأقطعن ولأصلبن
بالتخفيف ه والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر
بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة
العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعني لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف
بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف ه شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك
قال في جذوع النخل ه أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع

الإيمان في كتاب الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه
وضري به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن
موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت
قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر
والله خير وأبقى والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم ه وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها أن الحيوة في
القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صيم يوم الجمعة صيم
يوم الجمعة وروي أن السحرة منهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون
أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا
الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ولقد أوحينا إلى موسى
أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم
من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم
والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو
اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا
كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ه لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على
الجواب ه وقرأ أبو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك ه في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك
أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل
الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى ما غشيهم من
باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله
وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله تعالى أو ما غشاهم أو
فرعون لأنه الذي ورطهم وتسبب لهلاكهم ه وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا
سبيل الرشاد يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن و
نزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن

فيحل عليه غضبي فقد هوى يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل خطاب للذين
كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والتوجيه إلى الأولاد أي قلنا يا بني
إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ أنجيتكم إلى رزقكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الأيمن بالجر
على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة
بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم
ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقهم وطغيانهم
في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها
في المعاصي وأن يمنعوا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا
وقرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه ومنه قوله
تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول
هوى هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون
هوت أمه أو سقط سقوطا لا نهوض بعده **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** الاهتداء
هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح نحو قوله تعالى إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المرتبتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو
عنوان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منها وأفضل **وما أعجلك عن قومك**
يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى وما أعجلك أي أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار
وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء
على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى مرضاته وزل عنه أنه تعالى ما وقت أفعاله إلا نظرا إلى دواعي الحكمة
وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون
قد تقدمهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم أولاء على أثري وعن أبي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن عيسى
عن أثري بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والإثر أفصح من الأثر وأما الأثر فمسموع في فرند السيف مدة
في الأصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الأثر غريب **فإن قلت** ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي
ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء
على أثري كما ترى غير منطبق عليه **قلت** قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في
نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس
بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم مثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن

نعم

فقال وعجلت إليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن
الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام **قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع**
موسى إلى قومه غضبان أسفا أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من
عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا **فإن قلت** في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين
مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى
عند مقدمه إنا قد فتنا قومك **قلت** قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على
عادته أو افترض السامري غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة
موجودا وقرئ وأضلهم السامري أي وهو أشدهم ضلالا لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من
بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما
وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر
الأسف الشديد الغضب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في موت الفجاءة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر
وقيل الحزين **فإن قلت** متى رجع إلى قومه **قلت** بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة
قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من
ربكم فأخلفتم موعدي وعدهم الله تعالى أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من
ذلك وأجمل حكي لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد
مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك **قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا**
ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له
خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده
بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا و
رأينا لما أخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده أي حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم
أو أردنا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن
يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة و
أمرنا أن نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك ألقى السامري أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وإنما
ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا
صار حيوانا فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات أما يصح أن يؤثر الله روح القدس بهذه الكرامة الخاصة
كما آثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله إن شاء

فقال

عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من مريم بعد نفخه في الدرع فأخرج لهم ثم خلق الله العجل من
الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس بأبلغ محنة من الله على عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد
بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم
فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان
الظاهر يرجع من رجعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال
لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح
عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم
حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري قال يا ابن ام لا تأخذ
بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري
لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن
ما لك لم تباشر الامر كما كنت باشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني وقرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز
وكان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله
ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله من بعد ما رأوا من الآيات العظام ان القى الالواح
التوراة لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه
فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو
قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت
عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها
الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة
ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه في اليم نسفا قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وقرأ
الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على
المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع الكف و
الصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرأ ابن مسعود من اثر

فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور
ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شأنا فقبض
القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله
لم يعرف انه جبريل ه عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان
يماس احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس
اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ
لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة
والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب ه لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك
والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك
هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا
فمضى واخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله تعالى كما مر في
لاهب لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم
ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ه القراآت من الاحراق
وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون من حرق ناب البعير اذا وقع بعضه ببعض وعليه القراءة
الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال
ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذي
لا اله الا هو وسع كل شيء علما وقرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش الكريم وسع كل شيء
علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه على
التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل
في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من
انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين
فيه وساء لهم يوم القيمة حملا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا من عدة الله تعالى لرسوله اي كذلك
ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم
واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد
الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض

عنه فقد هلك ومن شقوته يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
وقرئ يحمله جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل
على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في
احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة
الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو
المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق
قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء و
حكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس وليكن ساء الذي منه قوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن
الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اسند النفخ الى الآمر به فمن قرأ
ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم
ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير
لله تعالى او لاسرافيل عليه السلم واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة
وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان
احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب
نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون
من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار
واما لانها ذهبت وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال
الله بقاك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث
اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم
طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما
لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث
ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا

ينسفها

ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها
او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج
قالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ
ما يكون وذلك انه لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة
واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته باعتبارها بالمقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي
دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو
اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا
تسمع الا همسا اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله ينسفها ربي اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد
بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون
من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته
اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل
هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له وهي له
لاجله اي اذن للشافع ومعنى قوله لاجله ونحوه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد
خاب من حمل ظلما اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه
العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة
خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ
باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر
من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي
فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك انزلناه قرآنا عربيا و
صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك
الانزال وكما انزلنا عليك هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه

آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة
والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في قوله
اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني
علما فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل
الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد
ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه
مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له
عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما
الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز
اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله تعالى قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين
ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم
ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت
ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية
الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك
وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان والعزم التصميم
والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون
بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته
اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير
من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من
الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله
تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما
لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان
لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه

وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على
ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال ابى جملة مستأنفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه
ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط
فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا
تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما واسند الى آدم وحده فعل
الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في
ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء
التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان
يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا
تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو
لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان
لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها
كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج
الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه
باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فوسوس اليه الشيطان
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في
قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب
ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس
بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه
اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره
حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر فاكلا
منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى طفق
يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها مسافة قصيرة
هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان
يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا
الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في

اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك
هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد
ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما
اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافية
وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف
الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات
والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح
على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طيئ تفسير خبيث
ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه
اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله تعالى واذا لم تأتهم بآية
قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبيت الفرس نفسها
اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
يشقى لما كان آدم وحوا عليهما السلم اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما
البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو
في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو
عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال
ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الضنك مصدر
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة
والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه
حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشته ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد
عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة
وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا

وقال ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد
الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ و
نحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
وكما فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها و
كذلك اليوم تنسى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر
ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف
ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في
الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كأنه قال وللحشر على العمى
الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا افلم يهد
لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده
يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشّون
يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة
لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل
اي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على
الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل
المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء
الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح و
اعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكأنه
قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من
النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لهما بصلوتك وذلك ان افضل الذكر
ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء
واقوم قيلا وقال ومن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى
العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله
وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة
الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه

قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما طرفان كما قال أقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه أمن الإلباس وفي
التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء الأمرين في الآيتين مجتمعين في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ و
أطراف النهار عطفاً على آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعاً ورجاء أن تنال عند الله
ما ترضى به نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ولا تمدن عينيك مد النظر تطويله
وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا
يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بويلكم ثواب الله خير
لمن آمن وعمل صالحاً وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض
الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمد إليه نظره ويملأ
منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى
في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا
هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها أزواجاً منهم أصنافاً من
الكفرة ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصنافا
بعضهم وناساً منهم فإن قلت علام انتصب زهرة قلت على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص
وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولاً ثانياً له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من
أزواجاً على تقدير ذوي زهرة فإن قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة
كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون جمع زاهر وصفاً لهم بأنهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء
ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب
الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في
الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه
من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال
خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقاً وعن أبي
رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله
أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إني لأمين في السماء وإني لأمين في
الأرض احمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك
رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وأمر أهلك بالصلوة أي أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلوة
واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا

نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان
الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي
الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا
بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى
اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني
القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة
إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ذكر الضمير
الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على ما لم يسم فاعله قل كل متربص فتربصوا
فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى كل أي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول
إليه أمرنا وأمركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ
فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون
هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الأصل أزف
رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك
وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد
اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك
ونحوه واقترب الوعد الحق فإن قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام
قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً
عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما البعيد هو
الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود
مبعثه في آخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت
الدنيا حذاء ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة
إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون

وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين ووصفهم بالغفلة مع
الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه
خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة
الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن
تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة
بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما
فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة
النازلة من القرآن وقرا ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان او متداخلتان ومن قرا لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله
وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا
اصلا وثباتا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي
لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد
لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش
فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره اسروا
النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم
هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا
هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة
من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم
تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور
فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في
خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويجتهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس
استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك
ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا قال ربي يعلم القول في
السماء والارض وهو السميع العليم فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول
عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من
ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته
فكيف تخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر

في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما
يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب
تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما
اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات و
الارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون
اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل
لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد
وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله
كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا
ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم
يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم
نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي
اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله
الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في
معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا فلا يكادون يكذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما
كانوا خالدين لا ياكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد
الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت
نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين
قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما
معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد
فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن
قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائهم مصلحة لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه
مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء
الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين وكم

قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين
تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى
أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضوراء وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا
فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي أنهم لما أخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم
وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنهما ذكر حضوراء بأنها إحدى القرى التي أرادها الله
بهذه الآية **فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه و**
مساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا
علم حس ومشاهدة لم يشكوا أنها قد حلت بهم ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك
فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا
في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف **فإن قلت** من
القائل **قلت** يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم
يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا
إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسئلون تهكم بهم
وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا
السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم
وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي
ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيروكم في
المهمات والعوارض ويستشفوا بتدابيركم ويستضيئوا بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع و
يستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء
الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ **فما زالت تلك دعواهم حتى**
جعلناهم حصيدا خامدين تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين **فإن قلت** لم سميت دعوى **قلت** لأن
المولول لأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا أوانك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم الحصيد
الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل
الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا

على المفعولية **فإن قلت** كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك
جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود **وما**
خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو و
اللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا
مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى **لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين**
ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على
اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا من الملائكة لا من الإنس رد لولادة المسيح وعزير **بل نقذف**
بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون بل إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه
لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد
وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته
وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا وقرئ فيدمغه
وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل و
النهار لا يفترون ومن عنده هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك
على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه **فإن قلت** الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ
في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور **قلت** في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه
وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا
يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر **أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون** هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل
والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى
ولعمري إن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات **فإن قلت** كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا
يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله تعالى بأنه خالق السماوات
والأرض ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة
الأولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر
كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا **قلت** الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها
الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة

المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل والاشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان
الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة
تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية
وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها
مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله تعالى ويجوز
ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة
في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم
وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله
رب العرش عما يصفون وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل
قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا
يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما
آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما
الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا
ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين
قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما
طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات
حتى تثبت وتستقر لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في
مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع
الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم و
استقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسئلون
اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ام اتخذوا من دونه
آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم
معرضون كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله بان له شريكا فهاتوا
برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وفيه توحيده و
تنزيهه عن الانداد مدعوا اليه والاشراك به منهيا عنه متوعدا عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله و
نفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من
قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام

في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر
فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ
ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين
الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى
كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عنده مفضلون
على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولاده
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون
قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون
قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون
عملا ما لم يؤمروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
جميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم و
يراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة
في ازدياد الثواب وازدياد التعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة
كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
بعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية
فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة
علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان
التوحيد اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض
اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير
موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات

ملاصقتين وكذلك الارضون لا فرج بينهما ففتقهما الله وفرج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما
كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحو قولهم لقاحان
سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك
قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني
ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو
القديم تعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء لفرط
احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل
شي حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ
حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا
لعلهم يهتدون اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم
الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت
في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم
وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت
احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان تقع
على الارض وهي تركها لعباده او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها عما وضع الله فيها من الادلة
والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار
بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها
مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة
على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها
وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير
للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما
بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار
بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به

العامل

العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد
من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا
اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة
على الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله
عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك
فان مت انت ابقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس
ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما
يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو
عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه
واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون
الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر
صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى
انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر
بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم
احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي
يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا
تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى
العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط
العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو
طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي انه النضر بن الحرث والظاهر ان المراد
الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل وما اظنه بصحيح فان قلت لم
نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق
قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
وقرئ خلق الانسان من عجل لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم

ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى
هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف فلا يقدرون على دفعها ومنعها
من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم
هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون تعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم لما كانوا
مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم
هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرأ الاعمش بل ياتيهم
فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او الحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار
او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او
الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة والظاهر انها للنار على ما يقتضيه سياق الآية وقرأ الاعمش بغتة
بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بامهالهم في الدنيا اي امهلناهم وفسحنا لهم وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة
تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون من الرحمن اي من باسه
وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا
من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم
عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او
حفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا مصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف
يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم
وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم
الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم
واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص الارض ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها
بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله ناتي الارض قلت
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض
المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون

وقرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالياء والتاء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون
قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون
فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من
الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا
واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح
يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها
في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئت لخمس ليال
خلون من الشهر ومنه بيت النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيامة
اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها
الموزونات والثاني انه تضع الموازين الحقيقية وتوزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان
وروي ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي
يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت كيف توزن
الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات
جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان
كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم
اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته
الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او
آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن
الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان
والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف الذين يخشون ربهم بالغيب
وهم من الساعة مشفقون محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه وهذا ذكر مبارك انزلناه
افانتم له منكرون ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ذكر مبارك كثير خيره

كره شاهده وغزارة خبره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا
إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله
وأن له شأنا من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة
وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان
فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم
لها عاكفون إذ إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله
ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينو
للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها فإن قلت
هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على أصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي
على قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد
الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم
وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل
التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أنتم من التأكيد الذي
لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك
الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد
الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله
على وجه المزاح والملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل قال
بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين الضمير في فطرهن للسموات
والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة
عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى
بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا
على أنكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين قرأ معاذ بن جبل بالله
وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين ما الفرق بين الباء والتاء
أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب
من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري إن مثله صعب
متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه

ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون روي أن آزر
خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم
وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبرهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها
بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل
واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وإنما
استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم
بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي إليه إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون
إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك قال
هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع
علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالا وأن قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع إليه
في حل المشكل فإن قلت فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية
في رجوعهم إليه حتى يجعله إبرهيم صلوات الله عليه غرضا قلت إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع
ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي إن من فعل هذا الكسر
والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام وإما
لأنهم رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبرهيم فإن قلت
ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع
لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك فإن قلت إبرهيم ما هو
قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به
على أعين الناس لعلهم يشهدون على أعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر
فإن قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل أي يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات
الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه أو بما فعله أو يحضرون عقوبتنا له قالوا
أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون نعي الخبر
بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا بإحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا
أذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد إبرهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل
الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم
الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت

كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك
بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما
للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة
وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته
بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى
تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرئ فعلّه
بالتشديد فعلّه كبيرهم اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فلما القمهم الحجر
واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
انتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة
او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على
رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا به جوابا الا ما هو حجة
عليهم وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم [illegible]
عبد المعبود قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي
لكم ولآلهتكم هذا التأفف قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا و
سلاما على ابرهيم اجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد
ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا
عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من اعراب العجم يريد الاكراد
وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى
ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق
في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلم يا نار كوني
بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك
فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

واطلع

واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة
آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول
ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين
آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا
النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك وجعلت النار لمطاوعتها فعل الله كانها
امرت بذلك والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك
ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت النار
وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق
والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه
فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا خاسرين مغلوبين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا
الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يريد نجاتهما من العراق
الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم
الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني
والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء
عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة و
بينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين النافلة ولد الولد وقيل سأل
اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا و
اوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين يهدون بامرنا فيه
ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل
عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل فعل الخيرات
اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة ولوطا آتيناه
حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين حكما حكمة او ما
يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين
اي في اهل رحمتنا او في جنتنا ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين من قبل من قبل هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وعدّي

هذا لما دعو على نابرتيم اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب
قومه وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين اي واذكر
واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في
ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى
عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون
بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادا فقال
القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي الا ان
حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن اشبه بالصواب فان قلت ما وجه
كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى
المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي
يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب
الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق
من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا
فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا
بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله
ففهمناها سليمن دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتيناه حكما وعلما دليل على انهما
جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن
والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها
اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا
وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها
الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على
التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك
بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون اللبوس اللباس قال البس لكل
حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين
لتحصنكم قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله تعالى والتاء للصنعة

او اللبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين وقرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب
للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت
في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر
فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب
ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم
ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من
يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر و
يتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما
يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة
فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه
باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم
الضرر في النفس من مرض او هزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا
امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود و
ملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن ابرهيم عليه السلام وقد استنباه الله وبسط
عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها
خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب
ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي
من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل
منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا
ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا و
الآخرة واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي

بذلك لانه ذو الحظ من الله والجد على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا فظن ان لن نقدر عليه وقرئ نقدّر بالنون مخففا ومشددا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدّر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومشددا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى وكانت حاله ممثلة بحالة من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين نُجّي ونُنجي ونُجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقيل نجي النجاء المؤمنين فاسكن الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال

اما اني سألت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فغير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها

على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب
ينسلون فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان
امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى
القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة
اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون
حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية
وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء
كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي
شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين
كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون وما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس
واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم وتصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن
الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله
اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب
الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله
عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية
يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة
حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون
بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت
اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز
ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب
اي يحصبهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد

متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون
الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة
يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة
طلب النفس اللذة لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقرئ
لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على
صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم
ربكم قد حل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا
فاعلين العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن
العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب
فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما
يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده
والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته
ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا
يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه
نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى
وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون عن الشعبي رحمه الله زبور
داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها
المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن
ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا لبلاغا

لقوم عابدين الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ
الكفاية وما تبلغ به البغية وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أرسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لأنه جاء
بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما أتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله
عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين
المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل
كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم
مسلمون إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان
في هذه الآية لأن إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد وأنما إلهكم إله واحد بمنزلة إنما زيد قائم
وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله
بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد له وأن
تخلعوا الأنداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى أن
الذي يوحى إلي فيكون ما موصولة فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما
توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون آذن منقول من أذن إذا علم ولكنه كثر استعماله في
الجري مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها أسماء
والمعنى أني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد و
الشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ إليهم العهد وشهر النبذ وأذاعه و
آذنهم جميعا بذلك على سواء أي مستوين في الإعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها
وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت
لا أدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من
كلام الطعانين في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه
وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون
أو تمتيع لكم إلى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قال رب احكم بالحق و
ربنا الرحمن المستعان على ما تصفون قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب احكم على
الاكتفاء بالكسرة ورب أحكم على الضم وربي أحكم على أفعل التفضيل وربي أحكم من الإحكام أمر باستعجال
العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما قال اشدد وطأتك على مضر
وقرئ يصفون بالياء والتاء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن يكون لهم الشوكة
والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه
كل نبي ذكر اسمه في القرآن سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى صراط الحميد
وهي ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة
شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى م
ولكن عذاب الله شديد الزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها
ولا تخلو الساعة من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة
مصدرا مضافا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به
كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها
واختلف في وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها أمر
بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم
ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم
من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به وروي أن هاتين الآيتين نزلتا
ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا
لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك و
مفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل
كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة فإن قلت لم قيل مرضعة دون
مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم
تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وترى قرئ بالضم من
أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل
الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى
وعجالى وعن الأعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى
على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من
يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فإن قلت لم قيل أولا
ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة
أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ومن الناس من يجادل في الله

بغير علم ويتبع كل شيطان مريد قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير
الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا
يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول
على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من
حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم يثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما
ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية الملقبين بالامامية في دين الله الا داخلين تحت كل هذا وهو
ارد الآيات عليهم واقطعها لهم فانهم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا
وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال وما انت بمعفو الخطو من غير طريق نجاة عندهم مستودع
ولو نزل ما في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجز اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته
لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين **كتب عليه انه من تولاه فانه**
يضله ويهديه الى عذاب السعير والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك
في حاله ويروى انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية
المكتوب كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه
معنى القول **يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة**
ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الحسن
من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم
والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى
يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال
ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من
نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود
الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط
به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقركم ثم نخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم

ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار
بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او
اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر
حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحد لان الغرض
الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي
لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ
ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته ضعيف
البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر
على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء
لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة
الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث
ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه **ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه**
على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي ذلك الذي ذكرنا
من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيفه من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب
في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى
كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد **ومن الناس من**
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير عن ابن عباس هو ابو جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت
سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى
الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت
يداك وان الله ليس بظلام للعبيد وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل
عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ
بفتح الياء وضمها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا
حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما
كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال

ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي مما يتبين به خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه
وعدل الله في معاقبة الفجار وإثابة الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير
اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون و
طمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه
قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت المصاب المحنة بترك التسليم لقضاء
الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب
الصابرين فهو خسران الدنيا والآخرة وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس
العشير استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فإن قلت
الضر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا
الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد بجهله وضلاله
أنه يستشفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه
معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير
الصاحب كقوله فبئس القرين إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
إن الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم
ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في
الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر
بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ
حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه
وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لأنه وضعه

موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد
ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل
عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من
النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير
رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده
مرزوقا وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد أي ومثل ذلك الإنزال أنزلنا
القرآن كله آيات بينات ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى
أنزله كذلك مبينا إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا
إن الله يفصل بينهم يوم القيمة إن الله على كل شيء شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال
والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة
للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي
بين المؤمنين والكافرين وأدخلت إن على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير
إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن
في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق
عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها له فيما يحدث
فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب
الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه
من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني
أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الجن والإنس أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا
مناقضة قلت لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر
يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر
بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين
مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه
العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون و
المتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب
كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا

ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او عصيانه فقد بقي مهانا لم يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما تقتضيه عمل القابلين واعتقاد المعتقدين **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم** الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز والمراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها **يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد** يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها **كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** وقرء الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب على محل من اساور او باضمار نحو ويؤتون لؤلؤا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم قلب الثانية ياء كادل ولولي كادل ولليا بقلبهما ياء ولولي عن ابن عباس **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة **ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام**

الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم يقال فلان يحسن الى الفقراء ويعين الضعفاء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعش في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصد منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دورها واجارتها وهو عند الشافعي لا يمنع ذلك وقد حاوره فيه اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او من مالكه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان والالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان والمفعول منه متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم جواب لمن والواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك **واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكانه فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة **فان قلت** كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلت** كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة **واذن في الناس ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق** واذن في الناس نادهم وقرئ ابن محيصن وآذن والنداء في الحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صلعم

سعيدا بايتبين يقال يا ايها الناس حج ابيت ذكره عن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف
الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا
وركبانا والضامر صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد
وقرأ ابن مسعود معيق يقال بير بعيد العمق والمعق **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في**
ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير نكر المنافع
لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة
رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من
تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا
او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام
تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات
بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة رحمه الله وهو
قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت
بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون
من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن
ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدية و
قال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا
البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار **ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا**
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما
عسى ينذرون من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو ركن
الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن
مجاهد لم يملك قط وعنه اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فان قلت**
قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع **قلت** ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله
فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل **ذلك ومن يعظم حرمات**
الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من

الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من
السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان
ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان
كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون
عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى
التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ويكون
المتلو الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى
ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل
شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة
والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور
لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك
وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له
العبادة وكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله
لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى
الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم
عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى
بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان
بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما
ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك
من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما
واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان
وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا
التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك
نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق

مزقًا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في **بعض المطاوح البعيدة** وان كان تشبيهًا مفرقًا فقد شبه
الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزع
افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت
به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن
واصلها تختطفه وقرئ الرياح **ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** تعظيم الشعائر
وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانًا سمانًا غالية الاثمان ويترك المكاس في
شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن
ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ان يبيعها ويشتري
بثمنها بدنًا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لابد ان
يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما
ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء **لكم
فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق** الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحمها ويؤكل
منها ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في
دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
واعظم هذه المنافع وابعدها شوطًا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها منتهية الى البيت كقوله هديًا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت
لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم
بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه **ولكل امة جعلنا
منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا
وبشر المخبتين** شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك
ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك وقرئ منسكًا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك
والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالمًا اي خالصًا
لا تشوبوه بالاشراك المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين
لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم**

والمقيمي

والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقرئ والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون و
قرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا
اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون** البدن جمع بدنة سميت بها لعظم بدنها وهي الابل خاصة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في
الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن و
البدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب
والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى
اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة
الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى
لبنها شرب فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث
وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص
لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافًا بالتنوين عوضًا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم
صوافٍ بحذف الياء اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب
الحائط وجبًا اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسيسها
حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له والسائل قنوعًا
والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعًا و
قناعة والمعتر المعترض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ
ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر
لهم البدن مثل التسخير الذي ترون وعلموا ما تأخذونها منقادة للآخذ فيعقلونها ويحبسونها صافة
قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر
منها جرمًا واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدًا وعبرة **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**
اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء
والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط

التقوى في حل ما قربته وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا اهملوا ذلك لم تغن
عنهم التضحية والتقرب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله ولكن يناله بالياء والتاء وقيل
كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون
ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك وتذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام
دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم
كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم
ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان
فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** اذن و
يقاتلون على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب و
مشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي
اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين
فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصرة واردة
على سنن كلام الجبابرة وبما مر من دفعه عن الذين آمنوا يؤذن بمثل هذه العدة ايضا **الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز** ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب
الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ودفع الله بعض
الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على
اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت
بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من
ينصره اي ينصر دينه واولياءه **الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة**

وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما سيكون
عليه سيرة المهاجرين يعني ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن
عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا و
قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة
غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي
مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم **وان يكذبوك فقد
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى
فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير** يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له
لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت** لم قيل وكذب موسى
ولم يقل وقوم موسى **قلت** لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط و
فيه شيء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم
معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا
وبالعمارة خرابا **فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة
وقصر مشيد** كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى
النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا
يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم
تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون
خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت
الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت**
ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية **قلت** الاولى في محل النصب على الحال والثانية
لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله
ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها و
قصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها
بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله

من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر
اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا
وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب
قصورهم أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها
لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا
مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن
لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل
من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا
وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى
ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة
الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة
مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات
ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير
الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء
للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان
محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني
ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه
قال ولم تستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف و
الله تعالى لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه
ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف
يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد
مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله
وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون بالتاء والياء وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة
ثم أخذتها وإلي المصير ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم
بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى
وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو

اعني

بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا أيها الناس إنما أنا لكم
نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا
في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه
وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه
والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط
الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم
فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق
الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما
اقحم المؤمنين وثوابهم ليغاظوا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم من رسول ولا
نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة
الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان
الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب
وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من
اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى
استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو
في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى
الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط
الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته
العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما
سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة
من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء
من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل
ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله تعالى له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن
وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب
الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة

ايهم الشفعاء الا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان
الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
بالظلم وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي
الذين آمنوا الى صراط مستقيم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق
من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما تشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا
تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم
العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم
لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز
وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنش مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره
لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد
بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة كانه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم
موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم و
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين فان قلت التنوين في يومئذ
عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في
مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة
في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلا منه واحسانا
والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان
طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله
من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة له
من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله تعالى على الاخلال بالعقاب

والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب
اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح
فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور
اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه
من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح
بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا
القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير
ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل
او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر
والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت
تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما
يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بان الله
هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير وقرئ يدعون بالتاء و
الياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي
ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق
الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات و
ما في الارض وان الله لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت
هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان
كما تقول انعم الله علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك
الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات
الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته
فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب
له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح
الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك
السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم ما في الارض من البهائم مذللة
للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء

انتفع كراهة ان ينتفع الابنية وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفين الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في امر الذبائح او فلا ينازعنك في امر المناسك فلا ترفع عنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا للجاج الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف

بكم

ودي

والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالياء والتاء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده ههنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ثم ذكر انه تعالى دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون والذكر شانه ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات

على ذلك فقرئ ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم
والحج والغزو ثم ختم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع و
يركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم
وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن
عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما
وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج
وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك
على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في
الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس و
الهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا
ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما
قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله
من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم
شهدناه سليما وعامرا اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة
للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والارش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر والامة هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب
الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا
للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم
اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير من قبل وفي هذا
اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون
الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه
الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد
من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمان عشرة
عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع
ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا
بما دل على ثبات ما توقعوه ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكيها في وقوعه جواب قسم
والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه
اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت
ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق
بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفا
الذين هم في صلوتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع
السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره
نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه
بشيء من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى
كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل
والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث
بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول
اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم
قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلى له غني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم
عن اللغو معرضون اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجبه المروءة الغاؤه واطراحه
يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو
ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة فاعلون
الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى
فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه
ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل
وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال
لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان

تامه
وكان مع الاطباء الشفاء

يفا ولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في
السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء
وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون على ازواجهم في موضع
الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان
ونظيره وكان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا و
المعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل
عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان ويبنى على تضمينه معنى النفي كما
ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم
غير حافظين الا على ازواجهم فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى
غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء
هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحراير ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون
في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة بنكاح المتعة
من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن
عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال
وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي
القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه و
صاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص
فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلوتهم يحافظون وقرئ على صلاتهم فان قلت
كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع
في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها
ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع
في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس
والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف
والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف

هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس
فجاء بفخامة وجزالة لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على
تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة
من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذرى وغرس فيها
من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر
وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن
قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت
معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم
وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث
هي واحرزت وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا
العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا
وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب
حكمة لا يدرك بوصف الواصف ولا يبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب
بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله تعالى
امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين
عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين
وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى
الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون قرأ
ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما
المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في
قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه
ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة

الإنشاء وحجة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة اي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثة مما عندك
مطويا ذكر ثالثه لم يكن دليلا على انك ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء
والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا
عن الخلق غافلين الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو
طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان يقع فوقهم بقدرتنا او
اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها
وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على
ذهاب به لقادرون بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا
من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في
الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل
نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل
فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على
ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب وطريق من طرقه
وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها
بالشكر الدائم ويخافوا نفادها اذا لم تشكر فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها
فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين
خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجرة افضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بثمرتهما
لانه جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون
بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان
من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه
كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات
وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه
الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ
القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التأنيث لانها بقعة
وفعلاء لا يكون الفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرف لان الالف للتأنيث كصحراء وقيل هو

مجلس شورای ملی
کتابخانه
۱۳۰۹

جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال
اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي
الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه
الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين
وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصباغا وقرئ
وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هو اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله
تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون وقرئ تسقيكم بالتاء مفتوحة اي تسقيكم
الانعام ومنها تأكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال
والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل
لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل
للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم و
شكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء
الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى
حين ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة
الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي
يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر
وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي
وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه
وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي
احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب
انصرني بما كذبون في نصرتي اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني
بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

اوله
ظروفا وحبلا لحمل است شده ده

فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها
من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم
مغرقون فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين بأعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه
بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا أي أمرنا كيف
تصنع وتعليمنا روي أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر روي أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور
من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور
آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي
باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند
عن ابن عباس التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه وعن علي رضي الله عنه
فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم
حمي الوطيس والقول لمن نقل يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه فاسلكوهم فيها
من كل زوجين من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك
اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض
وقرئ من كل بالتنوين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار
كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها
كانت كفافا لا علي ولا لي فإن قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم
ظالمين وإيجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في إغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد
أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في
الأرض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء
عليه المطابق لمسألته وهو قوله وأنت خير المنزلين فإن قلت هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويتم أنت
ومن معك لأنه في معنى فإذا استويتم قلت لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار
بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي وقرئ
منزلا بمعنى إنزالا أو موضع إنزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه إن في ذلك لآيات وإن كنا

لمبتلين إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة
كنا لمبتلين أي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر
ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم
هود عن ابن عباس ويشهد له حكاية الله قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة
هود على إثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فإن قلت حق أرسل أن يعدى بإلى كأخواته التي هي وجه وأنفذ
وبعث فما باله عدي في القرآن بإلى تارة وبفي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية
من نذير فأرسلنا فيهم رسولا أي في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم قلت لم يعد بفي كما عدي
بإلى ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعا للإرسال كما قال رؤبة أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام
وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا أن مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان
الرسول اعبدوا الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم
في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون فإن قلت
ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه
إنا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما قلت الذي بغير واو
على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه
على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها
من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من
مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون
إذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم أيعدكم
أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول
والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الأول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبرا على معنى إخراجكم إذا
متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت
الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم هيهات هيهات لما توعدون وقرئ
هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فإن قلت ما توعدون
المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق وأهله فما هذه اللام
قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه
وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام

في هيت لك لبيان المستبعد ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما
يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فوضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت
ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث
وما نحن بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل صفة الزمان
كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما لتوكيد معنى قلة المدة و
قصرها فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين الصيحة صيحة جبريل
صاح عليهم فدمرتهم بالحق بالوجوب لانهم قد استحقوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي
بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق و
العيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل
فبعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه
نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد
رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما تقدم ثم انشأنا
من بعدهم قرونا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من
امة اجلها وما يستأخرون اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى
كل ما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا للقوم
لا يؤمنون تترى فعلى والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد واضاف الرسل اليه والى الامم
فلقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا
يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله ويكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم
ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا و
كانوا قوما عالين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام
آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق

البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت
كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل و
يجوز ان يراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون
علوا في الارض مستطيلين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين البشر يكون واحدا وجمعا ثني البشرين فاما ترين من البشر
ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا
هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدون
خضوعا وتذللا اولانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى الكتاب اي قوم موسى التورية فعلم يعملون بشرائعها ومواعظها
كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف ويريدون قومهم ولا
يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
وملائه لقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية و
آويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين فان قلت لم قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان
مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر
فكان آية من غير وجه واللفظ يحتمل التثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية فحذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر و
هي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر
ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة
فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة
ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض
وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا
ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون
وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير هذا النداء و
الخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان
كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به
حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام
فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل

اواريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقيب قوله وآويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية
اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا
صالحا اقتداء بالرسل وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون قرئ وان بالكسر
على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها فتقطعوا امرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم
اديانا او زبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل
فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم
في غمرتهم حتى حين الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم
وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي
رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له
عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله تعالى ويجوز في
يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا
لهم على المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع
واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين و
بل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا
في ذلك انه استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره
قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك
منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله
وعائشة يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني و
يسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصوم ويصلي ويتصدق
وهو على ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في
الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

لانهم

لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان
فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقيل يسارعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها
او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان
يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف نفسا الا وسعها
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد
الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب
يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤونه يوم القيامة الا بما هو صدق وعدل لا زيادة
فيه ولا نقصان ولا يظلم فيه احد او المراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على
صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب يكتب فيه عمل السابق و
المقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من
دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم
انكم منا لا تنصرون بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين
ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون ضارون لا يفطمون
عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية و
العذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد
والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان
الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون ولا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت
آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم
كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت
وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي فانها ذكر لانها في معنى
كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين او متعديا بنفسه او
يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر
القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن
وتسميته سحرا وشعرا او سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر كالحاضر في الاطلاق
على الجمع وقرئ سمرا وسمارا تهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا فحش والهجر بالضم الفحش ومن
هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم

ما لم يأت آباءهم الأولين لتوا القرآن يقول انهم لم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء
به بل اتاهم ما لم يات آباءهم فلذلك انكروه واستبعدوه كقولهم لو شاء ربنا ما سمعنا بهذا في آبائنا فهم غافلون
او لخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت
آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا
تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء
فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في وسط هاشم وامانته و
صدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح
خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف
شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له
مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة
الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من
ترك الايمان انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى
عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب
كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به
فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا لذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي
جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة
ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامرهم بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان
شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم
او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد
الله المخلصين وقرى بذكراهم ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم وقرى خرجا فخراج وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام
من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله والخرج اخص من الخراج تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه

ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك
حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك خير يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير
من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم
رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض
له حتى يدعي بمثل هذه الدعوة العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم
ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم
بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور
الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة
لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن
بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل
مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم
ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وافراطهم
فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم
اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة
ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد ليستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل و
الجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبناهم بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت
مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال
اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح
فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يتضرعون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة
استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرى فتحنا

وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وإنما خص السمع والأبصار والأفئدة
لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة شكرها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم
في آيات الله وأفئدتهم أن ينظروا ويستدلوا بها ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال
تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر
النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد
بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون خلقكم وبثكم بالتناسل وإليه تجمعون يوم القيامة
بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون وله اختلاف الليل و
النهار أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو بل
قالوا مثل ما قال الأولون أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا و
عظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين
الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال اللغة أي ما سطره الأولون سطرا أي ما كتبه الأولون مما لا
حقيقة له وجمع أسطورة أوفق قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون
قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت
كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون أي أجيبوني
عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا
مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر
الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
وقرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام
وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى
وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم يثبت في الرواية أفلا تتقون أفلا تخافونه
فلا تشركوا به وتعصوا رسله أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء
ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم بالحق بأن نسبة الولد إليه
محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا وشريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون لذهب كل إله
بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك
الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا

أثر التمانع في الملك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام
هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه
المحاجة من المشركين عما يصفون من الأنداد والأولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون
عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا
تجعلني في القوم الظالمين ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في
الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم
يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع
الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلت يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم
أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من
مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم
ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ إما ترئنهم بالهمزة كما قرئ فإما ترئن و
لترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار وإنا
على أن نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له
لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار ادفع بالتي هي أحسن
السيئة نحن أعلم بما يصفون هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال
ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح
والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي
هي أحسن وعن ابن عباس هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا
لقيه وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها
ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك
وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ
بك رب أن يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الأز في
قوله تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه
أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى إذا جاء أحدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ

إلى يوم يبعثون حتى يتعلق بصحيفته اي لا فائدة على نفس الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة فيما على
وجه الاعتراض والتأكيد للانقضاء عنهم مستعيذا بالله على الشيطان ان يفتنه عن الحلم ويغريه على ان لا
يتصاد بهم او يحمل قوله رب انهم كذلك لولون خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله الا فارحموني يا آل محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من
الايمان والعمل الصالح فيه فسأل الرجعة فقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي
بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس اسسته او نبني اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من
المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا
محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه
ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسرة والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن
فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومتباينين فلا
يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف
والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون
بادعاء الآباء في السنين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره
خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون
لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا
فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الموازين جمع موزون وهي الموزونات
من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ومن
خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون في جهنم خالدون بدل من خسروا
انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا
والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب
توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وعن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته و
قرئ كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا
اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون اخسؤوا فيها اذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر
الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف
قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا
يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا ربنا
اخرجنا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها انه كان فريق من عبادي
يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين في حرف ابي انه كان فريق بالفتح
بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون السخري بالضم
والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص و
عن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم
والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم
بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في
اوليائي اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استئناف اي قد فازوا
حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم
في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال في مصاحف اهل الكوفة
وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير لله او للمأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير
الملك او لبعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها
لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام
السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على
غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه
يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعدها ومن يعدد ان
يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين

أي القدماء المعرفين فانهم يستقصونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين
النفختين **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون** عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي
ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون
معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون
بفتح التاء **فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم** الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه
او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او بنسبته
الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد
**ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين** لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله
يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا
بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة
ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع
في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون
واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي
ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها
فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي
يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي
عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر **سورة النور مدنية وهي
ستون آية وقيل اربع وستون بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها
وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون** سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي
مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل
لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى
فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة
في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة

المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها **الزانية والزاني فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على
معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف
واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه
وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده
كقولك ظهره وبطنه ورأسه **فان قلت** اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم **قلت** بل هو حكم
من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رضي الله عنه
الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله صلى الله
عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن **فان قلت** اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله
الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن **قلت** الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى
ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين و
الهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب
لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال
نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن
زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر
اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على
مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا
ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد
قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير
المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية

ان يحمل على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة
اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه
نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة
ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها
ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى
اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه
وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من
امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنى
فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر
وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله
عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين
عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد
والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل
ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة و**
الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا
والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة
من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال و
ينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية
ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور موضع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها
من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين
في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى
بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق
ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن

لم ترد

لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية
لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى
منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية
قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية ب
كونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان **فان قلت** كيف قدمت الزانية على الزاني
اولا ثم قدم عليها ثانيا **قلت** سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت
الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ
بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب
وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله و
يرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا**
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا
الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على
ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان
القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ للمحصنة يا زانية او
للمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول
يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به
ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعين وقال
للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة
وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت**
الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤوا متفرقين كانوا قذفة وعند
الشافعي رحمه الله يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم **قلت**
يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي **فان قلت** كيف يجلد القاذف **قلت** كما جلد الزاني الا انه لا ينزع
عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب
ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها **فان قلت** فاذا لم يكن المقذوف محصنا
قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة

القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته
فاذا استوفي لم يقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد
شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية
فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا
مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا
غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين
تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى فان الله غفور رحيم والشافعي رضي الله عنه جعل
جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف
وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه
عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان يكون الجمل الثلث
بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا
لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين
ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من
المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع
الاسلام قلت المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا
عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد
الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان
يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن
لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت
عند ابي حنيفة لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف
قبل ان يحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان
بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او

محدودا في القذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان
ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة اربع مرات
اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة
والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله
وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة
وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر
فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رحمه الله تقع بلعان الزوج
وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه
بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا
فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ و
الى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية
او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا
والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا
ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت
ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها
آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه
هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به
اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك
فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم
في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي
هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ
ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ
بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا

عليها لانها هي اصل الفجور وسببه غالبا والطامعة فيه ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
تواب حكيم الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ
من منطوق به ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الافك ابلغ ما يكون من الكذب وقيل
هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به
على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا
وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من
الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه وما نجا منها وقال امراة نبيكم
باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه
الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو
تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل
البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة
وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متامليها لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا وقالوا هذا افك مبين بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك
نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن
بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان
خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن
الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك
فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن
اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا
افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب
الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات لولا جاؤا

عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون جعل الله الفصل بين
الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم يكن لهم
بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف
للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين
الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا و
الآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى
ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في
الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث و
اندفع وهضب وخاض اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه
ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء و
تلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق
وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها
يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه
ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور
في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على
بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك
نقير وصفهم الله بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك
ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد
الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم ولولا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فان قلت كيف جاز الفصل بين
لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك
يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان
انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم
فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما

لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحو ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر
فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم
كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امرأة
النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم
المنفرات يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله
عليم حكيم اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا ما داموا احياء
مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد
عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة
ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون
المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف و
كف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم
لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤوف رحيم وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع
حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات
الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة
ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرابة بحرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا ان الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم
اذا اخلصوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان
يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا
اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان
او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو و

الصفح

الصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن
خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط
آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاهلة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله
لا انزعها ابدا وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله
لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم
الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم
يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على
اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو
الحق المبين وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن
كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل
من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من
ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه
ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق
الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد
وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن
الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذه منه مبالغة و
تعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من
اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من
حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه
التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه
على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة
شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف
غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف

قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله
كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات
بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه
وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك
في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي
لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان
محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون
من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب
ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات
النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا
مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة
لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني و
لقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد
حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فينصرفون عنه وان كان لينزل عليه
وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون تستانسوا فيه وجهان احدهما
انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له
ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا
تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس
يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف
استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم
ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت

النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري
قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت
والتسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب
عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان
ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال االج فقال صلى الله عليه وسلم لامراة يقال
لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها
فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل
فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من ابواب الدين
هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف
عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا
وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي
قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول
بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت
عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال
انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن
لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب
الاستيذان فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها و
اصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها
الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا
يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون
من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب
فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان
هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب
الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف
والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيدة

ما قرعت باباً على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء
الحجرات أكثرهم لا يعقلون فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا
تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين
لم يبق شبهة في كونه منهياً عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من
حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه
من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيراً ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون
وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع
لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون
منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر
والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله
قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن
وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات
والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم إن الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز
الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة
على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن
وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى
الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما
استثني منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في
القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم
وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه
على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن
أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن
أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم
يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً
أيها المؤمنون لعلكم تفلحون النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي

إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها
من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه
وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله
أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج قلت
لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت
به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه
للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا
لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة
على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر
والأذن فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر
إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة
شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فإن قلت ما تقول في القراميل
هل يحل نظر هؤلاء إليها قلت نعم فإن قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما
ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر
سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً
عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل الواقعة عليه فإن قلت
ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح أنه
العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه
والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب
بالحناء فإن قلت لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة قلت لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة
الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في
الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة
والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا
مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة
فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها

ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه
وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل
فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك
بيوتا غير بيوتكم وقيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن
عباس والظاهر انه عني بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء
كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها
اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب
مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها
خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال
هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يحل امساك
الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله
قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم
ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم
او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية ووضع الواحد موضع
الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشي
اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي
عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرئ عورات وهي لغة
هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم
عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم و
الخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره
اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها
ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد
العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى
المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام

يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما
تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون
بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت
حركتها حركة ما قبلها وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله والله واسع عليم الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم و
آمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد
انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم و
هذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب
المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم
من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه
اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا
ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما
كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي
مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على
الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فان قلت لم خص
الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم
يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم و
الاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد
بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره
وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره
النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا
الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة
ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت
في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي

الثاني زوجت خيرا منها يا اخي لعله صب الله على الخير صبا فاصبحنا الى ما نحن عليه والله واسع اي غني ذو سعة
لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم
خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم وليستعفف
وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا
اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة
وعدا بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم
وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر
اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين
ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة
عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل
مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة
كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه
كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء
بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى
لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا
يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا يمنع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء
البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل
حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما يبني به وان
كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ويجب الوسط
وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل
له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم
يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا
قدرة على اداء ما يكاتبون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال
اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة

واصحابه فان قلت هل يحل للمولى اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة
كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله معناه ايجابا على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم
يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه
كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال
استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على
وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل
انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى
مملوك فقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على
مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى
وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتأتى
الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرهة ولا امرها اكراها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة و
مسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن
عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره
عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف
منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر
فيه فتكون آثمة ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة
للمتقين مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان
يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وبالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز
او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال الذين من قبلكم اي قصة عجيبة
من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات و
المثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها

كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ نظيره قوله الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد
كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور
السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الباطل الى الحق واضافه الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون
به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار
غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته
باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها يوقد هذا
المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة
المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور
لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة
ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في
وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت
بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف
تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده
باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر
بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو
كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور
السموات والارض اي نشر فيهما الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور
من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودريء
بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد

والمفعول الزجاجة وتوقد ويوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع
حرفين زائدين وهو غريب وتمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ
أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن
ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ في بيوت
يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة
التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار
جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر وبرفعها بناؤها كقوله
بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او
تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه عام
له وعام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول واسند الى
احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح ومن يسبح له وتسبح بالتاء
كسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء
وتجعل الاوقات مسبحة والمراد به التكثير عليه او نهاني والمراد به صلاتها والآصال جمع اصل وهي العشي
والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتمر
التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا تشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته
الحقه ما لا يلحقه شرى يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي
الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما يقال رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح
او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض عن العين الساقطة
للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه وأخلفوك
عد الامر الذي وعدوا تتقلب فيه القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب
من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها
فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا
لا تبصر لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ احسن ما عملوا
اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب

فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى**
إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى في
الفلاة من لمعان الشمس وقت الظهيرة فيسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع
وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء مطولة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة
وقد جعل بعضهم بقيعاه بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من
الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما
قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد
زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة
ناصبة ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في
عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام
أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا
أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لجي ذي لج أي عميق كثير الماء منسوب إلى
اللج وهو معظم ماء البحر وفي أخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها أي لم يقرب أن يراها فضلا
عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح أي لم
يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه
من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله
إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق
بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه
في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما ترد في الإيمان والعمل
أو كونهما مستحقين لا ترى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين
وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى
ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم
بما يفعلون ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير صافات يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في
علم لكل أو لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا
كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها **ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف**
بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب
به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار

إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد لا يرضاها
والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليفه أن يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض و
جاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق
بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد
ويكاد سنا برقه على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين
للإتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو
وبالارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالأبصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبي جعفر
المدني وهذا من مزيد الدلائل على وحدانيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السماوات والأرض وكل
ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما
يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما يقتضيه
حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل
والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته
ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر **فإن قلت** متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسبيح من في السماوات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له
ألم تر **قلت** علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي **فإن قلت** ما الفرق بين من الأولى والثانية
والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى
الأول مفعول ينزل من جبال **فإن قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت** فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله
في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك
جبالا من ذهب **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي**
على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا
على المميز وغير المميز فأعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي
على بطن والماشي على أربع قوائم **فإن قلت** لم نكر الماء في قوله من ماء **قلت** لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من
الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام
ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه فمنه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل **فإن قلت** فما باله
عرفها في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي **قلت** قصد ثم معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا
الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح

خلقهما من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه وإن قلت لرجحان الاسما ما ثبت على تغير الترتيب
قلت قدم ما هو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على
اربع وإن قلت لم سمى الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر قد مشى هذا
الأمر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك
او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
أولئك بالمؤمنين وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولي منهم فمعناه
على الأول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي فحسب وعلى الثاني إعلام بأن الفريق
المتولي لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا
عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على
أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون
معنى إلى الله ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا
وفرطه أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل
اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا
يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء و
أرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي وإن يكن لهم
الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم
الظالمون إليه صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو متصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة
وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت
يزدلفون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على
خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الأمر في صدودهم
عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين
الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله
وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة إليه إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون عن الحسن قول المؤمنين بالنصب والرفع

اقوى

أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير
بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا
وقرئ ليحكم على البناء للمفعول وإن قلت الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند إلى المصدر لأن
معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أي
وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك
هم الفائزون وقرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغيره وبسكون الهاء وبسكون القاف
وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا وقد جمع الله تعالى في هذه الآية
أسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه و
يخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت هذه الآية
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون
جهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها و
وكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين
جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا
المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف
الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين
الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة
بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ اليزيدي
طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة إن الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم
وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما
حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين صرف الكلام
عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما
ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن
عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم
نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع
والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه
ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي
شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن
معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم
فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو
دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم
لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا
على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دماء
واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم
الملتقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله
في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كأنه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني
ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته
حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران
النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة
العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل
وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة و
اطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد
ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه و
كررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار و
لبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا
يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد و
ان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين
كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين
لما كانا لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا يحسبن الذين

كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم
يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات
من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم
الآيات والله عليم حكيم امر بان يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار
ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب و
لبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب
اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها
والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان و
راء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة
يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لادى الى الحرج
وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر
رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله نهى
آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه
وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت
ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في
وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في
حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث
عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك
في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان
كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره
على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته
والله عليم حكيم الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم
الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية و
المعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا
عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة

ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن ومن
هذا بما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس
آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وان كانت في حجرك
تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله اتقاكم فقال
ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم
وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون
هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت
قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة سنة فيهما وعن علي
رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت
يداه ازاره فسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام
فقال هل اخضر ازاره والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم القاعد التي قعدت عن الحيض
والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق
الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير
لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال وأحسنها كقوله وان تعفوا أقرب
للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم
سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا
انه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج
وتبلج كذلك ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان
تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او
بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم
ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من
عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها
فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون أكلا بغير
حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم

وعلى

وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تأكل
من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى
الكراهة من قبلهم ولأن الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح
في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف
يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون
لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون وحكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته
وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على
هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذا اذا
فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء
الطائفتين في ان كلا منهما منفي عنها الحرج ومثاله ان استفتاك مسافر عن الافطار في رمضان
وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق
على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم
نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت
التي فيها ازواجكم وعيالكم ولأن الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة
كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم
ووكيل يحفظها له ان يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه
بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت
اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره
واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون
عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم
من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا
حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس
والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر
من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان
وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت
في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم

هكذا وجدناهم

يحدث من مواكلة اكل منفرد وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيي من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله اذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم** اراد تعالى ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرر او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة

اليه وقد عذرهم بما يهمهم ومنهم وفي ذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم** اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فاذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في امره لله تعالى او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء الزلازل والاهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر **الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم** ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي **سورة الفرقان**
مكية وهي سبع وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره و
تكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل
بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق
بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وأمته كما قال لقد أنزلنا إليكم
وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة
ابن الزبير للعالمين للجن والإنس نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله فكيف
كان عذابي ونذر **الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق**
كل شيء فقدره تقديرا الذي رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه **فإن**
قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه **قلت** ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته نزل و
ليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به **فإن قلت** في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره
تقديرا كأنه قال وقدر كل شيء فقدره **قلت** المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره
وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف
والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة
بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه أو سمي إحداث الله خلقا
لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك
أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده لم يوجده
متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون**
شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على
عبادة الله تعالى عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال
العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون أي
لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع
الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله
أعجز **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا**

قوم آخرون اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي
قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على
معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي
يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو
بريء منه إليه **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا** أساطير الأولين ما
سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة اكتتبها كتبها
لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء
للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى
الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه
فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي أساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى
فإن قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها **قلت** فيه وجهان أحدهما أراد
اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة
الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن قول الله تعالى يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت
الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفرح أن أرزأ الكرام وحق الحسن
أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم
قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما أي يعلم كل سر خفي في السموات
والأرض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن
أمر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه **فإن قلت** كيف طابق قوله
إنه كان غفورا رحيما هذا المعنى **قلت** لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه
لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن
يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل **وقالوا مال هذا الرسول يأكل**
الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون
له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن
هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه و
تسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن
رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل
ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل

ما يتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار
والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا
يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين
والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم
وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء و
نأكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه
حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف
عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون
هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله
او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
ضربوا لك الامثال قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة
بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه
او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها
الانهار ويجعل لك قصورا تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل
لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل لك بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع
ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز حرام
في ويجعلك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو
بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب
من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى
هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير النار الشديدة
الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا
على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ
والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم واذا
القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار

انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في
تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك
ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء
بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم
بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء و
مصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا الراجع الى الموصولين محذوف يعني
وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان او كان
مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم
جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت
مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة
وان لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة
فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا
على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد
المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا
فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا
رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به
الوصف كأنه قيل ومعبودهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير
افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال
عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه
حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤل عنه فان قلت فالله تعالى قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال
قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم و
يكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة

اذلك ولكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر لقول من زعم ان الله يضل عباده على
الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم
ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل
جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب
هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا
منهم فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة
والتمتع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي
اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا
بل انت اضللتهم والمعنى أأنتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع
اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق
وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياط في حفظه قيل ضل مثله سواء كان منه فعل او لم يكن **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** سبحانك تعجب
منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس
وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم
ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان
يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك
او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان
يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نُتّخذ على البناء للمفعول وهذا
الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال
الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى
واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى
مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من
حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور
الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ **فقد كذبوكم بما تقولون فما
تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا** هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام
حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوه قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم

رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء
فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء **فان قلت** هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء **قلت** اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار
والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء
والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرفا للعذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي
يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**
الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف
اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد
وقرئ ويُمشّون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يُمشّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل
هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج
عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه
ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم
وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في
صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه
كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء
ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم
لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع
دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد
اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض
وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا

عتوا كبيرا اى لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء فى لغة تهامة الخوف وبه
فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات
ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه
ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا
ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت
وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى فى انفسهم
قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه كما قال ان فى صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ
فى افراطه يعنى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب
قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى اسلوبها قول القائل وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا
علت ناب كليب بواؤها وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد
استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين**
ويقولون حجرا محجورا يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اى يوم يرون الملائكة
يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى
يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر فى موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا
ذكره سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك
الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة
قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب
من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكأن المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل
او فعل فى قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت
لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربى منكم وحجر **فان قلت** فاذا قد ثبت انه من باب المصادر
فما معنى وصفه بمحجورا **قلت** جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان و
موت مائت والمعنى فى الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم
القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه
عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم
الغفران والجنة او البشرى اى جعل الله ذلك حراما عليكم **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه**
هباء منثورا ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التى عملوها فى

كفرهم

كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال
قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق
ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى امثالهم اقل
من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه
لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف
مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكل ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا
او مفعول ثالث لجعلناه اى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين
اى جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة **اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا**
المستقر المكان الذى يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذى
يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين فى الدنيا يعيشون على
ذلك الترتيب وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار
وفى معناه قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون
قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور
مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور
الى غير ذلك من التحاسين والزين **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** وقرئ تشقق و
الاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيرهم ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام
كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به **فان**
قلت اى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات **قلت** معنى انشقت به ان الله شقها
بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام
يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل الملائكة وننزل الملائكة ونزلت الملائكة
وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل قراءة
اهل مكة **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا** الحق الثابت لان كل ملك يزول
يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا**
يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان
للانسان خذولا عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرع

كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتقي الكلام به في
طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى
عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان لا
ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك
حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل
ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر
امر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال اين الصبية قال
الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان يكون
للعهد والمراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك
معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي
سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي
ويله وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى فلانا كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن
اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه
لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزيمته على الاسلام
والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة
او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من
تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله
اختلفت القراء على الادغام والاظهار والادغام اكثر وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية
وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا
ثم اقبل عليه مسليا ومعزيا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان
به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء

يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا
هذى اي جعلوه مهجورا فيه بحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير
الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز
ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا
كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن
تفسيرا نزل هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت
الكتب الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة
لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او متفرقا وقوله كذلك جواب
لهم اي كذلك انزل متفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى
قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول
صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين
كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا
فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك
الا فيما انزل مفرقا   ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدمه هو
انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا   لان قولهم لولا نزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا
والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة
من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وتساقطوا على اقسامهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة
ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على
الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدرناه اية بعد اية
ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي
اقرأه بترتيل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه
لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه
وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة
متقاربة ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق
الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام

وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا او لا ياتونك بحال عجيبة
يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يكون معك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون
لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما
هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما
نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة واحدة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في
فصاحته مع بعد ما بين طرفيه **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل**
سبيلا كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو
نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل
من سبيله وفي طريقته نزله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز
ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا و
وصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث
ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا**
معه اخاه هرون وزيرا الموازرة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان
يوازر بعضهم بعضا **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا** المعنى فقد فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك الحجر فانفلق لانه اختصر القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها
لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي فدمرتهم
وعنه فدمرانهم وقرئ فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح لما كذبوا الرسل**
اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل
صريحا او كان تكذيبهم له تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا
اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما
ان يتناولهم بعمومه **وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا** عطف عادا على هم
في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى
تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش
فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهي البير
غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس القرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا
وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم
ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له دمخ وهي تنقض على صبيانهم

فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل
هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم
ورسوه في بئر اي دسوه فيها وبين ذلك اشارة الى ما ذكر ولذلك يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود **وكلا ضربنا له**
الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين وه
صفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير
ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو
انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له **ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا**
يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها
وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت
بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة
بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم
ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يامله المؤمنون لطمعهم في الوصول
الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية **واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث**
الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من اضل سبيلا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في
معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وقوله
بعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولولاه
لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات
والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة
آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله
من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا فانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث
لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله **ارايت من اتخذ الهه هواه افانت**
تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل باب في دينه ولا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو

عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى
أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين وهذا كقوله وما
أنت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر
ومنهم الحرث بن قيس السهمي أم منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت
بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره
عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم أرجح ضلالة منها **فإن قلت** لم أخر هواه والأصل
اتخذ الهوى إلها **قلت** ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق **فإن قلت** ما معنى ذكر الأكثر **قلت** كان فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا داء واحد وهو حب
الرياسة وكفى به داء عضالا **فإن قلت** كيف جعلوا أضل من الأنعام **قلت** لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها
وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها و
مشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي
هو المشرع الهني والعذب الروي **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى
مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل و
بناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون
الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان و
زائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أنه ينسخه بضح
الشمس يسيرا أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة
واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس **فإن قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها **قلت** موقعها
لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في
الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا
الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن
قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه
كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير

وهو

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام الليل
باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
فإن قلت هلا فسرته بالراحة **قلت** النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع
دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد
دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة أي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا** قرئ الريح والرياح نشرا
إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته
استعارة مليحة أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا
لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة
فالصفة ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار
وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا
بطهور أي بطهارة **فإن قلت** ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور **قلت** تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن
تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في البدن في أداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس
ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور **فإن قلت** فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال
الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه **قلت** قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى
البساتين وإنما قال ميتا لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول
ومفعال ومفعيل وقرئ ونسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا الأناسي جمع إنسي
أو إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء
أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم **فإن قلت** إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن
بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش **قلت** لما كان سقي
الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين
أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربأوا بأنفسهم عن مخالطة
القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم **فإن قلت** لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب **قلت** لأن الطير
والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم
متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم **فإن قلت** فما معنى تنكير الأنعام والأناسي

ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقريب من الاودية والانهار ومنابع الماء
فيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله
لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام
على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على
سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا
فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في هذا القرآن وسائر الكتب و
الصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه
ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور
وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن
الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي
وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد
ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات
عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا
يريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها
وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر
ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او
لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من
جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام
ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى
لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها
فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا و
حجرا محجورا سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج
نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم
اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا

من

من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف
من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له
حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل
كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا
ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من
دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل
بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل
ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس
وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع
ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول
ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه
فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين
احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية
اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب و
لعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله
سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله
وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند
امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه
وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون
وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده
شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة

لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا
وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الا
فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد
اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا
نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش
ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود و
الكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب حكمة من الايمان وقد
نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها
في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في
لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدا
والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرى الرحمن بالجر
صفة للحي وقرى فاسل والباء في به صلة سل كقوله سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسال به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه و
فتش عنه وتفحص عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او
فسل بسؤاله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا كقولك رايت به اسدا
اي برؤيته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل
الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك
من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة
وكان يقال له رحمن اليمامة **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا و**
زادهم نفورا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول
بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم
انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى تامرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرى بالياء
كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن
لانه هو المقول **تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا** البروج منازل الكواكب
السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي

والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق
البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرى سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار معها وقرا الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا
بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد و
العرب والعرب **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا**
الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى
جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال
يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه
وقرى يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال
الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون
بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن
رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في
النهار مستعتب **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون**
قالوا سلاما وعباد الرحمن مبتدا خبره في آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك
يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافتهم الى الرحمن تخصيص وتفضيل وقرى وعباد
الرحمن وقرى يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر
موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون
هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار
وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق
ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما
فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه
وقلة الادب وسوء الرعة من قوله ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها
آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة و
الشريعة واسلم للعرض والورع **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** البيتوتة خلاف الظلول وهي ان
يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل

ثم الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان
يظل صائما ويبيت قائما **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما**
إنها ساءت مستقرا ومقاما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا
وكانا غراما وقال إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالي ومنه الغريم لإلحاحه ولزامه وصفهم
بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون
إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها
ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو
الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا
حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها
ويقتّروا بالتخفيف والتثقيل والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف و
الإسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسوله
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي فأما
في القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز
أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت و
جاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام
دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد
ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما
يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر
رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيئا إلا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة
الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام من الاستقامة والسواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام
به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعني بين ذلك
وقواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا
مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب
منها غير أن نطقت وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لأن ما بين الإسراف والتقتير
قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا**

يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له
العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا
حرم الله أي حرمها والمعنى حرم قتلها وإلا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفي هذه القبائح
العظام على الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش و
غيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن
مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن
تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه
أثاما وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مر مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال
جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والعقوق له أثام وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود
أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لأنهما في معنى واحد كقوله متى
تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ يضعّف ونضعّف له العذاب بالنون
ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلّد على البناء للمفعول
مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل
وكذلك سيئاتهم **فإن قلت** ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال الحسنات سيئات **قلت** إذا ارتكب المشرك معاصي
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فضوعفت العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات
حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك
إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل
في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب
متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين
وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فإنه
يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأي مرجع **والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا**
كراما يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن
مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لأن مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة
إلى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده
والزيادة فيه لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه وفي مواعظ عيسى
ابن مريم صلوات الله عليه إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف

وأقيم المضاف إليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح كنوا عنه **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا** لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وإنما هو إثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما** قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أولادهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا إماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أراد واجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة **فإن قلت** من في قوله من أزواجنا ما هي **قلت** يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **فإن قلت** لم قال قرة أعين فنكر وقلل **قلت** أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما** المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ ويلقون كقوله ولقاهم

نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق أثاما التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهلها في جنتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما** لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ علي كما تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة **فإن قلت** إلى من يتوجه هذا الخطاب **قلت** إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة باخع

تمسك على ما فهم إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أراد آية ملجئة إلى
الإيمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحاً ونظيره فأصدق
وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا وقرئ فتظل أعناقهم فإن قلت كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن
الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله
كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين
كقوله لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم هم الرؤوس والنواصي
والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم
وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا
عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أي وما يجدد
لهم الله بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جددوا إعراضاً عنه وكفراً به فإن قلت كيف خولف بين الألفاظ والغرض
واحد وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا
عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان
قابلاً للحق مقبلاً عليه كان مصدقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقاً به كان موقراً له
فسيأتيهم وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا
يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم أولم يروا إلى الأرض كم
أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو
العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال
وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه
أي من كونه مرضياً في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع إن في إنبات تلك الأصناف
لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم وإن ربك
لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً فإن قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو
قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن
هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فإن قلت فما معنى وصف الزوج
بالكريم قلت يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من
جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما
جميعاً بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لغرض صحيح ولحكمة

بالغة

بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون فإن قلت فحين ذكر الأزواج ودل عليها
بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال لآيات
قلت فيه وجهان أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الإنبات لآية أي آية وأن يراد
أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم
الظالمين قوم فرعون ألا يتقون سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان
كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء
ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم
أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا
يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فإن قلت بم يتعلق قوله ألا يتقون قلت
هو كلام مستأنف أتبعه تعالى إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيباً لموسى عليه السلام
من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل
أن يكون لا يتقون حالاً من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار
على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار
والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية
وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم
تستح من الناس فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت
إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه
مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في
شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر
النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ويضيق ولا ينطلق بالرفع لأنهما معطوفان
على خبر إن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل
التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة فإن
قلت في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي
غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم
وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي
كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فإن قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى

ان يكذبون ويضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان
يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين
اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه
قوله تعالى واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا
وآزرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في
الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن
قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي
القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة
كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم
فان قلت كيف ساغ لموسى صلوات الله عليه ان يأمره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف
وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده
باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد
ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى
بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا
بآياتنا انا معكم مستمعون اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني
ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا
وقود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة
فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة
قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل
عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله
كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه
بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على
الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم
مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري
بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون
مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف
على الحقيقة بانه سامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الا
صغاء

والاستماع

والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا
انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك قلت
الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى
الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر
نحو صوم وزور قال الكني اليها وخير الرسو ل اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول
بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان
حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما
رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا
من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا
لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق
كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى
فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن
له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فحذف فاتيا فرعون فقالا له
ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة
وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي
وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة
القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمه
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت
فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذاك من الكافرين بنعمتي
او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله
تعالى عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله في
الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص
المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد

كانت لهم آلهة يعبدونها تشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك فأجابه موسى صلوات
الله عليه بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الضالين أي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من
قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته
بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية
فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد
بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه
بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته
عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان فإن قلت إذا جواب وجزاء معا و
الكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما
فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو
ذلك الجزاء فإن قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا
منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة
إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله
تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال
الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل
ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما
بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن
رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال
لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين
قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء
هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه
ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وإما أن
يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي
في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة

التي

التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال
فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية
فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى
قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري وهذا
يدل على صحة هذا الوجه الأخير فإن قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع قلت أريد وما
بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين
عن فرعون وملئه الإيقان قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم
هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة دليله
فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة وكانت للملوك خاصة
فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد
ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه
من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة و
حال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين
وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل
إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ
رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم
تعقلون قلت لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض
إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون فإن قلت ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا
مؤداه قلت أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني
وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من
الصادقين الواو في قوله أولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو
جئتك بشيء مبين أي جائيا بالمعجزة وفي قوله إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في
دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم
يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين
بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه
فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء

المردفة بالشعوذة والسحر روي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى
فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها
فعادت عصا ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين للنظارة يدل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة
على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها
فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار و
يسد الأفق قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون
فإن قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب على اللفظ ونصب على المحل فالعامل في النصب
اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين
وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق
يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه وقوله إن هذا
لساحر عليم قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي
هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب
إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخير قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم قرئ أرجئه وأرجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته و
أرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون
لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة و
عارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه
ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الأعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم
يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون هل أنتم تجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد استعجالهم واستحثاثهم
كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس
قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق
يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين لعلنا نتبع السحرة أي في دينهم
إن غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون

أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
ولما كان قوله أئن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه
ومدخلا في حكمه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى
الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى ألقوا ما أنتم
ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزة فرعون وهي
من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته
كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا
وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى
وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه
فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف
ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه
فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة
روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه
فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور
بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا
ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فإن قلت فاعل الإلقاء
ما هو لو صرح به قلت هو الله تعالى بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا
تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون رب موسى
وهرون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته
إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى قال آمنتم له قبل أن
آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
ولأصلبنكم أجمعين فلسوف تعلمون أي وبال ما فعلتم قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن
يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك
بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض
الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت
والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع

ربنا م

في مغفرته ونتحول رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وتحقيقا لعدم الضير ويشير الى ذلك ان كنا
ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول الجماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ
ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين
ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم
متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون
وانا لجميع حاذرون وقرئ ان اسر بقطع الهمزة ووصلها وان سر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون و
جنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا
مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا
بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم
بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري
فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع
عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم
شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بقول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم
للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة
الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم
يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور
فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن
به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر المتيقظ والحاذر
الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين
القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم اقوياء اشداء وقيل
مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام الكريم المكان يريد المنازل الحسنة و
المجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم

مشرقين كذلك يحتمل الوجوه الثلاثة النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف
لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم
فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق النجاة من
ادراككم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع
ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة ابعد
بني امي الذين تتابعوا ارجي الحياة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى
منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم الفرق
القطعة المتفرقة منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم الآخرين
وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين وازلفنا ثم وحيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون
اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ
وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ
زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه وعن
عطاء بن السائب ان جبرائيل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم
ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي
موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا ادري ما اصنع فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وقد كان يوشع قال يا
كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه
البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء
ويقال هذا البحر هو بحر قلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ان في ذلك لآية اي آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس
وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم فلا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء
قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه
الرحيم باوليائه واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه
ليس من استحقاق العبادة في شيء كما يقول التاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق
جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود حسب وكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله

ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء
قد جاؤا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار
ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة
نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري
الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل **قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون** لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اي هل
يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية
معناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا وهذا ابلغ في التبكيت
**قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين** لما اجابوه بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى
غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان
وانما قال عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو
فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا ليبني عليها تدبير
امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم
الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من
التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى
عن الشافعي رحمه الله ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون
في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوي
مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع
والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين **الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين** فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي
لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه ان يتغذى بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه لكيفية الا
رتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب
المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى

ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون
مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض
كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع
مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون
لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم
الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم **رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه
كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم**
الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين
ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين
والاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور
وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني في
يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه
تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة
قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف
وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا
ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع
اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى
الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته
من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هكذا حاكيا
لما قال ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير
تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن
ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على
آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه

بان يكون خميئة ضعف ان يكون حجة ثم سوق المسئلة في نفسه وقومهم حتى تخلص منها الى ذكره له تعالى
معظم شانه وعدد نعمه من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع
ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه
وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا
ويطيعوا **وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من**
دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف
السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم هم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء
بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها وانما تكون قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اجتمع عليهم الغموم كلها والحسرات فيجعل النار بمرأى منهم فيهلكون
غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرهم لكم او هل ينفعون انفسهم
بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت
لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب
مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار **وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها**
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون وجنود
ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول و
التخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم
كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدوا بهم وعن ابن
جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**
فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا
يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء
لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجن
او انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم
من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من
الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص **فان قلت** لم جمع الشافع ووحد الصديق **قلت** لكثرة الشفعاء
في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته
رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما

يهمك

يهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع **فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين**
وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا
كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا
كيت وكيت **كذبت قوم نوح المرسلين** القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وتكذيبهم للمرسلين والمراد نوح
عليه السلام كقولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد **اذ قال لهم اخوهم نوح الا**
تتقون الله لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون
اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا **اني لكم رسول امين** كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد
صلى الله عليه وسلم في قريش **فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين**
فاتقوا الله واطيعون واطيعون في نصحي لكم ودعائي اياكم الى الحق عليه على هذا الامر على ما انا فيه من
دعاء ونصحه وتكرير فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرر ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع
تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم **قالوا انؤمن لك**
واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما
انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقرئ
واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في اتبعك
وتجمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة الخسة والدناءة وانما
استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت
اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي وما خفي علي ان
المراد انتفاء علمي باخلاصهم اعمالهم لله واطلاعي على سر امرهم وباطنهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع
استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغافل لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة
عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول
ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم
ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل

حيث سبكم وتقصد بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم
نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما أنا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني أن أتبع شهواتكم
وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما علي إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم
فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ليس هذا بإخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه
أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك
ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل
بين الخصومات فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود
ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري
إلا على رب العالمين الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن
قفل والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان في قولك العرب والعرب و
الرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص
فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والكسرتان اللتان يتعاقبان عليهما علم خلافه ومرجحا لا أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين ريع بكل ريع
بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يخفضها ويرفعها ريع يلوح كأنه سحل ومنه
قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم
أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام و
المصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه
حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا وإذا بطشتم بسوط
أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون
تعجيل العذاب متفكرين في العواقب فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم
بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها
ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها
عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمه وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب
والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فإن قلت كيف قرن البنين
بالأنعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن

لتكونن من المخرجين من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على
أسوأ حال من تعنيف به واحتباس أملاكه كما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان
يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة قال إني لعملكم من القالين ومن القالين أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال
كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعرفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد و
والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في
دين الله حتى يقرب كراهة المعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني وأهلي مما يعملون بما يعملون من عقوبة
عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم فإن قلت فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا
قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة
عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة
فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق
الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور
صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار
فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه
مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول
أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين قرئ أصحاب
الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم
بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف
أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب
أصحاب النحو لأن ولي على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة
واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فإن قلت
هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث أن شعيبا
أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الكيل على ثلاثة أضرب

يوم عظيم فان قلت لما قال اوعظت ام لم تعظ كان راجعه والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد فبينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في
قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به
اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا
ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا
خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة و
الموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون
تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغيرها مع الامن والدعة فيما هاهنا في
الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان
قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الا
زواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير
تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده
عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعة
هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفها شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان
الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة
الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج
كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين وقرأ الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ
فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا
امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر
المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى

واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان
تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم
قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين
مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم
وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في
الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم
انواع الفساد فنهوا عن ذلك واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن
الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في
قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان
الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه
مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه
قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب
ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط
علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين وقرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع
وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما
كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان
يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء قال ربي اعلم بما
تعملون ربي اعلم بما تعملون من المعاصي وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم
باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا
المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم
ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت
مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة

وآخرها

فاطيعوا امري وان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان افسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من
الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر
مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه
بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ
من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح
يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا
مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها
فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب
لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد روي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا
يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد
ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض
الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم التائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم
على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم أتأتون الذكران من العالمين
اراد بالعالمين الناس اي اتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا
قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما
خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون
للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكأنهم كانوا
يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية
على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان
حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين عن نهينا وتقبيح

الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع
في هذا الاسلوب فيحل موقعه أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف
يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا
يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه
حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه
غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون اشرا و
بطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما
أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك
ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان
يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون
بالتخفيف وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم ذكرى وما كنا ظالمين
ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال
من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة
والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى
منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان
يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم
الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا
ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم
تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة
لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون كانوا يقولون ان محمدا كاهن
وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا
يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه
انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما
قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون
وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته
الشياطون ظن انها النون التي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة

فلا ينبغي ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه
لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال فان كنت
في شك مما انزلنا اليك وانذر عشيرتك الاقربين فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب
من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا
العباس والثاني ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار و
التخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني
هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني
من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة و
يشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم
شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن
من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني
بريء مما تعملون الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع
جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير
بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون
والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول
في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين
والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان
اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله
وغيره وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع
العليم وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر
على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا
اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد المتوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه

وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها
تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس
وتثبيتا لها في الصدور ولانه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان
وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل
ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في
نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك
اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما
ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب و
اسمعيل ومحمد صلوات الله عليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لانه لو نزله
باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان
تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا
لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل
عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام
يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان
نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين
اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا
به مؤمنين وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة
رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه
لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا في ان يعلمه وليس بواضح
وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وان
يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في
تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشأن وان
يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام

وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط
في المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة
والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء
النسبة زيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له
اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد
ولا عربيا شاقه صوت اعجما كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا
انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض
بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه و
صفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم
يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض
الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا عن ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به
لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه
في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه
فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت
كيف اسند السلك بصفة التكذيب اليه قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن
واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح
فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله
لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع
الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على
التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرا الحسن
فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود
وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه
بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون
فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة

الامر

[illegible] تعالى وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان في
العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته
ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف
يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة
بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن
مقاتل انه سأل ابا حنيفة رضي الله عنه هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه
الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما
تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم اتموا الركوع
والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم الكهنة
والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع ثم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون
الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحونه الى اوليائهم من
اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي
المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع
من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما
يحكمون به باطلا وزورا وفي حديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر
الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على
معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من
فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت
يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك
لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون
فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون

اوله
سائل فوارس يربوع بشدتنا

الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن
الجني وأكثرهم مفتر عليه فإن قلت وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء
بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت
كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد
ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء يتبعهم الغاوون والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه
أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب و
النسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا
الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن
الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن
أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم
وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه
حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم
بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل
لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه
حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وأنهم يقولون
ما لا يفعلون وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق
الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن
وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد و
الآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا
يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب كقوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أن رجلا من العلوية
قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه
كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان

كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش
وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل
وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب
المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا و
إطلاقه وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف
الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن
تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس وأي منفلت ينفلتون ومعناهما أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من
عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية
بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليهما

سورة النمل
مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والإمالة وتلك إشارة إلى آي السورة و
الكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة
وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف و
إضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة
إليه فإن قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك
مقتدر فإن قلت ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن قلت كما تعطف إحدى الصفتين على الأ
خرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان
حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن
أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فإن قلت
ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف و
المعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو
قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم هدى وبشرى للمؤمنين هدى وبشرى في محل
النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على
ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات

[illegible]

بين المعطوف والمعطوف

وانهما هدى وبشرى والمعنى في كونهما هدى للمؤمنين انهما زيادة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون** فان قلت
وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة
عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم
حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف
العاقبة يحملهم على تحمل المشاق **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون** فان قلت
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين
الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم
البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول
انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع
شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة
فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى
نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند
اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم
فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض
الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم
اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر
والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة
وثواب الله **وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم
وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك
من لطائف حكمته ودقائق علمه **اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس**
لعلكم تصطلون اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام
ويجوز ان ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك
ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى
القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما
يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان

مطلب اسناد التزيين تارة الى الله تعالى وتارة الى الشيطان

احدهما راج والآخر متيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا او سيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة
فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما
اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما
ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ان هي المفسرة
لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان يكون المخففة من الثقيلة وتقديره
نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها
علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها
ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار
والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى
واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في
اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة
وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك
الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة
في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء
صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله
رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان
الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون **يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم** الهاء في انه يجوز ان
يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى
ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما
اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية
الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير **والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب**
يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك

من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك
والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما
تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من
التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال
عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا
وانما رعبه لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه
لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم
منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة
يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى
وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة
حسنا **وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه
انهم كانوا قوما فاسقين** في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى
اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز
ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان
يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم **فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة قالوا هذا سحر مبين** المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها
لانهم لابسوها وكانوا بسببها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها
من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه كقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كأنها تبصر
فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان
الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو
مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما و
علوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة و
العلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس

انهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين
المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله
ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا **فان قلت** اليس هذا
موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر **قلت** بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان
ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال
ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير
المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي
الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل
القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات
وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام
بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم
على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر **وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين** ورث منه النبوة و
الملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله
وقال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر
المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد
والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات
الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من
منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك
رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح
طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه و
صاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول
سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء

يقول قل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت
آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واوتينا
من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده
ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا
فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبر
قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد
المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم
ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه سياسية مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا و
قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح
في عين عدوه الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفين حتى تمر عليه الكتائب وحشر لسليمن جنوده
من الجن والانس والطير فهم يوزعون روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون
للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت
من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة
الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة و
حولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس و
ترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر
الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء
الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في
اذنه فنزل ومشى الى الحراث فقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم
التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على وادي النمل
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون
قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من
فوق فاتي بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني
ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا

عند منقطعه لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوا لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم
الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه
كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمن
كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال
سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن
اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من
كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة
في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ
مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم
ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت
لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون
بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا اريتك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود
سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين يعني تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز
حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ
على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت
شيان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم
في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم
يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناها
ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل
الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت
عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما
دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في
الهوا فامر سليمن عليه السلم الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى

وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان
مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر
لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كأنه يسأل عن
صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين تم له بناء
بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف
ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى
ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في
الزجاجة فتجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين
نزل سليمن حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له
من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة
الف فذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن
فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه
ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها
الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه
وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء
جنسه وقيل كان عذاب سليمن للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس
وقيل ان يلقى للنمل يأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة
الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت
من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة
كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله
الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتيني والسلطان
الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه
على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلثة

باو في

بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان
لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب
حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن
دراية وايقان فمكث غير بعيد قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله
عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا
له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى فقال احطت بما لم تحط به و
جئتك من سبإ بنبإ يقين احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله الهدهد
فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات
الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة
والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون
الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب
بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال من سبا الحاضرين
مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض اعناقهم
جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد
ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام
الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او
يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن
وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في
النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء
ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض و
يعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي
وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبإ فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان
اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين

تمثل لتنين بكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر
واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان
يرى من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا
يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله
للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي
عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرارا من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ
كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما قلت
بينهما فرق بين لان سليمن عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما
اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم
يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على
سليمن مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب
قلت لعل الله تعالى اخفى ذلك عنه لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلم فان
قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته
الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان
المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه
بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد
اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا
يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه
محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش
هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة
ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء
بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف
والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجري الوصل مجرى الوقف لا على لغة
من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء وقيل
من احطت الى العظيم من كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام
الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض

حلت فعلمت معرفة الهدهد عليه ولا كان يحترز في علم الفراسة النظار بمن بالله تعالى وكل مختص بصناعة او
فن من العلم في ذمانه وخطيئته وقد سماه مالك هذا اورده ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان
قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم
للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا
في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما
ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف
بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على
الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش
بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم
له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر
ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين
سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه
اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به
فلم يوثق به اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون تول عنهم تنح عنهم الى
مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك وينظر ما يرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض
القول فقيل دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ
الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر
الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك قالت يا أيها الملؤا إني ألقي
إلي كتاب كريم كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكريم لانه من عند ملك كريم او مختوم
قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون
الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به
وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم إنه من سليمن وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي و
أتوني مسلمين هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو
وما هو فقالت انه من سليمن وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمن وانه عطفا على اني وقرئ
انه من سليمن وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان
ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمان وان بسم الله

على أن المفسرة وأن في ألا تعلوا مفسرة ايضا ألا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرئ بالغين المعجمة
من الغلو وهو مجاوزة الحد وروي بان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا
السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا
يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا
رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية
وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون
حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري
فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين **قالت يا ايها
الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون** اشيروا علي الجواب في الحادثة استعطفت عليهم في
الاستعانة من الفتيا في الحادثة والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي
والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب
نفوسهم ليمالؤوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضر
منكم كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف **قالوا نحن اولو قوة و
اولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين** المراد بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات و
العدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك
نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة
وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نتبع رأيك **قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم
يرجع المرسلون** لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن
ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها
اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون اي وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي
لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية
وما رأت من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد تعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف
فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما
يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك وروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور

والاطواق

والاطواق والقرطة راكبين خيلا مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر و
خمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر و
الياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من
اشرافها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري و
ثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك
فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمن فامر الجن فضربوا لبن الذهب
والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر
باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما
دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم
ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه فقال
لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا
بالماء وكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه
يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف **فلما جاء سليمن قال اتمدونن بمال فما آتاني
الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون** وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني و
بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم
المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية
فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما
عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني
من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف
حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية **فان قلت** ما الفرق بين قولك اتمده
بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء **قلت** اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي
عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه
حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه

وعليه ورد قوله فما آتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان
يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان يجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى
بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل
ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد
محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم و
قرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك و
الصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها
الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلم
فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت
به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلم باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها و
يريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما
يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له
اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من
الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين وقرئ عفرية والعفر و
العفريت والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين
الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن
كفر فان ربي غني كريم الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن
وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمن وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل
ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطا العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع
مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلم علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي و
الشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم
فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال

الطرف

نسخه

في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف و
وصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده
ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلم مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد
عينيه فنظر نحو اليمين ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله
قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا
في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة فيشكر لنفسه لانه يحط به عنها
عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد النعمة الموجودة
وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقلعت نافرة فرجعت
في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان
عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون
النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر
اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر
الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على
الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان
بنبوة سليمان اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت
عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا
عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع
في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمن وملئه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان
المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اورد فيه سليمان وملؤه ما يناسب
قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي
عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة
المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته
وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم
بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين
وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام

بلقيس موصولاً بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان من قبل هذه
المعجزة او من قبل هذه الحالة بما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال
الله تعالى وصدها ما قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان
عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صدّ او
بمعنى لانها **قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد**
من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين الصرح القصر وقيل صحن
الدار وقرأ ابن كثير ساقيها بالهمز ووجهه انه جمع سؤقا فاجري عليه الواحد والممرد المملس وروي ان
سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقى فيه من دواب
البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي
اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون
من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها
كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل
هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها
وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له
وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع
ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي يريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة
فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله**
فاذا هم فريقان يختصمون وقرئ ان اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن
وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة
العقوبة والحسنة التوبة **فان قلت** ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا
متوقعتين احديهما قبل الاخرى **قلت** كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على
زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم يقع فنحن على ما نحن عليه
فخاطبهم على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون
تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم**

صالح م

عند الله

عند الله بل انتم قوم تفتنون كانوا اذا خرجوا لسفر فمر بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر
بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد
الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه
الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال
طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان
شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله
طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير تشاءم
به وتطير منه نفر منه بل انتم قوم تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر وانما جاز تمييز
التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من
الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد
رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي
قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم لا
يصلحون يعني ان شانهم الافساد الخالص الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر
منه بعض الصلاح **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله**
وانا لصادقون تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا
وقرئ لتبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يحتمل الوجهين ومع الياء لا يحتمل
فيه الا ان يكون حالا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا
وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم
واللام وكسرها من هلك فيكون الاول مصدرا والثاني يحتمل المصدر والمكان والزمان **فان قلت** كيف يكونون
صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه **قلت** كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا
صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين
لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين
لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان
يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب **ومكروا مكرا ومكرنا**
مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر

على سبيل الاستعارة وروي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث
فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله
فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم
ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم
وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف
ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا
او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم
يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية
بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون أئنكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه واذ بدل على الاول وظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم
تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في
حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبح من الله
منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم
يرتكبونها معالنين لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس
بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون
آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون
علما وجهلا قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد
بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت
الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهور النصب
يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس
هو استهزاء فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على
الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته

وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل
وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم
اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر
هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة
وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل
هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل
هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم
وعصمه من ذنوبهم ومعلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء ومالكه
وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر
عاقل شيئا الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه
وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون
ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد تعالى
الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون
فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه
منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض
تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه
ان يجعل بدلا من الله كأنه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار
عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان
انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء
واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة
رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات
بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا

وقري الهاتم الله بمعنى اتدعون او اتشركون وذلك ان يحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية
بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا وجعل
خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
امن جعل بدل من امن خلق وكان حكمها حكمه وقرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا
كقوله برزخا أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله
قليلا ما تذكرون الضرورة الحالة المحوجة الى اللجأ والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى
كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ و
التضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر
فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة
موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل
على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك
توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون
بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يتذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي
التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته أاله مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات
في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم
من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان قلت كيف
قيل لهم امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار
فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاتوا
دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون
فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون
ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قول عنترة ما عنيت الا الرياح
ولا النبال الا الشرقي المقسم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي
الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير
بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني
علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها

انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون
الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى
ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة و
مجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام
تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما
فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه
عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا
نصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقرئ بل
ادرك بل ادارك بل تدارك بل اأدرك بهمزتين بل آدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه
ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم في الآخرة
انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان
القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم
في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع
كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب
وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لائم
هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت
لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان
هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به
والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل
الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقته الذي
لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت
الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل ادرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار

لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة وقرئ بلى ادرك
وبلى ادرك فإن قلت لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك
علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم
لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن
تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فإن قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها
قلت ما هي الا تنزيل لأحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة
ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب
وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشوف الى طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا
ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة
والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا
أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين العامل في اذا ما دل عليه
أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يديه عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء و
واحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف
الاستفهام بادخاله على اذا وإن جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه
والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فإن قلت قدم في هذه الآية هذا على
نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض
المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام
وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين لم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم وأراد
بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
ألا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما
يمكرون ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومك وقريشك كقوله فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان
الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف
الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم ويقولون

متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون
استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد
كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي
بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم
بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر
وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى
وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون الفضل والفاضلة
الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها
واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب بهم وقرئ تكن
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وقرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني
انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك
بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين سمى الشيء الذي يغيب ويخفى
غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة
في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر
من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في
اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن
بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود و
النصارى وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم
ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فإن قلت ما معنى
يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل
فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم
بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله
انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون امره بالتوكل على الله وقلة
المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان

ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل قوله انك لا تسمع الموتى اي الكفار
تعليل آخر للتوكل فاوجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك
ان يعلل توكله ثانيا بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم والاستكفاء
لشرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا
اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى
الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث
يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى فان قلت ما معنى
قوله اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد
عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود
وما ان تهتدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده
عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم انهم يؤمنون بآياتنا اي يصدقون
بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا
وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد
مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها
ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن
جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر
وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام ويروى
لا يخرج منها الا رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج
ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج
ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا
فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار
بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون

بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان
الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ لهم صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها
عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضا
فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء وجهه او تترك وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر
بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ويروى تجلو وجه المؤمن بالعصا
وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ
تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على
معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما
فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم
بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول
او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية
لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قلت قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بآيات ربنا او لاختصاصها
بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك
خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر
من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك
وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر
قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
والثانية للتبيين كقوله من الاوثان حتى اذا جاءوا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا
كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال كأنه قال اكذبتم بها بادي
الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف
اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب
من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه اماذا كنتم تعملون بها
لا عن ذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق

بينها

بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به
وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها
مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي
الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب
بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية
وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول
عليهم يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق و
الاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن
في ذلك لآيات لقوم يؤمنون جعل الإبصار للنهار وهو لأهله فإن قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير
المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين فإن قلت لم قيل ففزع دون فيفزع
قلت لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض
لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين
يصعقون إلا من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل و
ملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لأنه
صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله و
قرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل
معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما
تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع
الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي
تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها
كما قال النابغة في صفة جيش بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر
المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم
ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعا

قبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي أتقن
كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها و
إجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص
ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة
إضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى و
أخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه
ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما
وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة إن الله لا
يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ بما تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الإضعاف وأن العمل يتقضى و
الثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهي
الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الإضافة لأنه
أضيف إلى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فإن قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الأول هو ما لا
يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن من أهل الجنة
به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان و
تولية وأما الثاني فالخوف من العذاب فإن قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين
من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا
يخلون منه لأن البشرية تقتضي ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة
لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقيل السيئة
الإشراك بالله عبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها و
يجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الا
لتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك
بغافل عما تعملون أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت
قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن من التلاوة أو من التلو كقوله
واتبع ما يوحى إليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده
إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما

بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت
واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي
هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد
لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها
واللاجي اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة
الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا
فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها وان اتل عليهم هذا القرآن
عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن
ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما
خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة
والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان و
انشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
الآية وكل عمل تعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو
من وراء جزاء العاملين وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس
سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح و
ابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله ه سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون
من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون
لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم ان فرعون علا في الارض جملة مستأنفة
كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مصر وقد طغى
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم
ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع بعضهم بعضا
في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط يستضعف طائفة منهم
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له
يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وهذا دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم

ينفعه القتل وان كذب فما وجهه ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف
ويذبح بدل من يستضعف وقرئ يذبح بالتخفيف انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل
تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وعطفه
على نذبح ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها
تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف
اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا
اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت
ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن
عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم
الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده و
نظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما
كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي
يرون منهم ما كانوا خائفين منه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر
قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من
القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع
ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق
بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما
جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله
من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت
بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى
الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك
واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في
خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب
الولدان اوحى الله تعالى اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي

بالنار بين داخله **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا** اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك
لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي
يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته
ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لما يشبه
الاسد وقرئ وحزنا وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا** في كل شيء
فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب
هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء **وقالت امرأة فرعون قرة
عين لي ولك لا تقتلوه** روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية
فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت
لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت
البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا
احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت
آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم
كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من
بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى
وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه **عسى ان ينفعنا** فان فيه
مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت
في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا **او نتخذه ولدا** او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك
وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع
منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما
احسن هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم **واصبح فؤاد ام موسى فارغا** صفرا من العقل والمعنى انها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء
اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان: الا ابلغ ابا سفيان عني ¤ فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب
مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا اي خاليا

حزنا

خاطين

بن

من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب
وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها **ان كادت لتبدي به** لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته
وانه ولدها **لولا ان ربطنا على قلبها** بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن **لتكون من المؤمنين**
من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون
عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها
وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه
وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جار الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما همزت واو وجوه **وقالت لاخته قصيه**
فبصرت به عن جنب قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة
بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة
متجانفة مخاتلة **وهم لا يشعرون** وهم لا يشعرون بانها اخته وكان اسمها مريم **وحرمنا عليه المراضع** التحريم استعارة
للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا
يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
يعني الثدي او الرضاع **من قبل** من قبل قصصها اثره **فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له**
ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال لها هامان انها لتعرفه
وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم
فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها
فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي
الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر
في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله **ولتعلم ان وعد الله حق** يريد وليثبت علمها ويتمكن **فان قلت** كيف حل
لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها **قلت** ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت
تأخذه على وجه الاستباحة وقوله **ولكن اكثرهم لا يعلمون** داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت
واصبح فؤادها فارغا وروي انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان
يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو
الذي فررت به منه ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها
بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب
الحزن **ولما بلغ اشده واستوى** واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم

[illegible] ط

يهددكم شرب المريرة لا احيا ولا اضرها آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين العلم العملي او الحكم الحكمة
وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة على حين غفلة من
اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على
الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر
وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه باللهو وقيل لما شب
وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرئ سبوح فاستغاثه من شيعته
من شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر
الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود
فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه
قلت لانه قتل قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من
المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته
الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا
قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
اين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان
الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما
انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا
من بني اسرائيل فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى
انك لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه يستصرخه الاسرائيلي يستغيثه
كان بسبب قتل رجل وهو يقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين
يبطش بطشا بالعنف والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار

الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة وبلغ الى فرعون فهموا بقتله
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين
قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ان يكون صفة الرجل وان يكون حالا عنه لانه قد
تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور
فان الرجلين يتشاوران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك الذي ... ولك صلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه الصلوة والسلام سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه الصلوة والسلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج
وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق
الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء
مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ماء مدين ماء البئر الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده
مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيرة العدد من اناس
مختلفين ووجد من دونهم امرأتين تذودان في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان الذود الطرد والدفع وانما كانتا
تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل
لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتستترا قال ما خطبكما ما شأنكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك
يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء
بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام
وابونا شيخ كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر
حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل الا عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه
دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروي غنمهما
واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة
في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انهما قصتا عليه ذلك الماء وقد ادركت عليهما ما بهما من [illegible]
العدد وقلة الضعيفين من ورائهم مع غنمهما ... ثم تولى الى الظل
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكن رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك

الا هو ابن على بن الى نفسه
سوء ابن ابن الناس عمر بعض بكر
ط

الرحمة بقوة قلبه ومروته سامعين وما آتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع
ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهائه في جهده الا
حتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصته وحث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول
الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا
وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله
قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر
فلا يصلح للقيام به ابدتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام
ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فالناس
مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب
اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
اي لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل
ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا
لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا
بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا
الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال
لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي
الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام
ان يعمل بقول المرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا
ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية
فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف
قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل
اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد
يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار

الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه
الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما
سقيت لنا اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما يا ابت استأجره
ان خير من استأجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت
به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة فقال
وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي
خلفه وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان
اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي
سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استأجرت اسما لان
والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله: الا ان خير الناس حيا وهالكا: اسير ثقيف عندهم في السلاسل
في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حين جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ
الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه
افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي قيل انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما على ان تأجرني ثماني
حجج تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا
اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية
ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة و
مواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجا
رة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امرأة بان
يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس
بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت واما
الشافعي رحمه الله فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه
امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي
غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا
فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم
ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا

عشر حجج **فمن عندك** فإتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك
ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك **وما أريد أن أشق عليك** بإلزام أتم الأجلين وإيجابه
فإن قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر **قلت** حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك
ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه
فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات
والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالاً خارجة من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله **ستجدني إن شاء الله من الصالحين** يريد
بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن
المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل
الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه **قال ذلك بيني وبينك** ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره
وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب عليه الصلاة والسلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم بيننا جميعاً لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال **أيما
الأجلين قضيت** أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثماني **فلا عدوان علي**
أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه **فإن قلت** تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر
وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعاً **قلت** معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على
العشر كان عدواناً لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت
مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى
رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون معتدياً وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك
لا إثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصراً والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر **فإن قلت**
ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين **قلت** وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها
وفي الشاذة تأكيداً للقضاء كأنه قال أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له **والله على ما نقول
وكيل** الوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك **فلما
قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي
آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون** روي أن شعيباً عليه الصلاة والسلام كانت
عنده عصي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال لموسى عليه الصلاة والسلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا

من تلك

من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتوارثونها حتى وقعت إلى
شعيب عليه الصلاة والسلام فمسها وكان مكفوفاً فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن
له شأناً وقيل أخذها جبريل عليه الصلاة والسلام بعد موت آدم وكانت معه حتى لقي بها موسى عليه الصلاة والسلام
ليلاً وقيل أودعها شعيباً عليه الصلاة والسلام ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها
سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما
أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ عليه الصلاة والسلام فلم يطقها ورفعها
موسى عليه الصلاة والسلام وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها
نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب عليه الصلاة والسلام إذا بلغت مفرق الطريق
فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته
وعادت إلى جنب موسى عليه الصلاة والسلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع إلى
شعيب عليه الصلاة والسلام مس الغنم وأخبره موسى عليه الصلاة والسلام ففرح وعلم أن لموسى عليه الصلاة والسلام
والعصا شأناً وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب
بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى عليه الصلاة والسلام فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال
أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا اختلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعاً العود
الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وألقى على قبس من النار جذوة شديداً عليها حرها والتهابها **فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في
البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها
جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه
إنهم كانوا قوماً فاسقين قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون** من الأولى والثانية
لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل
الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح
والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف ما معنى قوله واضمم إليك جناحك
من الرهب فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها
بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب

جنة فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة
عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى
تحت عضد اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده
عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما
والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه
فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك
وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا
اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر
به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن
خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد
بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب **فان قلت** قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما
اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما **قلت** المراد بالجناح
المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع
التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة
وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه
المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله وسلامه عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زر
مانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان
حجتان نيرتان بينتان **فان قلت** لم سميت الحجة برهانا **قلت** لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة
بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها
سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها **واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني**
يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يتدفأ به قال سلامة بن جندل
وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني
بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء   تصديق اخيه ما الفائدة فيه   ليس الغرض
بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول
فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق
القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما
يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه

الذي

الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان
التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه
لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله **اني اخاف ان يكذبون**
وقراءة من قرأ ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني **قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما
سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون** العضد قوام اليد وبشدتها
تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده
فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة
العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد
فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في
تسع ايات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا
او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون
قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم **فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر
مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين** سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في ابائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم
وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم
لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا
وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها **وقال موسى
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون** يقول ربي اعلم
منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه
ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين
ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد
بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت   العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان
تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون
خاتمتها بالشر   قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الاخرة واراد من عباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما
خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن
عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وفي تكسيره

قال موسى بغير واو على ما في مصحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم
به موسى عليه الصلوة والسلم عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا
ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها
تتبين الاشياء وقرئ يكون بالياء والتاء **وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري**
فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
ويروى انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر
والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر
ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع ووقعت قطعة على
عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك و
يروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فارادها الله ان يفتنهم فردت اليه
وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه
باله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات و
في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء
معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء
العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله
واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه الصلوة والسلم كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا
فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه الصلوة
والسلم لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم
ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب
انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء
كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهله بماهيته من انه رام
نيل اسباب السموات بصرح يبنيه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث سامهم
اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بمثل ذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي
من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه
من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء
الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن
كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه

لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته
واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط
الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال
ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى **واستكبر هو**
وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر
على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين من الكلام الفخم الذي دل به
على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير
بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وانشأنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض و
الجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
فان قلت ما معنى قوله **وجعلناهم ائمة يدعون الى النار** معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة
دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه
بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي **ويوم**
القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع
الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه
مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى
كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته **فان قلت** اي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة **قلت** ذكر الرادفة
يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره
الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف
يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة
لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال **واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة**
اي طردا وابعادا عن الرحمة **ويوم القيمة هم من المقبوحين** اي من المطرودين المبعدين **ولقد آتينا موسى**
الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب
الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي به تبصر يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا

تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يتخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى
نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى
عليه الصلوة والسلم لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وما كنت من الشاهدين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من
الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى عليه الصلوة والسلم الوحي الذي اوحي اليه والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى عليه الصلوة والسلام
وما كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على
ما جرى من امر موسى عليه الصلوة والسلم في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل
قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا
له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول عليهم على آخرهم وهو القرن
الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم
بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب
الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه
الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها
عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب عليه الصلوة والسلام وقومه ولكنا كنا مرسلين ولكنا
ارسلناك واخبرناكها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه
ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولكن علمناك رحمة و
قرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه الصلوة والسلم وهي
خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية و
جوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل
ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا
من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم
انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب
في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال
الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال

بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه
الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم
يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فالسبب في
قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام
كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع
في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا وهو الرسول المصدق
بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية
على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم
ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه الصلوة والسلم بما اوتي موسى من
قبل وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل في ايام موسى عليه الصلوة والسلم فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم
قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين
مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر وقالوا انا بكل بكل واحد منهما كافرون فان قلت بم علقت
قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين
قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه الصلوة والسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في
موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود
بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه الصلوة والسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط
الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
مما انزل على موسى ومما انزل علي اتبعه ان كنتم صادقين هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق
لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف
الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة
في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام هذا الفعل يتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب
له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فالاستجابة
تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال
فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا فلم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال

[illegible]

ومن اضل ممن اتبع هوىه ممن لا يتبع في دينه الا هوىه بغير هدى من الله اى مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف
ان الله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى
في موضع الحال يعنى مخذولا لا يخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون وقرئ وصلنا
بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة
نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا
من قبله اى من قبل نزوله مسلمين الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به
والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان
آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين
على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم
على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب
ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ويدرؤن بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى ومما رزقناهم
ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع
متاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم
ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في
الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يهدي
من يشاء ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن
به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها
نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا
فقال صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك
كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد
علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة
بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة
الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا قالت قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن

عبد مناف انا نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس اى قليلون
ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت
العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون
بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة
البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا
الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه يجلب ويجمع
وقرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه وثمرات بضمتين وبضمة
وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اى قليل
منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله
لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا
قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد
وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة
المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل
حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم
ودمر ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على
الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم
ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله
فيه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار
الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق
فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اى تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها
وسويناها بالارض تتخلف الاثار عن اصحابها حينا وتبيد كما افنا . فتقيم وما كان ربك مهلك القرى
وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون حتى يبعث في القرية التي هي امها اى اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها
رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى
في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بكسر الهمزة
لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم

ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم
انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك
بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المتقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد افلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء
وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن و
المنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة
على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة
وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من
المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل لعنه الله وقيل في علي
وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها
قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على
معنى افبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان
موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي
حال الاحضار عن حال التمتع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد
تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو
كالمتصل ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون شركاءي مبني على زعمهم وفيه تهكم
فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم
تزعمونهم شركاءي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم
القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر
ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة
مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا
مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوا لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان
اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا
داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل و

بث

وما بث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا
عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل
قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا
اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا
سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه
او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم
لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم
ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي
اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى
الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت
الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك
قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال
من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى
ان يكون من المفلحين فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه
كانه قال فليطمع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل
بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار
لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها
ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي
يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة للمختار
فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة
فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله وتعالى عما يشركون

اي الله بريء من اشراكهم وعما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختاره وربك يعلم ما تكن
صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير
عليه غيره في النبوة وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وهو الله وهو المستأثر بالالهية
المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد
في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين
والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم والقضاء بين
عباده قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا
تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون وقوله ارأيتم بحذف الهمزة واليهم بحذف بأتي ومعناه اخبروني من يقدر على
هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم
مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون
فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لا المنافع لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش
وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من
ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من
السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار
ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون في تكرير التوبيخ
باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما
ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان
انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا حينئذ ان الحق لله والتوحيد لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة
والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم
لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه
وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت
النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة
لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما

يرجعون

فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي باية
فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصا فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها
وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا عصا هرون يهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال
قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل
فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه
من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن
وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها
واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على
اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح و
النوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها
حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل
ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة
ويعلم انه مفارق ما هو فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال
الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو
ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما
احسن اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي
وقيل ان القائل موسى صلى الله عليه وسلم وقرئ واتبع قال انما اوتيته على علم عندي اي على استحقاق
واستيجاب بما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء
عن سعيد بن المسيب كان موسى صلوات الله وسلامه عليه يعلم علم الكيمياء امرا كان ذلك من قبيل المعجزة فافاد
يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ
الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل
هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كا
قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم قال عندي اي هو في ظني
ورأيي هكذا اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة يجوز ان يكون اثباتا لعلمه لان
قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة واخبره موسى وسمعه من حفاظ التوراة

ولأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا
لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين **وأكثر جمعا**
للمال أو أكثر جماعة وعددا **فإن قلت** ما وجه اتصال قوله **ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون** بما قبله **قلت** لما ذكر
قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على
ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون
والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك **فخرج على قومه في زينته** قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة
شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج
الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا
عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر **قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي**
قارون كان المتمنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة
البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط
هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له
دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر العضاه الخبط **إنه لذو**
حظ عظيم والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ
ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل**
صالحا ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك
وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل والراجع في **ولا يلقاها** للكلمة التي تكلم بها العلماء أو يلقيها
للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح **إلا الصابرون** على
الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير **فخسفنا به وبداره الأرض** كان قارون يؤذي
نبي الله موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن
كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل
وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال
نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل
طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه الصلوة والسلام فقال يا بني إسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون

وإن كنت

وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى
عليه الصلوة والسلام بالذي فلق البحر وأنزل التورية أن تصدق فتداركها الله تعالى فقالت كذبوا بل جعل لي
قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى عليه الصلوة والسلام ساجدا يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك
فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون
كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض
خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون
وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى عليه الصلوة والسلام لا يلتفت إليهم
لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله تعالى إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا
فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون
بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله **فما كان**
له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله
تعالى يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس** قد يذكر الأمس
ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا
يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا
على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما
أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وي كأن من يكن له نشب يحبب
ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت و
عند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف كاف
الخطاب مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول
أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم
من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك
انقطع به ولتخسف بنا **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا**
والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد
بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد
بالركون وعن علي رضي الله عنه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها
وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني هاهنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض

ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ
الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة
للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات** معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة
اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين **الا ما كانوا يعملون** الا مثل ما كانوا
يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها و
بسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها **ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** فرض عليك القرآن اوجب عليك
تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به
الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل
المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان و
مرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل
الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها
ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم
ابرهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه **فان قلت** كيف اتصل قوله تعالى **قل
ربي اعلم** بما قبله **قلت** لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم **من جاء بالهدى** يعني نفسه
وما يستحقه من الثواب في معاده **ومن هو في ضلال مبين** يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين فان قلت قوله
الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه **قلت** هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا
رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك **ولا يصدنك عن
آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين** وقرئ يصدنك من اصده بمعنى
صده وهي في لغة كلب وقال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ
انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك
والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحوه لكي من باب التهييج الذي سبق ذكره **ولا تدع مع الله الها آخر لا اله
الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون** الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن
الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم
واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

من جاء بالهدى

الم احسب الناس ان يتركوا الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت
زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او
الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم
تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى
يتم لك غرضك **فان قلت** فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية **قلت** هو في قوله
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك
اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام **فان قلت** ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر
مبتدا **قلت** كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت
مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب
فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان و
مجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في
الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة
على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم
وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب و
المتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل
في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم
فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه و
امراته **ولقد فتنا الذين من قبلهم** موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه
يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ
فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه

من علم وعصى بما يصرفه وذلك عزم بينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت
كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليميزن
الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم
بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيئات
ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم و
لكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه و
نظيره وما انتم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب
قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان
الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي
يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله
لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال
بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر و
ترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل
تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله تعالى والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر
العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله تعالى والزلفى وهو السميع
العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو
يخاف من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف
وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال
هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول
من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما
يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امره الله به رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم و
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان يريد
قوما مسلمين صالحين قد اساؤوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو الله يكفرها عنهم اي
يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين

آمنوا

آمنوا وعملوا الصالحات والله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي و
يجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه
يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب
القراطف والقروف كانه قال امرتهم بان يشبعوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم
بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك
وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه
حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا و
احسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار
اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا
تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى
التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي ما ليس لك به علم اي لا علم
لك بالاهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم
ووصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق
وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجع من آمن منكم
ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك
وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من
متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن
ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك
قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد
وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك
انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن
هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين
محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا
لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال انما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي

بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها
فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليـ
يوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب
حتى ترجع عن دين محمد فنزلت **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** اي في جملتهم والصلاح من
ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه
الصلوة والسلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم عليه الصلوة والسلام وانه في الآخرة
لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن
المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا
لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله
المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما هو الا حدثان
يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم من
ذلك من الاخلاص ومما في صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطماع منه للمؤمنين على ما انطووا عليه ثم وعد المؤمنين واوعد
المنافقين وقرئ ليقولن بضم اللام **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما**
هم بحاملين من خطاياهم من شيء امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا
انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى
كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد
ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة
العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال
يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد
رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن **انهم لكاذبون فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما
ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يفون به على الكفاية وضمان ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين
ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه **قلت** شبه الله
حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذب
الذي خبره لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكا

الذين

الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف **وليحملن اثقالهم** اي اثقال انفسهم **واثقالا مع اثقالهم**
يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم **و**
ليسألن يوم القيامة سؤال تقريع **عما كانوا يفترون** اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من
خطياتهم **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما** كان عمر نوح عليه
الصلوة والسلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة **فان قلت** هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة **قلت**
ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم
زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب
لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة سيقت لذكر ما ابتلي به نوح عليه الصلوة والسلام
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس
العدد الذي لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره **فان قلت** لم جاء
المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام **قلت** لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في
البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك **فاخذهم**
الطوفان وهم ظالمون والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وغم طوفان الظلام الاثابا **فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين** اصحاب السفينة
كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن
محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح
واهله وبنوه الثلاثة والضمير في جعلناها للسفينة او للحادثة والقصة **وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله**
واتقوه نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف
على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم
ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على معنى
ومن المرسلين ابراهيم **ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** يعني ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او
ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم **انما تعبدون من دون الله اوثانا**
وتخلقون افكا وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ
افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما
وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله
او شفعاء اليه او نحت الاصنام افكا خلقهم لها نحتهم خلقا للافك **ان الذين تعبدون من دون الله لا**

يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه
واشكروا له اليه ترجعون فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان
الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل فاما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا
فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب يصدق
وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله
وسلامه عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش
بين اول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث
وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في
قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع
بقوله قل سيروا في الارض قلت هو حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه الصلوة والسلام لقومه كما يحكي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها
في قصة ابراهيم والجملة او والجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك
لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من
شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان كذبتم محمدا فقد
كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى
اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الناطقة عقيبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد
ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ و
قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت
كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت
اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما
هو جملة قوله اولم يروا وكيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا

فكيف

فكيف يرجع الى الجملتين جميعا الذي هو في قوله وهو اهون عليه من معنى بعيد ذاك بقوله النشاة الآخرة على انهما
نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان
الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة كالرافة والرآفة فان قلت
ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة قلت الكلام معهم كان
واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء
مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة
فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا
المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين
في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب واليه تقلبون
تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا
في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان * امن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء *
ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة
في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم
فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا
بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم
عذاب اليم يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او
وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم
في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا
من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا
من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قرئ جواب قومه
بالنصب والرفع قالوا ذلك بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين
وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وقرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب
على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما

يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم او ان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه
اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة
بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون
خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة
او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وفي
ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او مودة بينها في
الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاوم العبدة ويلاعن العبدة
والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط كان لوط ابن اخت ابراهيم عليهما الصلوة والسلام
وهو اول من آمن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابراهيم عليه الصلوة والسلام اني مهاجر من كوثى
من سواد كوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم عليه الصلوة والسلام هجرتان
وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني ربي بالهجرة
اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو صلاحي ووهبنا له اسحق و
يعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه
وان قلت ما بال اسمعيل عليه الصلوة والسلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا
في ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد جنس
الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور والانجيل والقرآن
ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ولوطا معطوف على
ابراهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة
مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا
منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر
قبل قوم لوط قط ائنكم لتاتون الرجال وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته
في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وتقطعون السبيل تقطع السبيل عمل قطاع
الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان
ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم المنكر والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها
كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من

ستره وقيل الكبيرة اذا جهر بها صغيرة خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قام
عنه لم يبق ناديا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في ما تعدنا
من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي
والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه الصلوة والسلام ان يشتد غضب الله
عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة
وهما اسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية والاضافة في مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال
والقرية سذوم التي قيل فيها اجور من قاضي سذوم ان اهلها كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم الحادث
في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي ان فيها لوطا ليس اهلاك اهلها بكونه فيها وانما هو جدال في
شانه لانهم لما قالوا انا مهلكوا اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة
عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او تلحقه ورطة
قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك
بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك
هون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق
بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين
مرتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل لما
احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته
وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان
مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز
والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز
وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا
منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض
وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا او بينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين وافعلوا ما ترجون به العاقبة
فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراطه بما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على
ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك

صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها فأصبحوا في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم واكتفى بالواحد لانه
لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة
يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا
او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصفة فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود و
الخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس
في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا
يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه
في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو
كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد
الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت
اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان
لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وقرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل و
زيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد
ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة
وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل
بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها و
حسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف
عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم

انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم و
دلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها فان قلت كم من مصل
يرتكب ولا تنهاه صلاته قلت الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما
للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي
عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف
والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصلي فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلاته
عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان
ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش
الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لابد ان يكون
ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ
لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن
جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله
اكبر يريد والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال
ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر
وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى عنهما من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس
ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم
احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فافرطوا
في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا
الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله

ما لا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما
حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم
وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب
السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل كما انزلنا الكتب الى من كان قبلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء
من اهل مكة من يؤمن به وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا
الكافرون الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذا لو كان شيء
من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا
امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم
مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا
على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من
الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب
فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاءوا به
لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا
منه بموسى وعيسى عليهما السلام على ان القرآنين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذا انهم مبطلون حيث لم
يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين
وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في
الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو
آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من
خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر
الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم
اناجيلهم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وما يجحد بآياتنا الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا
لولا انزل عليه آية من ربه وقرئ آيات ارادوا هلا انزلت عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام
ونحو ذلك قل انما الآيات عند الله ينزل اينها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين

كلفت

كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله تعالى آياته فاقول انزل علي آية كذا دون
آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين
هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما
تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في ذلك ان في هذه الآية الموجودة في كل
مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم
يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفى بها
حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما
في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما
يعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك
رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي
قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل
مسمى قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب
ولياتينهم بغتة وهم لا يشعرون لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسوله
صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل
وقت فنائهم بآجالهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها
مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب
كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل ويقول وقرئ بالنون وبالياء
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة معنى الآية ان المؤمن اذا لم تتسهل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا
واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا
فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث

على الطاعة والمرد للشيطان والعبد من كثير من الفتن والمبسط للايمان والمعرفي في الجملة من كثرت فيهم اهل المعاصي فلله الحمد على انا سهل منه ذلك وتوب ورزق من الصبر والورع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة **فاياي فاعبدون** في الكلام تحريك واثارة وضربة في الغائب واياك عشنك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون **فان قلت** ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول **قلت** الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص **كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون** لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت ابعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين** لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو واثوى غيره وثوى غيره فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرا حمزة وعلي بالثاء فيهما بزيادة الفاء **الذين صبروا** على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي **وعلى ربهم يتوكلون** ولم يتوكلوا على جميع ذلك الا على الله تعالى **وكاين من دابة لا تحمل رزقها** لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت ام لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله **الله يرزقها واياكم** اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال العقعق مخابئ الا انه ينساها **وهو السميع** لقولكم نخشى الفقر والضيعة **العليم** بما في ضمائركم **ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** الضمير في سالتهم لاهل مكة **فانى يؤفكون** فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** مقدر الرزق وقدره معنى اذا ضيقه **فان قلت** الذي يرجع اليه الضمير في قوله

ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد **قلت** يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة **ان الله بكل شيء عليم** يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم **ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله** احمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما عصمك من الضلالة التي هم عليها وعلى ان جعلك من الذين يقرون بالحق او احمد الله على اقرارهم به ثم عنادهم لكم في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال **بل اكثرهم لا يعقلون** ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم **وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب** هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون **وان الدار الآخرة لهي الحيوان** اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة **لو كانوا يعلمون** لم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها **فان قلت** بم اتصل قوله **فاذا ركبوا** **قلت** بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا **في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم **فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون** عادوا الى حال الشرك واللام في **ليكفروا بما آتيناهم** محتملة ان تكون لام كي وكذلك في **وليتمتعوا فسوف يعلمون** فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله تعالى ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير **فان قلت** كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه **قلت** هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت

وثباتك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له والعاصي سبيله كراهته
ولكنك كأنك تقول فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت ويبعث عليه ليتبين
لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون
واهل مكة قارّون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة
الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها
من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه افتراؤهم على الله تعالى كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول
صلى الله عليه وسلم والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم
يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويتأنون
الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا
قال بعضهم ولو كان استفهاما لما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار
دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما ألا يثوون في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها
وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم ان في جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول
كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا
خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق
لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والمعونة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية
وقيل تسع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى
الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين و
سيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى
ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم
قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وفي
في ادنى الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات

وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس
لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون
وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والنحب
المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن
من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب
مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا
على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم
واضافة غلبهم مختلفة باختلاف القراءتين فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى
الفاعل ومثالها بعد ان غلبوا اخوانهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت
عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود
الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده
ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما
حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين و
هو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام
نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا
بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله
وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين
فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا
وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك
يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصر عليكم
اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعد الله مصدر مؤكد كقوله
على انه وعدهم وعدا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا الا ان ما سبقه في معنى وعد

يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وصفهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا
بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم
فينقره بأصبعه فيعلم أردي هو أم جيد وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه
أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود
العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما
يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها
بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية
يجوز أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى و
أية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع
أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما في أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم
يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير
لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال
فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لأن
في الكلام دليلا عليه إلا بالحق وأجل مسمى أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة
وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة و
وقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون كيف
سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى
الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتمله وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا
وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فإن قلت إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه أولم
يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها
فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد
من انتهاء إلى عاقبة يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلم
عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الحد
وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون والمراد بلقائه الأجل المسمى أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم
من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وحرثوها قال
الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة ومنه الثور قيل لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي

تشقها وعمروها يعني أولئك المدمرين أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع
ما لهم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لأن معظم ما
يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة
أي من عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأي كان
هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فما كان تدميره
إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ثم كان عاقبة
الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى
تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم
السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت
للكافرين وأن كذبوا بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أي لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب و
الاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر أن يكون أساءوا السوأى بمعنى
اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه إلى
ثوابه وعقابه ترجعون وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون الإبلاس أن يبقى بائسا
ساكتا متحيرا يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس
بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته ولم يكن لهم من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله شفعاء
وكانوا بشركائهم كافرين أي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب
شفعؤا في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمؤا بني إسرائيل وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتا
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الضمير في يتفرقون للمسلمين
والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل
سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة أي في بستان
وهي الجنة والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفي أمثالهم أحسن
من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون
وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال
نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها
قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في الجنة لأشجارا

عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك
تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم لقوله تعالى وما هم بخارجين منها ولا يفتر عنهم
فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله تعالى
من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس
رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين
تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض
ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان الآية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات
الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن
عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلاة
السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته
في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها
وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في
قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي
وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ خلقكم
من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع
آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين
من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم
بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم

وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده
يقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه
فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ الالسنة اللغات او اجناس النطق
واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة
ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله
وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان
في الحلية فيعتريك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله تعالى في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة
حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون
وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من
فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان و
الواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يكون منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر
الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ يسمعونه بالآذان
الواعية وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خَوْفًا من
الصاعقة او من الاخلاف وَطَمَعًا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له
فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان
احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني
ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وقرئ ينزل بالتشديد وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ قيام السموات والارض
واستمساكهما بغير عمد بِأَمْرِهِ اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما للمدة لكونهما على صفة القيام
دون الزوال وقوله ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً بمنزلة قوله يريكم بآية في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال
ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا
والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا

دعوته اي الطرد او هو اسرع ويدما من الطرد العبيد الا الحجر اذ الله هدى ثم بعظمته نحلها على قيام
السموات والارض بهم بها تعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور
قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون وقوله دعوة من مكانكم كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول
دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من الارض أما
بتعلقه بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل اذا انتم تخرجون فان قلت ما الفرق بين اذا
واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء
وفتحها وله من في السموات والارض كل له قانتون اي منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد
منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في بعض ما ينشئه
بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن
عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده
اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك
قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما
ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة
لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض
بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في
عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه
واقل تعبا وكدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر
وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب
الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن
المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود
الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب
لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت
الاعادة من قبيل الواجب كان ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في
التأتي والتسهل وكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى
اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة

الثاني

الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل
عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن
مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده
قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد
ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية
والثالثة في قوله من انفسكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كأنه قال اخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من
الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف
دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون
لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل
الآيات لقوم يعقلون اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل
لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما
ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء فمن يهدي من اضل الله من
خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل
على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت
عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان
من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور
او من الدين فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين فطرة الله الزموا فطرة الله
او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا
وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله
والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا
للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوي منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا

تجري مجرى قوله عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت
خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه
اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم
فرحون كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه
من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك
ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا بما
آتيناهم مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وقرأ
ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه مجاز
كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم
وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها
ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه
برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و
يقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان
تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم
بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي
التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل حق ذي
القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة
رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي
رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان
قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت
ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم
المفلحون يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله الا
ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة

وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات
سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله
فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي صدقة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا
لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظيره
المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون
وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام
ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة
والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما
اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي
الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه
فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون و
المعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون
والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي
لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من
يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعده من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي
خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من
افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم
ظهر الفساد في البر والبحر الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات
ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات
من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر
وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه
وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم
وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر قتل
ابن آدم اخاه وفي البحر ان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر و

المعاصي كسبب لما مر فذلك ما يعني قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون اما على التفسير
الاول فظاهر وهو ان الله تعالى افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم
بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على ان ظهور الشرور بسببهم
مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا ليحسوا الفساد
في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ثم اكد
تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله تعالى الامم واذاقهم سوء
العاقبة وذلك بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه
من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا ياتي فيه
عوج من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي
من الله يوم لا يرده احد كقوله لا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده بعد ان يجيء به ولا رد له
جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضار كفره
فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه
الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء وقضض
او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد تعالى انهم يشفقون من توهم في المقام فوقت فاما تقديم
الظرف في الموضعين فللدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان و
العمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلق بيمهدون تعليل له من
فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون
الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب
وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح
وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات و
ليذيقكم من رحمته الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة
بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح
وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من
الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا
تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد

تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون
معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان تعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون
كذا ارسلناها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين
اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اعتراض في الطريق الى الغرض بان ادرج تحته ذكر الانتصار والنصر
ذكر التعريض وتداخل الكلام اي لا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين و
رفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان
ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا
ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا
كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا
تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء
وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين من قبله من باب التكرير
والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم
بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر
الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره كيف
تحيي اي تحيي الارض بعد موتها اي الرحمة ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني ان ذلك القادر الذي
يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا
من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك
لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فرأوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن
قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر
سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني
جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا
اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب
زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان
يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا

على بلائه فكونوا كالريح التي اصفرتها النبات يجوز ان يكون ضميرا او ريحا فكلاهما يصفح لم النبات م
يصبح منهما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء
وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضُعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من
عجل يعني انشاكم ابتداء ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتدأناكم في اول الامر
ضعفاء وذلك حال الطفولية والنشو حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ
الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف يعني من ماء
مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل
شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من
ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا
والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ما لبثوا فيهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا
الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون
الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار
له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك اي مثل ذلك الصرف كانوا يؤفكون يصرفون عن الصدق والتحقيق
في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يأفكون في الاغترار بما تبين
لهم الآن انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم
البعث القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي
اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث
بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء
وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال
ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين
البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم لا ينفع قرئ بالتاء والياء ولا هم يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر
يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب
المعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت

قائله
قال الا خراسان اقصى ما يراد بنا

يكن

كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت
حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه
فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين
كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ولقد وصفنا لهم كل صفة
كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة
اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة
ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا
تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغى ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم
وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم
اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق
لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون
ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحاق ويعقوب
ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه
وليلته سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز
ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في
الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة و
بالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها
من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم
القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداده بها ومن الناس من يشتري لهو الحديث اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما
يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في

في النسخ

قوله الحكيم ذي الحكمة من بعض الفعالات ... وصف الكتاب ... [illegible]
... الكتاب ... الحكم ... الحكمة ... [illegible]
... الاستعارة المكنية ... [illegible]
الرفع العقيم
منه

قوله على الاسناد المجازي ... [illegible]
... الكتاب ... [illegible]
منه

تمت
قوله فحذف المضاف اي قائله فاعلم انه [illegible]
الهاء الذي هو المضاف اليه مقام فاعل [illegible]
الهاء المتصلة منفردا فانقلب الى الضمير [illegible]
فصار مرفوعا ... كان ضميرا [illegible]
ثم استكن في الحكيم [illegible]
كما استكن في يضرب
منه

النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث
عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه و
اسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه ما من رجل
يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان
يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء مفسدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فإن قلت
ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث قلت معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه
كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين
بالحديث والمراد بالحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش
ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه
وقوله يشتري إما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وإما من قوله
اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث
الباطل على حديث الحق ليضل عن سبيل الله وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها وسبيل الله دين الإسلام أو القرآن
فإن قلت القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشترائه اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام و
استماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان
عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه
والثاني أن يوضع ليضل موضع يضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف
فإن قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير
بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
أو ما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وقرئ ويتخذها بالنصب
والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من
آمن تبغونها عوجا وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا
فبشره بعذاب أليم ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها
وهو سامع كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فإن قلت ما محل الجملتين المصدرتين
بكأن قلت الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين والأصل في كأن
المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله

حقا وهو العزيز الحكيم وعدهم وعدا حقا مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم
جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى
الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده
فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السماوات بغير عمد
ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا
فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسماوات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما
تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت ما محلها من الإعراب قلت لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في
محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته هذا خلق الله فأروني
ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى
المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ما خلقته
آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال
ولقد آتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش
ألف سنة وأدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع
الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم
يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق
ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا
أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة
وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن كنت تراني
أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست الذي كنت ترعى معي في مكان كذا قال بلى
قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع
وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب
أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن
يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين
فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن
المسيب أنه قال لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع ولقمان أن اشكر هي
أن هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي

العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غني غير محتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد وإذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين
فما زال بهما حتى أسلما إن الشرك لظلم عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة
ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن أي حملته
تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها
تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا و
ضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وفصاله في عامين
وقرئ وفصله أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير تفسير لوصينا وإن جاهداك على أن تشرك بي
ما ليس لك به علم أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله ما يدعون من دونه
من شيء فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال و
بر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من أناب إلي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك
ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم إلي مرجعكم مرجعك ومرجعهما
فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان
في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين
حكمهما وحالهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثا
لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر
فإن قلت هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا
لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فإن قلت فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به
بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله و
فصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب
أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا
يجازي والد فعاله فإن قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة أنها
الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها
أن تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
وبه استشهد الشافعي رحمه الله على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما

وهو مذهب أبي يوسف ومحمد رحمهما الله وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن
أبي حنيفة رحمه الله إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا ضعيفا
لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة أو في السماوات أو في الأرض قرئ مثقال الحبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة و
الإحسان أي إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة
أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها إن الله لطيف
يتوصل علمه إلى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان
الضمير للقصة وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم ويروى أن ابن
لقمان قال له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء في
أخفى الأمكنة لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين يكتب
فيها أعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني
أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه
من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير
وينكر عليهم الشر إن ذلك من عزم الأمور مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله
يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك
أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله
ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي من
مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله
تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه
الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الأمم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على
ما سواها موصى بها في الأديان كلها ولا تصعر خدك للناس تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال
أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي
منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون
ولا تمش في الأرض مرحا أراد ولا تمش تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد
ولا تمش لأجل المرح والأشر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية
مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس إن الله

إن الله لا يحب كل مختال فخور والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك
واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان إذا مشى أسرع
فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة أي سدد في مشيك من أقصد
الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان
إذا قصر به ووضع منه إن أنكر الأصوات أوحشها من قولك شيء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت
منه ونفرت لصوت الحمير والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا
وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء
المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء
الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم و
التهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان فإن قلت لم وحد
صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل
جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ألم تروا
أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك
وما في الأرض البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى وأسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين
اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ونعمة و
نعمه فإن قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الإحسان والله عز وجل خلق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان
وإما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه لأنه لولا إيجاده
حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة فإن قلت لم كان خلق العالم مقصودا
به الإحسان قلت لأنه لا يخلقه إلا لغرض وإلا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض
راجع إليه من نفع لأنه غني غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه
فإن قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل
أو لا يعلم أصلا فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد
ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة
الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة

البصر

البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك و
يروى في دعاء موسى صلوات الله وسلامه عليه إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي
عليهم النفس ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان
يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن قرأ
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله فإن قلت ما له عدي بإلى وقد
عدي باللام في قوله عز وجل بلى من أسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما
لله أي خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه
والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن
يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وإلى الله عاقبة
الأمور أي هي صائرة إليه ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم
بذات الصدور وقرئ فلا يحزنك من أحزن وليس بالمستفيض يقال أحزنه ويحزنه والمعنى
لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله إن
الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ
شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه و
الغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات و
الأرض ليقولن الله قل الحمد لله إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه
يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا
نبهوا عليه لم ينتبهوا لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد و
إن لم يحمدوه ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت
كلمات الله قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون
الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول لعدم
تبين ويمده بالتاء والياء فإن قلت مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت
أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة و
جعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار
الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت

كلماته وتعددت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال
قلت هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال
التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر
ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل
كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما
قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعني الوحي كلام سينفد فاعلم
الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود
وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها
علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا
يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شأن عن شأن
وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله
ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس
والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل
المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما
وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته
فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة
الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض
لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل
تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر
فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ذلك الذي
وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه
من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي الشأن
الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل

وان

وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله وقرئ الفلك بضم اللام وكل
فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين نعمات يجوز
فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار
على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او
غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار
كفور مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي
كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن
قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا
باعا من ختر قال وانك لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي
الحديث في جذعة تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزي لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ
فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن
سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك و
نسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده
او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله
هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على الطريق الآكد أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين
الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم
من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الا
دنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد
بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما
تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير روي ان رجلا
من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن
الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي
اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت

هذا النسخ

فترك وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه
الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه
معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في
ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تأويلها ان مفاتح الغيب
لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي وقت قيامها وينزل الغيث في ابانه
من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى أتام ام ناقص وكذلك
ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة
على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس بأي ارض تموت اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها
وروي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل
من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه الصلاة والسلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد
الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان عليه الصلاة والسلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان
اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة
والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه
وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه
تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان
رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر
مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه
اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله
بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله تعالى وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من
رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم اضرب عن
الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها من
انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم

تكلم فيها ثم يعترض عليه بعض المعترضين بما ... ثم يعود الى تقريره وتثبيته فان قلت
كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه ان لا
مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب
واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه
سمع الناس يقولونه لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث
الله تعالى اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام
الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل
الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وان يستعار لفظ الترجي للارادة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت
هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم
والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع
له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة
العزيز الرحيم الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا
يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده
وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او
يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك
كألف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من
اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر
وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من
قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في
الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه
يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يرجع
اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرأ ابن ابي عبلة
يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالياء الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين

احسن كل شيء خلقه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من
قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل
اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون سمي
الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه
كقوله في احسن تقويم وذلك باضافة الروح اليه اشارة الى انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك
عن الروح الآية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا القائل ابي بن خلف و
لرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا أإذا ضللنا في الارض أإنا لفي خلق جديد وقرئ انا على الاستفهام
وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في
الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل
وقال الحسن صللنا من صل اللحم اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب
الظرف في أإذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم
كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون لقاؤهم من الوصول الى ما
من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون
بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم
بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح
قال الله تعالى يتوفى الانفس وقال تعالى اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت
حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع
تقضيته واستقضيته وتعجله واستعجله وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست
يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه
ثم يأمر اعوانه بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة لو نظرت اليها
والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن
عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم
وان يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب
به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه و

كانك

كانك قلت اللئيم ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله تعالى بمنزلة
الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون
بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يتناولون مني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون هي الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ولكن بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى
دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم
من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك
في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم
جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي
والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب اعمالكم
من المعاصي والكبائر الموبقة انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا تواضعا
لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله تعالى من نسبة القبائح اليه
واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم
عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون داعين ربهم
عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها
قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل
هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم
على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه
وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه

لا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم أطماع
المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن
أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أفمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله
أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك وجنات
المأوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك
لما روي عن ابن عباس قال تأوي إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد
نزلا عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فأما الذين فسقوا فمأواهم النار أي ملجأهم ومنزلهم ويجوز أن يراد
فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم ولنذيقنهم من
العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به من السنة سبع
سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الأكبر عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى
الآخرة لعلهم يرجعون أي يتوبون عن الكفر لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا
وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة
من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله
شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت
إرادة الله تعالى يتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص
الداعي وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها
وقد قسرهم فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في
اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره لا يتعلق
بقدرتك فإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب
والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد
منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال
علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم أعرض عنها
للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل و
الفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة
ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها فإن قلت هلا قيل إنه منتقم
قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر
من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه الكتاب للجنس
والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك
في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب
من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا
بآياتنا يوقنون وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم إلى ما
في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا
ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل
من لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول
وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى
لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون الواو في أولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي
من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لأن كم
لا يقع فاعله لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهدهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه
ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدليل القراءة بالنون
القرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني أهل مكة أي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون
بالتشديد أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما
لأنه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس
أنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين به بالماء تأكل منه من الزرع أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون أنعامهم
من عصفه وأنفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا

الفتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى
هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن
مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت
كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على
حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم و
آمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر
كيف يستقيم ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم
لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم
وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون
بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر
ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل السجدة وتبارك
الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل
الشيطان بيته ثلاثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية عن زر قال قال لي ابي
بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل
سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا
من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة
كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ٥ ٥
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله
يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم
يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله اتق الله ان لم يوقع اسمه في النداء فقد فان قلت
اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم
ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من
الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته
يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه
وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا

تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير و
بني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز
عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه
في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم
يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا
ولا يأمر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك
ان الله كان بما تعملون خبيرا ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة
بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله
واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ما جعل الله
قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في
حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما
فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما
ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة
مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة
الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى
في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان
محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو
جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي

سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب
فقال له ما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم
وضربه مثلاً في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل
سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول
نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه
قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه **فان قلت** اي فائدة في ذكر الجوف **قلت** الفائدة
فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول
عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة
مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر و
تظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من
الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك
واف الرجل اذا قال اف واخوات لهن **فان قلت** فما وجه تعديته واخواته بمن **قلت** كان الظهار طلاقا عند
اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها
بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها و
نظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليس
هذا بحكمه **فان قلت** ما معنى قولهم انت علي كظهر امي **قلت** ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن
بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه
عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان
المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها
الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع
بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك **فان قلت** الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على
افعلاء وباب افعلاء ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي
قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى واسرى والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي **ذلكم
قولكم بافواهكم** ذلكم النسب قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه
حقا **والله يقول الحق** والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه **وهو يهدي السبيل** ولا يهدي
الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله **ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**
وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن

والفصاحة

والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم وقرا قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه
فيقال فلان بن فلان **فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم
به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما** فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين
واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه
ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما
تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم
فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه
متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن
اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني و
عمده **فان قلت** فاذا وجد التبني فما حكمه **قلت** اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه
منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند
ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبده عتق و
كان الله غفورا رحيما العفو عن الخطا وعن العمد اذا تاب العامد **النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا
ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا** النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين
والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه
آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب
ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه
رسول الله وصرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على
معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رءوف رحيم وعن النبي عليه السلام ما من مؤمن
الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي هو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي عليه السلام ابوهم في الدين
وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن
قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة
رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل

نسخة ام
لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد
لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة
الدارين وما صرفهم عنه ع

على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولا الى كلهم حيث لم يجر سائر احكام الامهات وكان المسلمون في صدر
الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات
ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى
نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز
ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون
لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة **فان قلت** مم استثنى ان تفعلوا **قلت** من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى
من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية
والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا
والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير
الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و**
منك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم
القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم
الست بربكم فقالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم و
كانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله
او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله **فان قلت** لم قدم رسول الله عليه السلام على نوح فمن بعده **قلت** هذا العطف
لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد عليه السلام افضل هؤلاء المفضلين قدم
عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه **فان قلت** فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت
هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره **قلت** مورد هذه
الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة
والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد
خاتم النبيين في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير **فان قلت** فماذا اراد
بالميثاق الغليظ **قلت** اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ
استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على

الوفاء

الوفاء بما حملوا **فان قلت** علام عطف قوله واعد للكافرين **قلت** على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد
على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل
الصادقين كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم**
جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذكروا ما انعم الله به عليكم
يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا
باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب و
اطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب
عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع
رسول الله عليه السلام باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة
آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام و
اشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى
وقيصر ولا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة حتى انزل الله النصر وقرئ بالتاء والياء **اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت**
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا
زلزالا شديدا من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها
حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى
الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد
ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب
القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب
والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن
الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم
وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم ينصرون وقرئ
الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها

في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل والوقف
اجرا للوصل مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرئ
زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و
يستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا قيل قائله
معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا
الا وعد غرور طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه
ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم
ها هنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان وقرئ عورة بسكون الواو وكسرها
فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو و
السارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها
غير حصينة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون
الفرار ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ولو دخلت
عليهم وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر
المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين
سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين
لأتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما
يكون السؤال والجواب من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى
انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤوهم
هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا
على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر
وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا قل
لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا عن ابن عباس عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا
لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤولا
مطلوبا مقتضى حتى يوفى لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرا

ر فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت
له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم
رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم
هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من
السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا
او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلم الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز
يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد
مثل احضر وقرب قال هلم شهداكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم
يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم
بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا
اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف
ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال
والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤوا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد
شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ
اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فإن قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكن تعليم
لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين
ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح
وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا
فإن قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط
تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا
لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا يحسبون ان الا
حزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم
من الجبن المفرط وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو

يتساءلون من الاعراب يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى
في رواية صاحب الاقليد بديا بوزن عدي ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت
ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول تراءينا الهلال وترآيناه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما كان عليكم ان تواسوا
رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في حمى الحرب حتى كسرت
رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة
بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول
في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى
بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجوا الله و
اليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجوا ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجا
بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجا بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي
برسول الله من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء وما زادهم ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا نذر
رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة و
مصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر
الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم
في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره
من الثبات مع رسول الله فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار
وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد

عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه
ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
عليه السلام يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل
النفاق ومرض القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله
كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال
وكان الله قويا عزيزا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي
لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين
كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى
او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من
صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه
التي في ساقه لانه يتحصن بها وروي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب و
رجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال
ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله عليه السلام يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه
فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله
داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا
في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقوله رسول الله عليه الصلاة والسلام
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم
سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله
عليه السلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم
فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ تأسرون بكسر
العين وضمها وقرئ بضم السين وروي ان رسول الله عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي
دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كانت نتحدث
انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن
سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن
أجرا عظيما اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدأ بها
وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه
رسول الله عليه السلام ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل الله لا يحل لك النساء من بعد
ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري
ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها
قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق
قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس
في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل
القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية
وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا
اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه
ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله
في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوى في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن
واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني
امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم
يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن
الزهري متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين
من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره
وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة
درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما
ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ
امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستئناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة يا نساء النبي
من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن
يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما تسكن الكبائر لا

في

بالتخصيص الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترف
من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم
لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر
النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على
العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء
يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم
العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على
حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن
نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر
عليهن غير صارف عنه وقرئ يأت بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بينت يضاعف ويضعف
نضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها
بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا
تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم
وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن
كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة
تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن
متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات
فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهين عن
الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم
وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع
المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او
من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله
اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمذاني في كتاب التبيان وجها

آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة
والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهو الزمن الذي ولد فيه ابرهيم كانت
المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين
ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان تكون
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكأن
المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول
الله قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة
والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات
من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت
رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف
للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب
الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم
فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي
من اهل بيته **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا** ثم ذكرهن ان
بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على
صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم
في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد
جامعا بين الغرضين **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين
والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات و
الصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما** يروى ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي
عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد
الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله
وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله
وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي
اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع

بدرهم

بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من
ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى
والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه **فان قلت** اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث
على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين **قلت** العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان
مختلفان اذا اشتركا لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة
بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد لهم **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا
مبينا** خطب رسول الله عليه السلام زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة
فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين
درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت
عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت
هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين
اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من
امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره **فان قلت** كان من حق الضمير
ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا **قلت** نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل
مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء والخيرة ما يتخير **واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا** للذي انعم الله عليه بالا
سلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب
في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله
ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو
عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله
في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب

على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت
وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله
ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار
فان قلت ما اراد بقوله واتق الله **قلت** اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان
الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج **فان قلت** ما الذي
اخفى في نفسه **قلت** تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها و
سينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه
فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل
فاني اريد نكاحها **قلت** كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك
حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور
والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله قتل عبد الله بن
ابي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله
فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد **فان قلت** كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح
به ولا يستهجن النبي عليه السلام التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما
يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع
الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شيء يتحفظ منه الانسان
ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما
كان الدخول في ذلك المباح سلما للحصول على واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه
لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون
قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين
بالحديث وكان رسول الله عليه السلام يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم
بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله
مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فكان هذا من ذلك القبيل لان طموح
قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل
الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبته زينب ونكاحها
من غير استنزال زيد عنها ولا طلبه اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم

بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا
عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين
دخلوا المدينة آساهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وانكحها
المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد
ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت
الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في
كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن
الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا **فان قلت** الواو في وتخفي في نفسك
وتخشى الناس والله احق ما هي **قلت** واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة
ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وحقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته
من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير
ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسين بن علي على ابيه الا كذلك ولا قرأها
علي بن ابي طالب على النبي عليه السلام الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله
الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ومن نفي الحرج
عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الازواج
بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله **ما كان على النبي من حرج فيما**
فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات
الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض
لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا
وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا
يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر و
السراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية الذين خلوا من الانبياء
الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح
على هم الذين يبلغون او على اعني وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف

قوله واو الحال يجوز ان يكون حالا مقدرة على ان الواو للعطف صحيح لانه لا يجوز ان يكون المضارع المثبت حالا مع الواو على خلاف المشهور عند النحاة كشف

بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف أو
محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي لم يكن
أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان
رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم
عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة
فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني أنه لو كان له
ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش
لكان نبيا فإن قلت أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من
رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله
لا رجالهم فإن قلت أما كان أبا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله
لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن
والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا
على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه
أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء
أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض
أمته يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا اذكروا الله أثنوا
عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أي في
كافة الأوقات قال رسول الله عليه السلام ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن
الطاهر والجنب والغفلان أعني اذكروا وسبحوا متجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة
والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله
على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح
ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس
المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم
والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادة فإن كل طاعة

وكل خير

وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على
غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءهما أشق ومراعاتهما أشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم
من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما
لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد
المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم
صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف فإن قلت قوله هو الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع
بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم
فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله
لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك
وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه
والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى
أنه لما نزل قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا
فيه فأنزلت تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام ويجوز أن يعظمهم الله تعالى
بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك
الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول
الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا شاهدا على من بعثت
إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم
فإن قلت وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها
قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا
فإن قلت قد فهم من قوله إنا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله بإذنه قلت لم يرد به
حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف
الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك
والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب
شاق لا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح إنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل
له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر جلى الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما

على ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الا
بصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني
رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر
وقيل وذا سراج او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب
ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل ويجوز ان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم
وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما
كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ
بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس
هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله
بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب يناسبه قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا
على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين
لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك
اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله
بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان
من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا
جميلا النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال
لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان
فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن
تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن
مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة
المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى
بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم

تفاوت

تفاوت الحكم بين ان تطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة
في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت
نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل
على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد
بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب قلت ان كانت
غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان
كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت
يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا
رحيما اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد
فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره
بما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها
وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل
ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما
غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة
ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كا
له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون
الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله عليه السلام
من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك
من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله عليه الصلاة والسلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت

١

على الشرط وقرأ الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا يعني وقت دوام جلوسه فالمعنى وقت ان وهبت نفسها وفي قراءة ابن مسعود بغير ان فان
قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح ج
رسول الله عليه السلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي
قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى
الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له
لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة
فيه وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله وامته سواء في الا
حكام الا ما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وتخصيص رسول الله عليه السلم بمعنى الهبة ولفظها
جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد
النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت و
عقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما
احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد
والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله عليه الصلوة
والسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون
المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى
هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة
يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله عليه السلم بما اختصه به ففعل ومعنى
لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى
وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع
اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة
لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا
يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما روي ان
امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن
ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة قالت اني ارى ربك يسارع
في هواك ترجي بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء

طلق

طلق من نسائها ويمسك من شئت منهن لا يقسم لمن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك
وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي عليه السلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد خطبها حتى يتركها فاذا امسك ضاجع
او ترك قسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان تخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى
منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة
وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا
سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك وذلك التفويض الى مشيئتك
ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن وذهب التغاير والتغاير وحصل
الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك
وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه
طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما
بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ
ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء
من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل
شيء رقيبا حافظا مهيمنا لا يحل بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا
يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن
اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله عليه الصلوة والسلم عليهن وهن التسع
اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة
بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت
الحرث المصطلقية ومن في من ازواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل
لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من
الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل
بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل
على النبي عليه السلم وعنده عائشة بغير استئذان فقال رسول الله عليه السلم يا عيينة اين الاستئذان
قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال
عليه السلم عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال عليه السلم ان الله حرم
ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها

ما مات رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى احل له النساء يعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون
بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولا اعجبك في موضع
الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك حسنهن قيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن و
استثنى ممن حرم عليه الاماء وكان الله على كل شئ رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا
دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم
كان عند الله عظيما الا ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وحال من لا تدخلوا وقع الاستثنا
على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا
تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن
ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما
هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واناه الطعام ادراكه
يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين
وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله عليه السلام اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر
انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما
اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام
يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت
ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان
يستأنسوا حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب
على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله
لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحيا مما يمنع الحيي من بعض الافعال

قيل

قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة
رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة
الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة من
المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان
ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبن فان
لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا و
الوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله عليه السلام كان يطعم ومعه بعض
اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر ان بعضهم
قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما
كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من
اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه و
استغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته
حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا و
استهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب
فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء
ان الزوج الثاني في هدم الثلث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عليه السلام عما يلاحظ ذلك
ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه
في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته
نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان
على كل شئ شهيدا روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن
ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر
العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم و
اسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير
محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله
فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحططن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن

واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير
محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا
تتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند
البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وقولوا اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام
معناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على رسول الله واجبة ام مندوب اليها قلت
بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل
بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا
لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال
الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية
السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في
اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت
فالصلاة عليه في الصلاة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم
النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله
فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلاة على غيره قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله
هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى
ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها
واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله
ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن
مواقف التهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يؤذون الله
ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار
النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا
فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز و
الحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد

مغلولة

مغلولة وقالت النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة والمشركون الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في
اسمائه وصفاته وعن رسول الله عليه السلام فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم
ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني
وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم
ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي
واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا
واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل
نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا
يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون
لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا
رحيما الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها
وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد
مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن
يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على
هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان
واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا
للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف
وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى
واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت
هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب و
المراد ان لا تكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في
بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن
سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه
على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن
بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة
لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في

المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف
إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون
ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت
وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت
من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون
عما يلفقون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب
الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك
إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل
حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب
عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه
لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف
على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فإن قلت
أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني
مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء
عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله
في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما
قتل أهل بدر وأسروا يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا
لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين وقريبا شيئا
قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقرئ تقلب
على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب وتقلب أي تقلب هي ونقلب على إسناد الفعل إلى السعير ومعنى تقليبها تصريفها
في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها

وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع
على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا
نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ ساداتنا وسادتنا ساداتهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر و
فائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا بالثاء لأعداد اللعائن
وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله هم يعترفون ويستغيثون و
يموتون ولا ينفعهم شيء من ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
وكان عند الله وجيها لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة
بعض الناس وقيل في أذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم
إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه
حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو
أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع
الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة
وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في
رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش
مكين وهذه ليست كذلك فإن قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة
وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى
أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح
لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا
إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما
قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن
يسدد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم
وتسديد قولكم فإنكم إذا فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن
مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة
للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم
النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن
الأذى والداعي إلى تركه إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن

منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز
العظيم اتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان
احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها
وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيته وارادته ايجادا
وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم يكن
حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف
مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة
لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز
واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته
الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى
نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل
اخوك الذي لا تملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف اي لا يمسك الرقة والعطف امساك
المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه
الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان
يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة و
بالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل
محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به
واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها
وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم و
اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة
البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان
العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى
حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها **فان قلت** قد علم
وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في
تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه
وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض

الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال
هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب و
في نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها **ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان
الله غفورا رحيما** اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب
في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي و
يتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على
الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الا
حزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر **سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية**
**بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد
في الآخرة وهو الحكيم الخبير** ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من
اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا
كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة
علم انه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب **فان قلت** ما الفرق بين الحمدين **قلت** اما الحمد في الدنيا فواجب لانه
على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه
على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ
من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور
ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات
وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل
من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسبوغ فضله
الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد **وقال
الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم** قولهم لا تاتينا الساعة نفي للبعث وانكار

لمجيء الساعة او استبطأ لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي
ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد
باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي
لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على
الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد
عليه اثبت وارسخ **فان قلت** هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى **قلت**
نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل
عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب
وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه
الاختصاص مجيئا واضحا **فان قلت** الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ
الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه
قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع
في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من الثواب والمسيء لا بد له من العقاب وقوله
ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره
للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعلام
الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من
الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام
منقطع عما قبله **فان قلت** هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر
واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل
لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر **قلت** يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا
جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح
نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح **والذين**
سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك
من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز
سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولو العلم يعني اصحاب رسول الله عليه السلام ومن يطأ اعقابهم

من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما
مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى
في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان
ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا
حسرة وغما **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي**
خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام يحدثكم باعجوبة من
الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل
ممزق ويفرقكم كل تبديد اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك
وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة
مقترنان وقرأ زيد بن علي ينبئكم **فان قلت** فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي
فلا عيابهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا **قلت** نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير
والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح **فان قلت**
ما العامل في اذا **قلت** ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره **فان قلت** الجديد فعيل بمعنى فاعل ام
بمعنى مفعول **قلت** عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين
بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا
ملحفة جديد وهو عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك **فان قلت** لم اسقطت الهمزة في
قوله افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل **قلت** القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك
اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام
فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد **قلت** هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد
عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل **فان قلت** كان رسول الله عليه السلام مشهورا علما في قريش وكان
انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة
عليه كما يدل على امر مجهول **قلت** كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي
التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء**

والارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب اعموا فلم ينظروا الى السماء
والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما
وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت السموات ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر
فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب
لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفره وقرئ يشا ويخسف
ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرا
الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير يا جبال اما
ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب
والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى
تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة
لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها
وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف
على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة
الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم
سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته
والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب
بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ سابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله
ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم
ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا
خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في
السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود
واهله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقرئ ولسليمان الريح بالرفع ولسليمان الريح

يعني

بالنصب والرفع ولسليمان الرياح بالرفع غدوتها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم
راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان
قلت ما اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع
الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة
ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه
وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه
ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال
سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز
سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم
والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار و
غيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤوس وروى
انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل يقعد على الجفنة الف رجل
وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر
لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على وجه الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا
شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه
انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر
الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن
عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه
جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن
عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله

شكره فقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال الجليل ... فلما
قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة
التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ
بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته فعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا
والمنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس
بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءته على مفعالة كما قالوا في الميضاة ميضاءة
ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ
اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد
جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن علما بينا
بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون
علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما
تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك
تبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة
ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله
ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي
قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في
المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء
تصلحين لكذا فاصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه
وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن
موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من
عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق
فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد
اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة
مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن
الناس انهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب سنة ويروى ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط

موسى

موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان
يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا
ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو
ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه **لقد كان لسبأ**
في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور
قرئ سبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم و
ارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره
الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح **فان قلت** فما معنى كونهما آية **قلت**
لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما
الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما
آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره **فان قلت** كيف عظم الله جنتي اهل سبأ وجعلهما
آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت **قلت** لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد
جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه و
شماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون
اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما امرهم بذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له
اتبعه بقوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم و
طلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها
المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها
بعوض ولا ذباب ولا براغيث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب
معناه اسكن واعبد **فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل**
خمط واثل وشيء من سدر قليل العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضرب لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين
بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما
طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عندنا نعمة
سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل الكدس
من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد
وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وقرئ اكل بالضم

م
لم يكن سببه الا الذنوب

والكرب وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج
كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون
ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل
ذواتي اكل بشع ومن اضافه وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل
والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين
وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا
ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي
والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل
المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام
لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم
بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان
يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد
الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال
مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا**
فيها ليالي واياما آمنين القرى التي بارك فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض
لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم
وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف
جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما
مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه كانهم امروا بذلك واذن لهم فيه **فان قلت** ما معنى قوله ليالي و
اياما **قلت** معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات
او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم
وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا و**
ظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية
فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جنائنا ابعد

كان

كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا على النداء وقرئ ربنا باعد بين سفرنا
وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم
وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم
وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير
ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام
بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا**
من المؤمنين قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او
وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع
الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقول
صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على
المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى
وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك
عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم
وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
ولا تجد اكثرهم شاكرين **وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في**
شك وربك على كل شيء حفيظ وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا
لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما
تعلق بالعلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان **قل ادعوا**
الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما
من شرك وما له منهم من ظهير قل للمشركين ثم كلموا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعن لكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم
ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر
او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم
خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد
عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى **فان قلت** اين مفعولا زعم **قلت**

أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو
محذوفا فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك
كيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم
آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول
الموصول بصلته وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة
مقامه إذا كان مفهوما فإذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده
إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول
الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة
لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له
أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله
وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فإن قلت بم اتصل قوله حتى إذا
فزع عن قلوبهم ولأي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للإذن وتوقعا
وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي
من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السماوات والأرض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا
كأنه قال يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلعين حتى إذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا
ماذا قال ربكم قالوا الحق أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي
عليه السلام فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أي أذن له الله وأذن له على البناء
للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أي نفي
الوجل عنها وأفني من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور كما
تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل
وأسند إلى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار
فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة
من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي
مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع

إلا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال
مبين أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك
للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد
وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن
يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم
من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال
فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من إلزام الحجة ونحوه
قوله عز وجل قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا
ولا ضرا وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر
عنه وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق
من السماوات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد
من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به
قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من
الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض و
أهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله
الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان ٥ أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على
فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم
إما على هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح
بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم
هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد
بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم هو حكمه و
فصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار فإن قلت ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويعرفهم قلت
أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم
على إحالة القياس إليه والإشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم
أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره
بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده

ويجوز ان يكون كافة في قوله تعالى هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم
محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس
في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن
جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على
الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له
الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون وقرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعادا يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان
وهو هاهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما وجه اضافته الى
يوم او نصبه يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى
التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع
على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له
الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الذي بين يديه ما نزل قبل
القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفته في كتبهم
فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه
يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة
ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه السلام او للمخاطب ولو ترى في الآخرة
موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم
الاتباع والمستكبرون هم الرؤوس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا
هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم
قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان
بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلالة على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون
آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية

فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى
الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له
اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون
الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم
بل كنتم مجرمين ان ذلك بسوء اختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا
دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار
فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد
المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب
اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ
او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء
مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت
لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام
آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل
على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم
المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم والدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة
اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذه
تسلية لرسول الله عليه السلام مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال
والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم
على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى
قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد
ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي

ومشتق على الطبع مذبذبا عكس وثبا وتنعم عليهما ومشتق عليهما فلا تظنوا امر الثواب الذي مبنيا على الاحتجاج
ويقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما
عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون
المعنى ما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في
حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموصوفة
للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالتي الذي يقربكم والزلفى و
الزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي يقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء
من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد
لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر
الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم
الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء
الضعف مرفوعين بدلا من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فهو يخلفه فهو
يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف
دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل
وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان
كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه
على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله
الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل
السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد
علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان
يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون
اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولاء

وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهو البعد والولي
يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات
موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية
لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين
صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت
فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون والامر في ذلك اليوم لله وحده لا
يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف
حال الدنيا التي هي دار التكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع
يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا عطفا على لا يملك واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا
الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولى الى رسول الله
والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين
كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب
من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه
ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بينوا على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما
آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار
ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك
ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول
كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل
الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم
بقوله وكذب الذين · هم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار و
قوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم
بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهذه الآية تدل على ان درس الكتاب
درس الكتب ويدرسونها مشددا الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهو العشر والربع فان قلت

ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين
من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل
أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه السلام ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل
عمرو فيتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله
مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد بواحدة
بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم وأما القيام الذي لا
يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها
أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين أو واحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر
محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر
متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على
جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله
وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن
الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر
الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراد بقوله ما بصاحبكم من جنة أن هذا
الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي
بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل
مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل
دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم
ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان
مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن
يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين فإن قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز أن يكون كلاما مستأنفا
تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا
فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام
بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد قل إن ربي
يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله
ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة
الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه

الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله قل ما سألتكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا
وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على
نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد و
يستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت و
معنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول
على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على
المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي
جدا والحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد
مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي عليه السلام مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما
فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده
المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة
وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل
أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت
فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب قرئ
ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ
إضل بكسر الهمزة مع فتح العين فإن قلت أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وقوله فبما يوحي إلي ربي
وإنما كان يستقيم أن يقال فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه و
من أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة
المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة
بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه
لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به إنه سميع قريب يدرك قول كل
ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة
ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله
في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت

وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها
فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والاخذ من مكان قريب
من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحرا بدر الى القليب او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم فان قلت علام عطف قوله واخذوا قلت فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اي فزعوا
واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل
لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد
وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد آمنا به بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله
ما بصاحبكم من جنة والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه
ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو
ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو
المضمومة كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت
اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * اي اخيرا ويقذفون معطوف على
قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم
في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا
ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد
شيء من عاداته التي عرفت وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به
شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه
من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال
للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب
الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد فكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام
الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان
قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل
بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب ما يشتهون من نفع الايمان
يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم
باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب الرجل اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من
اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول

منقول

منقول من المريب الذي هو من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك
كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان
له يوم القيامة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة مكية خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن مجاهد
عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا
بضم السين وسكونها اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولا اسم جمع لذا ونظيرهما في
المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك
انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى
غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة
اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم
جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد
في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث
والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون
في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما
بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان
يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء
من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه
سأل جبرائيل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله
عليه السلام في ليلة مقمرة فأتاه جبرائيل في صورته فغشي على النبي عليه السلام ثم افاق وجبرائيل مسنده واحدى
يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال فكيف لو رأيت
اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين
لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عنه عليه السلام في قوله تعالى يزيد في الخلق ما
يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة هو الملاحة في العينين
والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش
وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم

وحسن ما في هذه الآية الاسلوب وما اشبه ذلك مما لا يخفى على اهل الذوق ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم استعير الفتح للاطلاق والارسال لانه مسبب عنه اي بالاخر عن قوله
فلا مرسل له من بعده من مكان لا فاتح له بمعنى اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن
او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة
كانت سماوية او ارضية ولا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه
فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل
على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه
ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل
لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون مثل تفسير الاول ولكنه ترك
لدلالة عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة
على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت اراد
بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء
ان يتوب على العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا
يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته
وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة
ارساله وامساكه يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و
الارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور
ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر اياديّ عندك يريد حفظها وشكرها
والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا
نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية
وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت
ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق
باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت
هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث
من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء و
الارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض

النبات

النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم
لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم
لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات له فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون
فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله
بان له في الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة
المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق
الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد
كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت فما معنى
التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو ايات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا
تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان
لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير اخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين
واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك
نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعدى منه
العداوة منه وانتم معاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن
منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي
يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير
ثم كشف الغطاء وقشر اللحا ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل الصالح
وتركهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين امنوا قال لنبيه افمن زين له
سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة
لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال

تطلق امر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه
ويقعد تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم
وشأنهم فإن على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في
خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب
لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه
حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته
ويجوز ان يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى
حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله
فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد
لهم بالعقاب على سوء صنيعهم الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به
الارض بعد موتها كذلك النشور وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده
قلت ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الريح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة
الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما
قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فأضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم
اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق
السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل
فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك
في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله
الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال اهل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قالوا نعم قال فكذلك
يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد
الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال
عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا
يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة
فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها

عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه
ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه
ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو
الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله
عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز
وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها
وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب
كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول
الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا
يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس
بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد
والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح
يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب
السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين يمكرون
المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي
في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا
تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم و
اثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا
تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ازواجا
اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع
الحال اي الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه
معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب
عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام
المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة

الطول والنقص في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما
تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في
كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة
فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي
هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران
الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لأخر في اجله
فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما
يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره
وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز
ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما
من نعمته وعطائه ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية و
هي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب
بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كأنها تقشره كما
تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف
الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ
بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين
بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك
فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله وما الله بغافل يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل
مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

ذلكم

ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة
او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها
ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم
لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم و
عبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به
يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به
من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز فان قلت
لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق
كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد
سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو
نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه
وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان
يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم
كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا
يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير
الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها
التي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا
قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة
الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم و
ذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا

تشابهه بينهما والثاني في ان لا اغاثة بوجه لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو
لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او
اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة
فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح
ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت فما تقول فيمن قرا ولو كان
ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على
ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت
ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل
بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه
غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله عليه السلام من اصحابه فكانت
عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما
تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت
كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم
القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله عليه السلام اسمعهم ذلك فلم ينفع فيهم نزل انما
تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور
ان انت الا نذير الاعمى والبصير مثل للمؤمن والكافر كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وجل والظلمات
والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤدي اليه الحق والباطل من الثواب والعقاب والاحياء والاموات
مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم
يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت
الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى
شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه
فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم
فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وينذر
وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن

من يشاء

يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي
المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك
في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها
نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا
مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة
قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة
هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر
فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة
باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا عليهما السلام فان قلت
كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة
لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة
وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الا
شياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات و
بعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله عليه السلام الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها و
غرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده
العلماء ان الله عزيز غفور الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او
هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني
ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على
لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود
غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع
المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي
بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث
يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله جدد بيض
اي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها

ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري
جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها
قول ابي ذؤيب يصف حمار وحش جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق
الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها عن بعض وقرئ والدواب
مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فر من التقاء الساكنين فحرك
ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء الذين علموه
بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته
ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له
خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي
افتني ايها العالم فقال العالم من يخشى الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت
عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت
لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء
دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله
وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان
الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس
وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن
على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي عليه السلام انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم
فان قلت ما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة
قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين
الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم
واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و
يزيدهم من فضله انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم
عن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن
السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان
والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله
ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان

جعلت

جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة
والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم
والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده
لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن
هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان
يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير
جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت
ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك الكتاب القرآن ثم اورثناه من بعدك
اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته
الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة
وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل
الكتب ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا
وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم
بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه
من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة
الحنيفية فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك
قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن
وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر
المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه
عمر رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط
ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك
في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره
وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان
المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة
مخصوصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها

ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب على محل من اساور
ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به
غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى وقالوا الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقرئ الحزن والمراد حزن المؤمنين وهمهم من خوف
سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس
حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل
حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا النهار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى
هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم
وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
وذكر الشكور دليل على ان القوم كثيرو الحسنات الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه
وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة
الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او
مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت فان قلت ما الفرق بين
النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما
يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من
الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
كذلك نجزي كل كفور فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له
في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك
الجزاء يجزي وقرئ يجازى ونجزي كل كفور بالنون وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير
الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور يصطرخون يتصايحون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته فان قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة
غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على
ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم
كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا

نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه
من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا ان التوبيخ في
المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن
مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ و
جاءتكم النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه
معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور
وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول ابي بكر
رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله اذا قال قدني قال بالله حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا
المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى الى
قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم
خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى
انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع اليه وهو مقت الله الذي
ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح
امرأة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء
كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من
دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينات
منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا أروني بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم اخبروني كانه قال اخبروني عن
الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله
ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من
ذلك الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان
يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ
بينات ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما
غفورا ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل
بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه

وتشقق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى
مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل
مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك
قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا
رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه من احدى الامم
يحتمل ان يريد من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم وان يريد من الامة
التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي لانه
هو السبب في ان ازدادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا
في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض
انه كان عليما قديرا استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا و
علوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله عليه السلام والمؤمنين ويجوز ان يكون
ومكر السيء معطوفا على نفورا فان قلت فما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله وان مكروا السيء اي المكر
السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومعنى يحيط
ينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي عليه السلام
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا
يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع
فيها فقال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرأ الآية وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ
حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس
فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين
انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين
ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا
محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن
من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا

ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم
وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره
بذنب ابن آدم وتلا هذه الآية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر
فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت ٥

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر
قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون قرئ يس بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين و
بالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالقسم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس معناه
يا انسان في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم
حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة
كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان
قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت
ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما
الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين
الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط
مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على
اعني وبالجر على البدل من القرآن قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على
الاثبات ووجه ذلك ان يجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول
الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق
بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون
على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى
فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في
الآي الأخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء
من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر

فما تصنع به قلت أريد أنهم الأذقان دون الأباعد لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم
على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون
أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في أن
لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله فإن قلت ما معنى قوله فهي إلى الأذقان قلت
معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في
ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه و
يوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح إذا روي
فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت
السويق فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك
يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله
فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى
التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى
إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم
وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان قلت يأبى ذلك وإن
ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالضم
والفتح وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم فأغشينا أبصارهم
أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم
غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي
ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى
فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه
بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك
نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى

بقوله إنما تنذر على معنى أن البغية المرومة حاصلة مع غيرهم وهم المتبعون للذكر وهو القرآن
أو الوعظ الخاشون ربهم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب ما أسلفوا
من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء
بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها
فيها تخسيرهم أو شيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة
يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل
هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله
عليه السلام فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد
والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال رسول الله
عليه السلام وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح
الإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا أصحاب
القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم
مرسلون واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه
الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم
قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية
والقرية أنطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة
أوثان أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له
ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير ورقي حديثهما
إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما
فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية
الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل
سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما
يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه
فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف

قال إن لي عليك سراً إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي
ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة
أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب
السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما
رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل صيحة فهلكوا
فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه
يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فإن قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لأن الغرض
ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصباً
إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم
السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه
قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم
لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين إنما رفع بشر ههنا ونصب في قوله ما هذا بشراً لأن إلا تنقض النفي
فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى لها عمل فإن قلت لم قيل إنا إليكم مرسلون أولاً وإنا إليكم لمرسلون آخراً
قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد و
كذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم
وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعي والله
إني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحاً قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون تطيرنا بكم
تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه
واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة
هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من
أجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم و
معاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم وقرئ أإن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآإن بألف
بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم
وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم
على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكركم كان بحلولكم فيه أشأم بل أنتم

وتسويطهم فيه المتصلين بهم ثم أنكر [illegible] لا يحتملون رسل الله وتذكيرهم بل أنتم قوم مسرفون في
ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من أقصى المدينة رجل
يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون هو حبيب بن
إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن
نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه
وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من
دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا
بصيحة جبريل وعن رسول الله عليه السلام سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب
ياسين ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم
شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة وما لي لا أعبد الذي فطرني
وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون
إني إذاً لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم
ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد
الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى إلى قوله وإليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك
لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا
قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبدؤكم و
إليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم
هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه
إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه
أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال إني آمنت بربكم فاسمعون قيل أي اسمعوا إيماني
تشهدوا لي به ومعنى إن يردن الرحمن بضر معناه إن يوردني في ضر أي يجعلني مورداً للضر أي ما تركه
ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد به قوله تعالى بل أحياء عند ربهم
يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها فإن قلت كيف مخرج هذا القول في
علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن
قائلاً قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل
ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوماً وكذلك

قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم
قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتسابهم مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل
الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على
وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر
في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته
والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره
وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في
ذلك زيادة غبطة وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي
ربي اي الماءات هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية
يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر
لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا اي باي شيء صنعت وبم صنعت
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون المعنى ان الله
كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت
وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا
من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما
اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الف من الملائكة مسومين قلت
انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبرائيل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة
منه ولكن الله فضل محمدا عليه السلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار
واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار
بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا
نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على
كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة
ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم
وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو

ويزقي

ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما
قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم
احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين
من الثقلين ويجوز ان يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها
به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ
يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على
اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون للاستفهام
او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم
يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا
القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا
من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل الاشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه
قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه واقتسمنا
ميراثه وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد
بمعنى الا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا
من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة
وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد
معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول
يقال حي جميع وجاؤا جميعا وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون
وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم
افلا يشكرون القراءة بالتثقيل على الحقيقة اشيع لسانها على الالسن واحييناها استئناف بيان لكون
الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين
لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني
وقوله فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم
بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء
وقرئ وفجرنا بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين

بفتحتين وضمة وسكون والضمير له تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس
والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه، وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه بفعل الله
وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى
الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في
حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من
بياض وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كأن ذاك ويجوز ان تجعل ما نافية على ان الثمر
خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في
مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق
الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون الانواع الاجناس والاصناف ومما لا
يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله
تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم
الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما يعلمون وعن ابن عباس
لم نعيمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه فاعلمنا
بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو بعينه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما
خلق بما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم
مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم نسلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله
ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون
في الظلام مفاجأة كما تقول اعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر
السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا
ومغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من سيرها
كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت
عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقرئ تجري الى مستقر
لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا قرار لها تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري
على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما الا
تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم وقرئ والقمر رفعا على الابتداء او العطف
على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه من تقدير مضاف
لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا

ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم
نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين . البطين . الثريا . الدبران . الهقعة . الهنعة
الذراع . النثرة . الطرف . الجبهة . الزبرة . الصرفة . العواء . السماك . الغفر . الزبانا . الاكليل
القلب . الشولة . النعائم . البلدة . سعد الذابح . سعد بلع . سعد السعود . سعد الاخبية . فرغ
الدلو المقدم . فرغ الدلو المؤخر . الرشا . فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم
وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى
واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي
قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل و
النهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس لا يتسهل
لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله
ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني
آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر وينقض ما الف
فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق
قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف
بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل والتنوين
فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى كلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ذريتهم اولادهم
ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني
النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى
حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه
ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح و
من مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم
ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين فلا صريخ لهم لا مغيث لهم او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة ولتمتيع بالحياة الى حين اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد

النجاة من موتها بالغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله
اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقرأ الحسن
نعرفهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن
مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع
التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله
وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين فكأنه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا
ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون الافعال
بمشيئة الله يقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج
الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول
بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن
ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل
كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامهم ولم يشأ اطعامهم فنحن احق بذلك وقيل نزلت في مشركي
قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله عليه السلام اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين
قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين ما ينظرون الا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قرئ يخصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها
تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم
وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم
يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا
يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة وقرئ الصور بسكون الواو
وهو القرن او جمع صورة وتحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر
السين وضمها وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون وقرئ يا ويلتنا وعن
ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد

هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما
وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف
اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وعن مجاهد للكفار
هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة
عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به
انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على
تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة
قلت تقديرها هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون
من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث
فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه
جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا
به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا
هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين
الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها
فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة
تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف
وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير
والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثم اقبالهم على نعيمهم مع كانه
ينتظم وذلك بعد الوله والصبابة والتقصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي
الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض
الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه
اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه
والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون
وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال

والظرف مستقر يحتمل ان يكون مبتدا او ان يكون تاكيدا للضمير في شغلهم وفي فاكهون على ان الخبر
شاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير
في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم
كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون
بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان
في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعا اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم سلام بدل
مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملك
او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون
عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا
شوب فيه وقولا مصدر موكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب
على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سالما نصب على الحال
اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار
بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية ومعناه نائوا فامتازوا وانتاوا وعن قتادة اعتزلوا
عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز
من بعض ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم العهد الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم
من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب
فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب
نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد
اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير عزة
لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير اراد انه صراط بليغ في استقامته حقيق بان يوصف
بكمال شرائطه في ... المستقيم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه
بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة
توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى
الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق
الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن

نافع غير ضار لمن يبعثه الجهل على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا
تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون و
بضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا
جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الاجيال ومعناه انهم يجحدون ويخاصمون
فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ نختم على افواههم وتكلم ايديهم
وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم
على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يامر الاعضاء
بالكلام والشهادة ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا
الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه
لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الصراط وهو الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم
والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين
في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو نشاء لاعماهم
فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو نشاء لاعماهم
فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون
الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا
من طرق المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة و
المقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع و
اختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم
وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي كالعتي والمضي كالصبي ومن نعمره
ننكسه في الخلق افلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين
لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه
من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال
ومن درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق
فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس

اليهم فيصير اعلاه اسفله قال الله عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه
اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل
الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم
ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ ننكسه ونُنْكِسه من التنكيس والانكاس افلا
يعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط
فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في
شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين
المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي
جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون
الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من
الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة
فيه ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في
كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها احد شعرا ولا
يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان
البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا فلما نفى ان يكون القرآن من جنس
الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال
ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال
بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القرآن
او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل
كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا
يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون
مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها
التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها
لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون او فهم لها

ضابطون

ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو
من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه
الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم اي
ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها
مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب
او الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اتخذوا الآلهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا
بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون
لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على
خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار و
قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون
بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في
نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن
يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معنى
ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي
رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله
عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر
معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى
المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى
الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر اولم ير
الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر
الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرر بان

عنصره الذي خلق منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة القذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة
ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته
ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم
وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها
وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى
لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما
رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعد
ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أو من
ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فإن قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل
عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن
ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق
الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في أنهم
غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال
لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من
يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها
وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها
فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في
بدن حي حساس قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر
الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت
والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر
مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما
الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة إلا و
فيها النار إلا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كدينات القصارين الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى
ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة
بالإضافة إلى السموات والأرض وأن يعيدهم لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم
الكثير المعلومات وقرئ الخالق إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف
أن يقول له كن أن يكونه من غير توقف فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت ما حقيقة قوله
أن يقول له كن فيكون قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور
كالعبد المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فإن قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت أما الرفع فلأنها جملة
من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على
يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة
واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص
داعيه إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدوره حتى يعجز عن الإعادة فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء وإليه ترجعون سبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت
كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك
كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس
وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن
يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم
قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه
وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة
بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو
ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام إن في القرآن
لسورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس والله أعلم

سورة الصافات مكية وهي مائة وإحدى وثمانون آية وقيل اثنان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض
وما بينهما ورب المشارق أقسم سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة من قوله
تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات
لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات

كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي رضي الله عنه فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات قلت إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قيل الذي صبح فغنم فآب وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات فإن قلت فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده قلت إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فإن قلت فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب

زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يستمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب فإن قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فإن قلت أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طروحا أو على أنه جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وأتبعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل فاستفتهم أي استخبرهم أهم أشد خلقا ثم بعد تقريرهم والضمير لمشركي مكة قيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته أم من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة

والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة من غلبت العقلا على غيرهم
فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشيا فاستفتهم ام اشد خلقا ام من خلقنا بالفا المعقبة
وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفا ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من
عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراة من قرا
ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه
شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق
هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب
انما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او
احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله
قالوا اذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم
الماضية وليس هذا القول بملايم وقري لازم ولاتب والمعنى واحد واللاتب الشديد الالصاق
بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله
او انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقري بضم التا اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلايقي
اني عجبت منها فكيف بعبادي وهولا بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا
البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى
وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشي والله تعالى لا يجوز عليه الروعة قلت
فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض ومنه قد جا في
الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من
شي وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود
وكان يقرا بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشي لا يتعظون
واذا راوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي
بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون او آباونا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
او آباونا الاولون معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل
بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباونا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
وابطل وقري او آباونا قل نعم وقري بكسر العين وهما لغتان وقري قال نعم اي الله او الرسول والمعنى
نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة

واحدة وهي لا ترجع الى شي انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية
والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرجعت لصوته ومنه قوله زجر ابي عروة
السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احيا بصرا ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون يحتمل ان يكون
هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملايكة وان يكون يا ويلنا
هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملايكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه
اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا خطاب الله للملايكة
او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم ونساءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نظراءهم واشباههم من العصاة
اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناوهم من الشياطين وقيل نساوهم اللاتي
على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما
كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتسالون
قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
غير منتصر وقري لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون
بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشوما
كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك
فكرت مباشرة افاضل الامور باليمين وارادلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن
في كل شي وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يوتى كتابه بيمينه
والمسي ان يوتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده
عنه واضله وجا في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق
ومن اتاه من قبل الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب
والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يود زكوة
فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من
المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقايق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها استعارة للقوة والقهر لان
اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لروسايهم والغواة للشياطين
قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول

قول ربنا انا لذائقون بل كنتم قوما مستيقنين بل الكفر اثرتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين
له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان تسلطكم به فنسلبكم تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان
فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا لذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا
بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون
بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه
قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف
فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين فاغويناكم
فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا
اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا
مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء
بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله
المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين انهم كانوا
اذا سمعوا كلمة التوحيد عن ما اذا استكبروا عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون نبينا صلى الله عليه وسلم
بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على
تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون الا ما كنتم تعملون الا مثل
ما عملتم جزاء سيئا الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي
كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم كانوا مستغنين عن حفظ الصحة
بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد برزق معلوم
معلوم بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات ياباه وقوله وهم مكرمون هو في
مقابلة الفلاء في نيل الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان يتوق اليه نفوس ذوي الهمم كان
من اعظم ما يجب ان ينفر عنه نفوسهم هوان اهل النار ومتقابلين التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم
الى قفا بعض يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم
قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال
وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر كذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب
او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في

كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها
او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته
بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي كانت
في كذب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله
ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا
لم تترك فيها ماء وفي امثالهم احين من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه
قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته
الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من
نزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع
او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده وافرده بالذكر
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا واعين النجل
العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت
على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره قرين
من المصدقين من التصديق ومن المتصدقين من الصدقة يعني شديد التصديق بالبعث وقيل كان له قرين تصدق بماله لوجه الله
فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال ائنك
لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو
الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال هل انتم مطلعون
فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين قال يعني ذلك
القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل
القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة
اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع
وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى
هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت
الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة انه لا يستبد بشيء

على الاعلام

دونك خلسا بيه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعوني
فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع
لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها قال عيسى حتى
انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة
وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء
الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي بالعصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة
من قرين السوء وانعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك **افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا
فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم** الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله لهم
ليعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض
الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من
قرينه ليكون توبيخا له ويزيد به تعذيبا وحكاية الله ليكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون من كلامهم جميعا
وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وعلا تقريرا
لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوا من السعادة مستقبلة للمؤمن ومقربة ثم رجع
الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل
والريع في الطعام فقال الطعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور
وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ويكون ان يجعله حالا كما تقول امر الصلاة خير
لحما ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه
نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام للساكن
الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا
خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى
الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم **انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين** فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل
الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة
الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في

الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير
فيقولون في المستقبح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوروه صوروه جاؤا بصورة
على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر
هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال لها الاستن خشنا منتنا مر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما
مما لا يعرف هذا الثمر بعينه ولا الشياطين الا وصفا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك صح اصلا
ثانيا تشبيه به **فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم** منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون منها البطون لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان
كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا اشبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبا اي مزاجه
من حميم ليشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم
وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر **فان قلت** ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي
قوله ثم ان مرجعهم **قلت** في الاولى وجهان احدهما انهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم
ويعطشهم ولا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم
والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي
حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم
ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يمتلؤا ويسقون بعد ذلك
ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى
الجحيم **انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا
نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين** علل استحقاقهم
للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل
والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم قبل قومك
قريش اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد
الله الذين آمنوا منهم واخلصوا دينهم لله او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر انذار المنذرين في الامم
الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين آيس من قومه واللام الداخلة على
نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة
والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناه الى مراده ونجيناه من ضره على ابلغ الانتقام

بنيهم بالمع ماكونهم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في
السفينة غير ولده وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح
وكان لنوح عليه السلم ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان
من المشرق والمغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه
تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله في العالمين
قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح
وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره
وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة
محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه من شيعته
ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان
بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة فان
قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين
جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى
للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه
قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم فتولوا عنه مدبرين ائفكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول
على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها
افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة
لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر
في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا
او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او
احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه

كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم فقال اني سقيم مشارف للسقم
وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم
وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد
جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح
ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم عليه السلم معراض من الكلام ولقد نوى به ان
من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون
ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي
في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها
فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا
او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا
لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله
على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا
لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه
متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو
الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من
عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا
من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض
بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم
عليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على اعين الناس وخلقكم
وما تعملون بمعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر
الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا

قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء
وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها
بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية
لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه
بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن
العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود
وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان
لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا
مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن
فإن قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم قلت بل الإلزامان في
عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج
على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون
حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأ
عمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا
به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين
فبشرناه بغلام حليم الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن
الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم
الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه أراد بذهابه
إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي سيهدين سيرشدني
إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين كأن الله
وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعده أو بناء على عادة الله معه في هدايته وإرشاده أو
أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى
ربي أن يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في
الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا
له إسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس حين هنأه بولده علي
أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب و
موهب وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما

وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك
وقيل ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده ولقد نعت الله
إبراهيم به في قوله إن إبراهيم لأواه حليم إن إبراهيم لحليم أواه منيب لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعا
فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه فإن قلت معه بم يتعلق قلت
لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي
لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على
السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف
به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمعنى
أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال
تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي
كالوحي في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه
راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم
سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة
فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذا ذبيح الله فلما ولد
وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري
ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي افعل ما تؤمر أي ما
تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول
وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به فإن قلت لم شاوره في أمر هو حتم من الله قلت لم يشاوره
ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن
عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس
به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في
المشاورة وقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان ذلك في المنام
دون اليقظة قلت كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية
الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال نوم فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق

كان اقوى لله لانه من انفراد احدهما **فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا**
انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم فقال عكرمة لامر الله فاسلم وسلم
معنى واحد وقرئ بهن جميعا اذا انقادا له وخضع واصلهما من قولك سلم هذا لفلان اذا اخلص له ومعناه سلم من
ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناها اخلص نفسه لله وجعلها سالمة
له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله
للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن
ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك كان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى
وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فان قلت** اين جواب لما **قلت** هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في
تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا
كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس والبلاء المبين
الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قرب به هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى
فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت
سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام عظموا
ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه قد وقع فداء عن ولد ابرهيم عليه السلام وروي انه هرب من
ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند
ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم عليه السلام
الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية و
انطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف
عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على
حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي فان رأيت ان ترد قميصي على امي
فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما
يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك
اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش

وابرهيم وابنه فاتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد
ابو حنيفة بهذه الآية في من نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت**
قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك
فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على
عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن
كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال
موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين
اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خيرني
بين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة
نزلت به قط ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن
عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي
قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني
الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن
العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو
الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اخيه اسحق في قوله
واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد لانه وعد اباه
من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود و
العباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله حين
هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام
المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
فان قلت قد اوحي الى ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا
وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على
شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في
فعل ابرهيم عليه السلام الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت الشفرة
وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في

حتى كان يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فإن قلت الله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح
فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له
الكبش ليفدي به وإنما قال وفديناه إسنادا للفعل إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته
فإن قلت فإذا كان ما أتى به ابرهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو
التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم فوهب الله
له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسمعيل ولكن في نفس الكبش
بدلا منه فإن قلت فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم عليه السلام
مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل به الوفاء بالمنذور
وإيجاد المأمور به من كل وجه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين فإن قلت لم قال ههنا كذلك نجزي المحسنين
وفي غيرها من القصص إنا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة إنا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء
بذكره مرة عن ذكره ثانية ونبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فإن قلت فرق بين هذا وبين
قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت
مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به
أوجب عدم حاله لا محالة لأن الحال حلية والحلية لا تقوم إلا بالمحلى وهذه البشارة التي هي بإسحق حين
لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة
للفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم
لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدرة وقت وجود
البشارة بإسحق لعدم إسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الإشكال أنه لا بد
من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود إسحق نبيا أي بأن يوجد مقدرة نبوته والعامل في
الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية و
ورودها على سبيل الثناء والتقريظ لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة إسحق
بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح إسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه بإسحق قالوا
ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا وباركنا
عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وباركنا عليه وعلى إسحق وقرئ وبركنا أي أفضنا
عليهم بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على
ابرهيم في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن

ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر
فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما
لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما
وجد من أصله وفرعه ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما
في الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين من الكرب
العظيم من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور وقال
من حق من أن تكون التورية عربية أن تشتق من ورى الزند وفوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو
الصراط المستقيم صراط أهل الإسلام وهو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين
الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين قرئ إلياس بكسر
الهمزة وإلياس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي وقرأ ابن مسعود وإن إدريس في موضع إلياس
وقرئ إدراس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى أتدعون بعلا أتعبدون بعلا وهو
علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا
به وعظموه حتى أخدموه أربع مائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل و
يتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام و
به سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أي من ربها والمعنى
أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم الأولين وقرئ بالرفع على الابتداء
وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وتركنا عليه في الآخرين
سلام على إلياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وإن لوطا لمن المرسلين إذ
نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل أفلا تعقلون وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان
من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم وقرئ على إلياسين وإدريسين وإدراسين وإدرسين على
أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على إلياسين بالوصل
على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فإن قلت فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع
وأخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالألف واللام وأما من قرأ آل ياسين فعلى أن ياسين اسم أبي إلياس أضيف

إليه إلا مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا فما فيكم
عقول تعتبرون بها وقرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا على طريقة المجاز
والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن
مقام الظفر والغلبة وروي أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم
البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق و
زج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو
أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي
بناء على دعي فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو
سقيم من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن
قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع
وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع
همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث
في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة
وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف
في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم
ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي أن الحوت
سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما
لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر
فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وأنبتنا
عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين واليقطين
كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن
بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها
واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من
لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله إليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة
ألف في يد الكافر فإن قلت ما معنى وأنبتنا عليه شجرة قلت أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على

الإنسان وأرسلناه إلى مائة ألف المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال
ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا
هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما فيهم وقال لهم إن الله باعث إليكم نبيا أو يزيدون في مرأى العين
أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة إلى حين إلى أجل مسمى وقرئ
ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا
وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات
على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في أول السورة وإن
تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا
بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن
ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني
تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن
مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا
بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء
للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الأنواع
كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السماوات والأرض
أنى يكون له ولد ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى البنات على البنين
أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أم خلقنا الملائكة
إناثا وهم شاهدون فإن قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو إلا استهزاء بهم
وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم و
ذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق
استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس
لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فإن قلت أصطفى البنات
بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات
قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة

وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك
قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ
تذكرون من ذكر **ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا**
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ام لكم سلطان مبين اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات
فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه
الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت
عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان
يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين
الجنة نسبا واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا
له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة **فان قلت** لم سمى الملائكة جنة **قلت** الجنس واحد ولكن من خبث من الجن
ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم
جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة
التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح
ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك
اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة
والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم
محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا
لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان
وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون
لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في
وجوب الطاعة لما عذبهم **سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون**
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه
ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يكون الاستثناء من
الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله عز وجل
ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم
لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم على الله **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم
واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو

في

في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل
رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان
معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها
ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من
هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال
الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام
التعريف **فان قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو **قلت** من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه
والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان يكون
اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان تحذف لام صال
تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من
عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين **وما منا الا**
له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من
الاولين لكنا عباد الله المخلصين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وقوله بكفي كان من ارمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء
الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين
للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل
الملل في صلواتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله
سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان
الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك
فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم
لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين
لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة
لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته
واجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى

عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه
عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا كتابا من
كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما
خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم
وآخرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا و
المراد الوعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما
قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل
فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
عليها وعبرة بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه
والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب
وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت
معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن
القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة وابصرهم وما يقضى عليهم من
الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون ما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في
العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة
وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون
للوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين و
تول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه
قومه بعض نصحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ
بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت
الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها و
يروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل

بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على حذف العذاب والمعنى فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو
نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين واما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية
على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة هي اطلاق الفعلين عن التقييد بالمفعول
وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب
الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب
صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها و
مالكها كقوله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله و
نسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها
بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما افاض
عليهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم
ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن
آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان
مؤمنا بالمرسلين والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا
ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

م م م
م

جعفر سلطان القرائی
تبریز ۱۳۶۵ ق

سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق ص على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالفتح
والكسر لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن بالنصب
بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها
بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صادٍ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة
وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة و
معناه عارض بعملك القرآن فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه فإن قلت قوله صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون
قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه
القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون
صاد خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم السورة كأنه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي أعجزت العرب
والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه
قال أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك
والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك
أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر
كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من
قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع
وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما
وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص كم أهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا
بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها
حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعاً وهذا
مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين
مناص منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنده أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص
ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين
حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم وقرئ حينِ مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد الطائي
طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء فإن قلت ما وجه الكسر في أوان قلت شبه بإذ في

قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح فإن قلت
فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم قلت نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة
قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافاً
إلى غير متمكن وقرئ ولاتِ بكسر التاء على البناء كجير فإن قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما
يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما
قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به
فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته
واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرساً غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل
وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب منذر منهم رسول من أنفسهم وقال
الكافرون ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون
المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً
أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذباً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك
وهو الباطل الذي لا وجه لصحته أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب روي أن إسلام عمر رضي الله
عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم
ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في
الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال عليه السلام
قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ
عجّاب بالتشديد كقوله مكراً كباراً وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرّام وقوله أجعل الآلهة إلهاً واحداً
مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى
والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحداً في قوله لأن ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ منهم أن امشوا و
اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد الملأ أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم
رسول الله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد عليه السلام إن
هذا الأمر لشيء يراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر
إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم

وتقلبوا عليه وان هي المفسرة لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان
انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع اي شرعوا في القول وامشوا
اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم وقيل امشوا واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها وامسكوا بها حتى لا تزالوا
عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من
ذكري بل لما يذوقوا عذاب في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم
مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على ان
يكون في الملة الآخرة حالا من هذا اي من هذه الكلمة ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع
من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق اي افتعال لكذب
انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما
اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم اما ولما وقولهم ان هذا الا
اختلاق كلام يخالف اعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فاذا ذاقوه
زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى
تصديقه **ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** بل عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي
خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها
عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب
بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا **ام لهم ملك**
السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ثم
رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص
بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة
وكانت عندهم الحكمة التي يميز بها بعض من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في الاسباب
فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا
الوحي الى من يختارون ويستصوبونه ثم خسأهم خسأة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من
الاحزاب يكونون عما قليل يهزمون فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة فيها معنى الاستعظام كما في
قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من

يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم

لا ينتدب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك **كذبت قبلهم قوم نوح**
وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ذو الاوتاد اصله
من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز
والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشج المعذب بين اربع سوار كل
طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين اربعة اوتاد في الارض
ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه اولئك الاحزاب قصد بهذه
الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب **ان كل الا**
كذب الرسل فحق عقاب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية
فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي
تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في
الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب
وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم **وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة**
ما لها من فواق هؤلاء قريش ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور
عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب
ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا
يستأخرون ساعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة
وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد **وقالوا ربنا**
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته
كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا
على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها **اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا**
داود ذا الايد انه اواب كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف
احدهما على صاحبه كأنه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر
قصة داود عليه السلام وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه ثم
زلت به قدمه زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه
فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا
يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقو

٢ اوله
والقد عتو نبها بانم عينه

من نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود عليه السلام و
كرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي ذا الأيد
ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر
يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شيء ما يتقوى به أواب
تواب رجاع إلى مرضاة الله **فإن قلت** ما دلك على أن الأيد القوة في الدين **قلت** قوله إنه أواب لأنه تعليل
للأيد **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب**
والإشراق ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما
شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى فقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي و
الإشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية وعنه
لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والإشراق وكان
لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في كتب الله
صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق
القوم إذا دخلوا في الشرق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق
ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال **فإن قلت** هل من فرق
بين يسبحن ومسبحات **قلت** نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح
من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى
إلى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن إلا أنه لما
لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا و
ذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز و
جل لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له أواب كل واحد من
الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح إما
لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب وهو
التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير
لله أي كل من داود عليه السلام والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه وآتيناه**

أشرق ثبير كيما نغير [illegible]

الحكمة

الحكمة وفصل الخطاب وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة
قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه
الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحي إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه
فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت
أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه الحكمة الزبور وعلم
الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول
كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه
من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب
وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو
قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك
مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل
كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق و
الباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي رضي
هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم
هو قوله أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق
إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا
إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر **وهل أتاك نبأ
الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على
بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب** كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا
أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا
أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا
فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام فقيل له إنك مع عظم
منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة
النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم
خطبها داود عليه السلام فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر
أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام فقال يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير

كله فاوحي اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه و
ذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف عليهما السلم فسال الابتلاء فاوحي اليه انك مبتلى في يوم كذا فاحترس
فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من
ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة
قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله
على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن
كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب
والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود عليه السلم على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من
اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان
يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر
لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته
عليه ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون
التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه
واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من ان
يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد
اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا
تاملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان
قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى
يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه
من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع
على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه
خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان
فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله هذان خصمان اختصموا

فان قلت

فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض
فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين فلا يمنع ذلك ان
يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبا الخصم وخصمان
قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا
يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقع الا في عهده لا في عهد داود عليه السلم ولا بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود عليه السلم لا يصح اتيانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك
نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذا الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب
تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا
علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم
عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان داود عليه السلم جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص
اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من
فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان
ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من
معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق
ومحضه اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة
لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها
شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب
مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة
وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه
تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على انه امر يستحي من كشفه فيكنى عنه كما
يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلم والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة
اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة

خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده ويدل عليه قوله وإن
كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة فإن قلت إنما يستقيم طريقة
التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير
أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له ورمية
عنيته عن شاة وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء يأباه إلا أن يضرب داود عليه السلام
الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فإن قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا
بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي
كما تقول في تصوير المسائل لزيد أربعون شاة ولعمرو أربعون فخلطاها وحال عليهما الحول كم
يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها فما
يلزمنا من الأربعين أربعة ولا ربعها فإن قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى قلت يقال امرأة أنثى
للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها
بالكسل والكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا تكاد تغرف قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى و
حسن مآب لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف
إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على
وجه السؤال والطلب فإن قلت كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت
ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها
منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود عليه السلام إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة
فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود عليه السلام فلم ير أحدا فعرف ما
وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها
فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن
مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كان
لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة
كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه فإن قلت فهذه الخلطة ما تقول فيهما قلت عليهما
شاة واحدة يجب على ذي النعجة إذا أخذ من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رض وعند أبي حنيفة رح

لا شيء عليه فإن قلت فماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في
إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع
التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح
الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف
الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها
فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم
استعير له ومعناه وعلم داود عليه السلام وأيقن أنما فتناه أي ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل
وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وأفتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت وفتناه وفتناه على أن الألف
ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في
سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أنه
ثم استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن
الركوع يجعل عبارة عن الصلاة وأناب ورجع إلى الله بالتوبة والتنصل وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما
وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه
ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن
الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل فلما
غفر له حاربه فهزمه وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت
الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير
والسراري والثاني معسرا ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة
أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود عليه السلام إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته يا داود
إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب خليفة في الأرض أي استخلفناك على الملك
في الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك
خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم
تتغير فاحكم بين الناس بالحق أي بحكم الله إذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه
من أسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول
أو عن شرائعه التي شرعها وأوحى بها ويوم الحساب متعلق بنسوا أي بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم
عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن

عبد العزيز او الزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه
معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح
وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضع هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقنا هما
وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين
وازحنا عللها ثم عرضناها للنفع العظيم بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك
اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت
اذا كانوا معترفين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات و
الارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب
والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو
الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في
خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا
كلا اقرار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال
من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات
التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان
من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها
وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى
ان احدهم ليقول والله لقد قرات القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن
عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه
اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والصافن الذي في
قوله الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو

واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ
مقعده من النار اي واقفين كما يخدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد
يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين
واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها
وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من
العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته
فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله
خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل
يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر
ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك
والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها
نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة
وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه
زيد الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك
او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر
وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون
قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فطفق مسحا
فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح
المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع
ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا
لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر
ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال
نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر و
نظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرا بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو
للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس

ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة
وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من
السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه
ميتا فتنبه على خطائه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل
إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يروى من حديث
الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكي أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي
مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى
أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها
لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل
كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان عليه السلام
بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا إلى الله متضرعا
وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان
ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان عليه السلام
على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان عليه السلام فقال يا أمينة خاتمي
فتختم به وجلس على كرسي سليمان عليه السلام وعكفت عليه الطير والإنس والجن وغير سليمان عليه السلام
عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت
يتكفف فإذا قال أنا سليمان عليه السلام حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه
كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل
حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل عن جنابة وقيل بل نفذ
حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد
سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها
وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده
لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب إلى الله ولقد أبى العلماء المتقنون
قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على
عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز

ان

أن يختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن
يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله وألقينا على كرسيه جسدا ناب عن إفادة معنى إنابة
الشيطان منابه نبوا ظاهرا **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**
قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم لا
ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني **فإن قلت** أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن
يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد
أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز
ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا
ينبغي لأحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت
الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه
مقامي كما سلبته مرة وأقيم مقامي غيري ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم
مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه
فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده
أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لأحد من بعدي ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته كما تقول
لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن
الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وهذا من جراءته على
الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم
وأطلق طاعتنا فقال وأولي الأمر منكم **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب** قرئ الريح والرياح
رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له حيث أصاب حيث قصد وأراد وحكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب
فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان
فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيرا **والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في
الأصفاد** والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل
هو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج
الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد
وعن السدي كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم
عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها
وأرق رقبة معتقها وقال حبيب إن العطاء إسار وتبعه من قال ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا وفرقوا

من الفعلين فقال لو اصفده قيده ۝ واصفده اعطاه كرمك وان عزم هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير
حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي هذا الذي اعطيناك من الملك والتسلط على ما لم نسلط عليه غيرك عطاؤنا
بغير حساب يعني بما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او
امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا
فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك
واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ايوب عطف بيان لعبدنا واذ بدل اشتمال منه
اني مسني اي بانى مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون
وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب
بتثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم ويريد به مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع
الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان
يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه و
اهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته
له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه
الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم
ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في
دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى
اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم
فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب اركض برجلك حكاية لما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة
هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ
باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب
الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت
باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب رحمة منا
وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت لرحمتنا عليه ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا عليه
لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش
وريحان او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ

فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة واما باعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في
يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل
قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فاردد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك
له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان عناقا
وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكى اليه ما به واسترحم قلت الشكوى الى الله
عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك
ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء
فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء وعلى ان ايوب عليه السلام كان يطلب
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل
ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في
مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي
يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف
بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما واله ابيك ابراهيم واسمعيل و
اسحق عليهم السلام لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا
يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله تعالى اولي الايدي والابصار
يريد اولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون فكر
ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول
الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء و
الاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار اخلصناهم جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها
بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما
خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار
ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا

كانوا من الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم
فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم
بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم المصطفين المختارين من بين ابناء
جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع وذا
الكفل وكل من الاخيار واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل
على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن مآب هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من
ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال
وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه و
اراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر
اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة
وشراب جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب
ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره
مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع
على ان جنات عدن مبتدا ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدا محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم وعندهم
قاصرات الطرف اتراب كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة
لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم هذا ما توعدون ليوم الحساب
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وقرئ يوعدون بالياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول
هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا وان للطاغين لشر مآب هذا اي الامر هذا او
هذا كما ذكر جهنم يصلونها فبئس المهاد فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم
من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم وغساق اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا
فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه وقرئ
والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق
بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت
اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم

انهم صالوا النار وآخر اي وعذاب آخر او مذوق آخر من شكله من مثل هذا المذوق في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ
واخرى اي ومذوقات اخر من هذا الشكل وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم
وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا
جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها و
القحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين
اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت
رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا
النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم
كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام
الخزنة قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون
الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم فان
قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت
ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل
الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم
والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا
بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم
يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي
فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا
فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار قالوا اي الاتباع ايضا
فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا
ضعفا حيات وافاعي وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا
ام زاغت عنهم الابصار وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار
من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ
بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب
لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا
اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا

من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا
اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا
كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا
وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك
انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير همزة لان ام
تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في ما لنا لصناديد قريش كابي جهل
والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر **ان ذلك**
لحق تخاصم اهل النار ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار
وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس **فان قلت** لم سمي ذلك تخاصما
قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤسا
لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك
قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز
الغفار قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد
الله وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله
وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم ما انا الا منذر
لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه
قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا
انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين قل هو نبا عظيم اي هذا الذي انباتكم
به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج
لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي
يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء
الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر
الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما
انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة **فان قلت** بم يتعلق اذ يختصمون **قلت** بمحذوف لان المعنى ما كان لي من
علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون **فان قلت** ما المراد بالملا الاعلى **قلت**

اصحاب

اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم **فان قلت** ما كان التقاول بينهم انما
كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملا الاعلى هؤلاء
وكان التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى **قلت** كانت مقاولة
الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة
وآدم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق **فان قلت** كيف صح ان يقول لهم اني خالق
بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل **قلت** وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم **فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة**
كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من
روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا وكل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا
عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات **فان قلت** كيف ساغ
السجود لغير الله **قلت** الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا ياباه
العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه **فان قلت** كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن **قلت** قد امر
بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من
الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو
صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله **قال يا ابليس ما منعك**
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي **قلت** قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه
فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا
يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملت يداك ومنه قوله تعالى
مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي **فان قلت** فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي **قلت** الوجه الذي
استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق
وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار وراى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد
لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم
الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم
يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم
واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن
هو دونهم بامر الله اوغل في عبادتهم منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك

أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقاً امتثالاً
لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل
لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر
الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه
يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته بيدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت
الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى
يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ
بيدي كما قرئ بمصرخي وقرئ بيدي على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث قال
أنا خير منه وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف
حرف الاستفهام لأن أم يدل عليه أو بمعنى الإخبار هذا على سبيل الأولى أي لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت
له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية
من الأولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح قال
فاخرج منها فإنك رجيم منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته
فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً والرجيم
المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لأن من طرد رمي بالحجارة على أثره والرجم الرمي
بالحجارة أو لأن الشياطين يرجمون بالشهب وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم
يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم فإن قلت قوله لعنتي إلى يوم الدين كأن لعنة
إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها
انقطعت فإن قلت ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم قلت الوقت الذي يقع فيه النفخة الأولى
ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا
يستأخر قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالمعنى بعزتك أقسم بعزة الله وهي
سلطانه وقهره قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرئ فالحق والحق
منصوبين على أن الأول مقسم به كالله في إن عليك الله أن تبايعا وجوابه لأملأن والحق أقول اعتراض بين المقسم به
والمقسم عليه ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وعلا الذي في قوله أن الله هو الحق المبين أو
الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقوله
لعمرك أي فالحق قسمي لأملأن والحق أقول أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر

حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد
والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضاً وهو وجه حسن دقيق وقرئ برفع الأول وجره
مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فإن قلت
أجمعين تأكيد لماذا قلت لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن
جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس
لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم قل ما أسألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين عليه الضمير للقرآن أو للوحي وما أنا من المتكلفين
من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى أنتحل
النبوة وأتقول القرآن إن هو إلا ذكر من الله للعالمين للثقلين أوحي إلي فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه بعد
حين ولتعلمن نبأه أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره
أنه الحق والصدق وفيه تهديد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل
سخره الله لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغيراً أو كبيراً سورة الزمر مكية إلا قوله
قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل اثنتان وسبعون
بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه
مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك
هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب
هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم فإن قلت
ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون مخلصاً له الدين ممحضاً له الدين من الشرك
والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى
وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه
على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصاً حالاً من العابد وله الدين مبتدأ وخبراً فقد
جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له
الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار
المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام والذين اتخذوا يحتمل

المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فإن قلت فالخبر ما هو قلت هو على الأول إما أن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني أن الله يحكم بينهم فإن قلت فإذا كان أن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون إتباعا للعين كما يتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم واختلافهم أن الذين يعبدونهم موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين **إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون** المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد الله اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متمادين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء ودل على ذلك بما بناه عليه من أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة

لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب **شعر**

تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه * لي الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض ألا هو العزيز الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فإن قلت** ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي **قلت** هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وأنزل لكم وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه أفعاله هو الله ربكم فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور** فإن الله غني عنكم أي عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة وإن تشكروا

يرضه لكم اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم
لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن
ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في
قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون
وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها **وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا**
خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ
قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي
حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به
ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال
يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي
كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر
والانثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله
النتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل
له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة
في خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره
في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ**
يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ
قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ
خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله
وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل امن هو كافر
او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله
عليه السلام افضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما
ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب
الاخرة واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم
بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين
هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون
والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل

يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر بالادغام
قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا
يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه
الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد
علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية **فان قلت** اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى
تعلقه بحسنة ولا يصح ان تقع صفة لها لتقدمه **قلت** هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها
فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة
حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان
ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في
مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد
المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض الجنة
والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في
طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل
للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب
الله الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل الصلاة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ**
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك
لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين
فمن اخلص كان سابقا **فان قلت** كيف عطف امرت على امرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك
ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء
وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع
ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع
عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين
وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم في زماني
ومن قومي لانه اول من خالف دين ابائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الا
سلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا

ولا يكون مستحق صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين
دلالة على السبب بالمسبب **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين
من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا
أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه **قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا**
ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو
الخسران المبين فإن قلت ما معنى التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد
مخلصا له ديني **قلت** ليس بتكرير لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص
والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود
على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في
الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه
هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار
فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل
خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون
لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف
الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين **لهم**
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ومن تحتهم
أطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي **والذين**
اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب الطاغوت فعلوت من الطغيان
كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا
وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة
الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا
الجمع وقرئ الطواغيت أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله
تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم
الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى

نورهم

بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر
موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم
أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل
تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكن في مذهبك
كما قال القائل **شعر** ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله
وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس
مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف
على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره أولئك **أفمن حق عليه كلمة العذاب**
أفأنت تنقذ من في النار أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة
الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت
مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار
والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن يكون
الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه
لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاده
رسول الله وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى
هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر على ذلك أنت أن تنقذ
الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه **لكن**
الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله
الميعاد غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض **فإن قلت** ما معنى قوله مبنية **قلت** معناه والله أعلم
أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها تجري من تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل
من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم **ألم تر أن الله**
أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب أنزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في
الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض
عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد مختلفا ألوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض

اولى
[illegible]

وغير ذلك وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن
يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع
حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما
مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين أفمن عرف الله أنه من أهل
اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب و
نور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر فقال إذا
دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من أجل ذكره أي
إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقرئ
عن ذكر الله فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من
أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه
من العيمة إذا أرواه من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش الله نزل أحسن
الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث
ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لإسناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه
وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث وكتابا بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه و
متشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق
والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في
الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة
والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد و
يجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله ثم ارجع البصر كرتين بمعنى
كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت إنما صح ذلك لأن
الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور
وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب

انقباضه
[illegible]

إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار و
ثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا
شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ و
النصيحة فما لم يكرر عليها عودا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد
إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء
ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف ووقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز
أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات
وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم
وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فإن قلت ما وجه تعديته بإلى قلت ضمن
معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فإن قلت
لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة
رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها
أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل
تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى الله
يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين
ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي
أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب
أولياءه ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله و
من لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط أفمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى
بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في
نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي
بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار
إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في
أبي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من

حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ
فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله **ولقد**
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون
قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي
عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف **فإن قلت** فهلا قيل مستقيما أو غير معوج **قلت** فيه فائدتان إحداهما
نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل
المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد **شعر** وقد أتاك يقين غير ذي عوج * من الإله وقول غير مكذوب
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع
كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير
في أمره قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي
آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي
هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن
يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا
ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع
وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل
للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست
أحواله وتشاخست أسنانه سالما لرجل خالصا له مكي وبصري سلما الباقون بفتح الفاء والعين وكسرها مع سكون العين
وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة ونصب رجلا
على الابتداء أي وهناك رجلا سالما لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد
يغفلان عن ذلك وهل يستويان مثلا هل يستويان صفة وانتصب على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما
وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم
قوة وجمعهم ويجوز أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان
فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب
أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره
إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله

عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى
إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت
فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول
حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء
فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون
فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول
الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادة أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام
الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج
وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى
أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت
بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحد
ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف
قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا
هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا
ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير
للذين يكون بينهم الخصومة **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى**
للكافرين كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق
بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية
أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين إشارة إليهم **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم**
المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز
أن يريد الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين
صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي
صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه
لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز أن يصدق

إلا الصادق فيصدقك لكونك صادقا بالمعجزة ويعرفني بوعيدي وويلهم ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم
أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فإن قلت ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى
التفضيل فيهما قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى
ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط
منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله
الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسوأ الذي عملوا جمع سوء
أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله
فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي
فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك
أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها
ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد
إليها فهشم أنفها فقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده يعني أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في
مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت
أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد
والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي
عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفى
لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم
أجرهم بالذين من دونه أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم
من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق
السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقرئ كاشفات
ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم
قلت لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول
لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو
برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات
رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه
يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله

فإن قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت أنثهن وكن
إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم
الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة
لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث التي هي
هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم على مكانتكم على حالكم التي أنتم عليها
وجهتكم من القدرة التي لكم فيها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان
وهما للمكان فإن قلت حق الكلام فإني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد
والإيذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله
ألا ترى إلى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم إذا
أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من
أعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة العذاب أي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب
النار وقرئ مكاناتكم إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما
يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل للناس لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار
الطاعة على المعصية ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة
فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فإن التكليف مبني على الاختيار دون الإجبار الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل
مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون الأنفس الجمل كما هي وتوفيها إماتتها وهي أن تسلب ما هي به حية
حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها
يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى
وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك فيمسك الأنفس التي قضى عليها
الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى النائمة إلى أجل مسمى إلى وقت ضربه لموتها وقيل
يتوفى الأنفس يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت
في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس
والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض
روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالأنفس وما عنوا

شمس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة فهي التي تموت وهي التي تنام
ان في ذلك لان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم
يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا من دون الله شفعاء
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله
من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله
قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون الشفيع مرتضى وان
يكون المشفوع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا اولو كانوا معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم قل لله الشفاعة
جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة
جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون
قلت بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك
اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم
يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر
استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له
نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز
اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز
ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا
المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات و
الارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون بعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك
تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم
وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن
يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم
يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من
سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم
من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا
هي سيئات وعن سفيان الثوري رحمه الله انه قرأها فقال ويل لاهل الريا وجزع محمد بن المنكدر عند موته ويل لاهل الرياء
فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات
ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات
كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب
التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط
جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة
ولكن اكثرهم لا يعلمون التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني
اني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال
قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا
من النعمة وقسما منها ويحتمل ان تكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته
على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء و
امتحان لك أتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان
الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو
فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة
بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم
يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر
بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد
لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني و
بين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين
ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها
الا علماء النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة
قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن
ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول

زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجا
اليه فتجي بالفا مجيئك بها ثمة كان الكافر حين التجا الى الله التجا المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه
مجراه في جعله سببا في الالتجا فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار و
التعجب من فعله قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الضمير في قالها راجع الى قوله
انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم
هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون
في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه
فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم
يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون من هؤلاء من مشركي
قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط
لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم اسرفوا
على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر
الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له
فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهما يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله
لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا
يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد
الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله
فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا
نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في
وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم واسلموا له
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة
على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه و
اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون يفجاكم ولم تعلموا

بغتكم وانتم لا تشعرون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن
الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ان تقول كراهة
ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس
اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى شعر ورب بقيع لو هتفت بجوه
اتاني كريم ينفض الراس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت و
رب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين
العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب
ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري شعر اما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته
فيه الا ترى الى قوله شعر ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس
لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا
من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى
في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه
قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر
والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت
مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها
ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في
بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في
الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان
واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد
الهداية بالالجا او بالالطاف او بالوحي فالالجا خارج عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما
الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي
عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤسا والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله
بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله واثرت الكفر على
الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له
وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية اخرى قلت لانه لا يخلو اما ان تقدم على احدى القرائن

في ذكره

الثلث فيفرق بينهن وإما أن يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن
وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني
الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو حكاية أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم الجواب من بينها عما
اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لأن لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين كذبوا
على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق
خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة
ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء ووجوههم مسودة
جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب وينجي الله الذين
اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل
قرئ ينجي وينجي بمفازاتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب
منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب
منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل
الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ
بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة فإن قلت لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين قلت أما على التفسير
الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال له مقاليد السماوات والأرض
والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون له مقاليد السماوات والأرض أي هو مالك أمرها
وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم
فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد
والكلمة أصلها فارسية فإن قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال
المهمل من كونه مهملا فإن قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم
والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين
فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السماوات والأرض فالله خالقه و
فاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السماوات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد

قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول
والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله
وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أفغير الله منصوب
بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن
بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والأصل تأمرونني
أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ألا تراك تقول أفغير الله تأمرونني
أن أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب وقرئ
تأمرونني على الأصل وتأمروني على إدغام النون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن
الله أو الشرك فإن قلت الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد قلت معناه أوحي إليك لئن أشركت
على التوحيد ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا
حلة أي كل واحد منا فإن قلت ما الفرق بين اللامين قلت الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام
الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط فإن قلت كيف صح هذا الكلام مع
علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها
لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء
ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه فإن قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين
قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين
خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى
إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد وكن من الشاكرين بل الله فاعبد رد
لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف
الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم
وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم
القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه
الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ
بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال والأرض
جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه

تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة
مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبرئيل صلوات الله عليه جاء الى رسول الله فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك
السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق
قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا
اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على
القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا
لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان
ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر
الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون
الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره
لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة
الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة
والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض
الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم
فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر
الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر
الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية
بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي
ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة
من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات
جرعته تريد انهما لا يفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر
لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب
قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا
التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله اثقل

من الرمل ومن تقيم الكهوف تأويل الجهلة واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واجتلابه للاستهزاء
من الفاسقين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على
الحال سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قلت
اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما
النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا
يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم
بما يفعلون قد استعار الله عز وعلا النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى
واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات
وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث
ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها
وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق
الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون
للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت
على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا
والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم و
عليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا
قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء و
القراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا
ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم
الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى
مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في
صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا
جاءوها جاءوها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما
ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا
جاءوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل
النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل
والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة و
الرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي
وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين و
مثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف
بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا
الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين
الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر
العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا
ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في
انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد
منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا
يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا
يكون على سنن واحد ولكن يتفاضل مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان
قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم
بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا
وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر
سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد
قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن الحنفية رضي الله عنه وهي
خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه
المصير قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار
اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة
اعجمي نحو قابيل وهابيل والتوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال
لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات
تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان
لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال
فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش
واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج
بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه
النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على
مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل
ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو
وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام
كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز
ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال فان قلت ما بال
الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل
توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول
وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب
فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده

بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا
اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان
عليه ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاخذتهم فكيف كان عقاب سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها
والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ
بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا
وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله قلت من حيث
انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا
ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة
وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك
وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر
لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه
وقوى ذلك الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل
امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه ومن الا
يقاع به واصابته بما ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه
فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقابي فانكم تمرون على ديارهم وترون اثر
ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انهم اصحاب النار
في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب
بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك حقت كلمته
اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات

يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي عليه السلام لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله
من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق راسه من سبع سماوات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان
الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل
خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل
حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام
قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا
الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين فان قلت
ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم
مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من
كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة
اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما
وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان
من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع في طريق النظر والاستدلال لا غير وانه
لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به و
يستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على
ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الا
جناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع
الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله
تعالى ويستغفرون لمن في الارض ربنا اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع
المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة و
العلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند
الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته
رحمة وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا
وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل
الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك

لا تشاء شيئا الا ما هو مقتضى الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف
المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما الفائدة
في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة
وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح
فهو صليح وذريتهم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم
انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله
يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر
اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا
انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين
وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة
الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن
ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة
وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر
الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته
ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله
منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات وهو خلاف
ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديهما غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة
فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا لقوله
فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة
تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته
على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى
نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام

من غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون ذلك تحيرا وتعللا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله
ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به
فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب
مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم
الا لله من هذا هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق
والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب
من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين
له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على
من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره ثلثة
اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع
الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش
وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة
شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة
يلقي الروح الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح
كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح
لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيامة لان
الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء
بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز
والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم
وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك
اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل

يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضا كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم
به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي
هو المجيب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده
في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد
وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم
الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما
تخفي الصدور الآزفة القيمة سميت لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة
وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا
ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها
الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي
ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله
وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع
مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله
ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة
كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا
وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى
اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم
يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون
الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن
والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة
ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء
الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا
عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد

لدى م

السلاح

السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا
سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والا
ستشهاد على عدمه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي
ان يتوهم خلافه الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور
لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم
مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله
ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله
هو السميع البصير والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه
عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي
ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون
بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم
قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت
تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب هم في كانوا هم اشد منهم فصل
فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت
قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا
يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او ارادوا اكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا
ورمحا ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب
وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين
الا في ضلال فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود
الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول
في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله
باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى و
احس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيد

ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو
أن يظهر في الأرض الفساد ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو
أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت
الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد
استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا
للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم
بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله
ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول
الفزع أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذرك
وآلهتك والفساد في الأرض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب
والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد
عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد
دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء
والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن ب
يوم الحساب لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي هو ربي
وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه
وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد
بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه
وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة
فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان
وقرئ عت بالإدغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان
قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل أو صلة ليكتم أي يكتم
إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين
من بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا
من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه أن يقول لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت

شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق
التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب
إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من
سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير
روية ولا فكر في أمره وقوله بالبينات يريد البينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم أخذهم بالا
حتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه ولا يتخطاه
ضرره وإن يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له فإن قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق
لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه قلت لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم
ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم
لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف
في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق
في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس كلام
من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا
من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فإن قلت عن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل
وأنشد بيت لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها قلت إن صحت الرواية عنه
فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فتتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما
هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان أشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذي تنهانا عما
كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه أن مؤمن آل فرعون قاله سرا وأبو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في
الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
الرشاد ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس
وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه
أحد وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما أريكم إلا ما
أرى أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب

واهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا
ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد
كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف
الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من
ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار
وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل
وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود و
الذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب و
فسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف
اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم
في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته
الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم
الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان
عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم
لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده
ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا
ظالمين ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل
الله فما له من هاد التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار و
نادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار
الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين
عن قتادة فارين عن النار غير معجزين ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب هو يوسف بن
يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان
فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم
فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان

وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه
وليس قولكم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شككتم فيها وكفرتم بها و
انما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام
على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله
كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله و
عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو مسرف فان قلت
كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه قال كل مسرف فان قلت فما
فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع
في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة
وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف
يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ و
بغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن
قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب و
الاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب
بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه
قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي كل ذي قلب متكبر
تجعل الصفة لصاحب القلب وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون الا في تباب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر
واسباب السماوات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السماوات قلت اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشأنه فلما اراد
تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السماوات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده
على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ
فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء
عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل او الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ
وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها

وكبرها على نقل حركة العين الى الفاء كما يقال في البيت المعمول له والهاء وكذا يحصل ... بحيث ... على
صدقا هو وقومه **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا**
متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل
لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي
الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع الى حقيقتها وانها هي الوطن و
المستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين
دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في
ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله
سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد
نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها دليل ان الزيادة
على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل وكرم
يرزقون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا
يزيد على الاستحقاق واما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة
والسعة **ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك**
به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث
دون الثاني **قلت** انما كرر النداء فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه و فان قلت م
عشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي
بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم صلى الله عليه وسلم
في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي
الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى
كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له بعلم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه
قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها **لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة**
في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار لا جرم سياقه على
مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب
بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال

ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل
كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار
لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا
ولا قطع لبطلانه حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان
كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق
المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى
عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا
ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا
تبرا من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة
مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي
الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من
دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها و
قيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون **فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله**
بصير بالعباد وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه **فوقاه**
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا و
يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما
هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون سوء العذاب ما هموا به من
تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء
العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم
عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه
الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين
الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم
ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا
يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم **فان قلت** قوله
وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لم يعذبوا بجهنم **قلت**
يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حاقا لانه لم ينج فاصابه ما يقع عليه اسم الشر

ولا يشترط في الحيوان كون الحياة في ذلك الشيء بعينه ويجوز ان يتم مع عرضهم على النار لذة للمسلمين المتقدمين
المؤمنين المرتين ثم اصحاب النار ثم يفعل بهم ما يفعل بهم من تعذيبهم بالنار فيجاري بهم بسلسلة الجزء ثم يوصله
وقد يستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار واذكر وقت يتحاجون تبعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد
وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت
هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما
تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا
ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم
انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم
من العيالم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة
قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم
اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك
ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل
بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه
كيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي
في الدنيا والآخرة جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة
لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة
والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلعم ليكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون
بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم
اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء
ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب يريد
بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب

اي التورية

اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولو الالباب المؤمنون
به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من
اسباب الهدى والنصر على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك
على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك
وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم
على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر ان الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير
ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك
عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك و
رياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او
ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة
او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لن يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون
الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم
ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما
تقولون وتقول البصير بما تعملون وتعمل فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس بما قبله قلت
ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض
لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن
قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ
يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم
ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ادعوني اعبدوني والعبادة
الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي
تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا

فان قلت م

ويعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي
الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن النبي
صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد بالدعاء والاستجابة على ظاهرهما
ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما
افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل
نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ولكن فيه ما عرفت الله الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار
بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما
يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل
يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من
المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك
انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود
ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق
كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء و
انشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته
الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة
أفك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تفرده بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء
بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وحسن
صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من صورة الانسان وقيل لم يخلقهم
منكوسين كالبهائم كقوله في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين

فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية
لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك
من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين
جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها
كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا
شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل
محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا
مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى
كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج
سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر
ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان
اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار
يسجرون بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فان قلت وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم
الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة
مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنهما والسلاسل يسحبون
بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو
قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين
حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها كانه قيل بمصلحين وقرئ
وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه
معناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من ذلك يا خير مجير ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله
قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم

ولا ينتفع بهم فإن قلت أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون
بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذ وبخوا وقيل لهم أين ما كنتم تشركون من
دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم
لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم
شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل
ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ذلكم الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو
الشرك وعبادة الأوثان ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ادخلوا أبواب جهنم السبعة
المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم فإن قلت أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله
فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر إن وعد الله حق
فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون فإما نرينك أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد
معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك فإن
قلت لا يخلو إما أن تعطف أو نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فإلينا يرجعون فقولك
فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو
نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره
فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك وإن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون
يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي
وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
منهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس
وعن علي رضي الله عنه إن الله بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله
عنادا يعني إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لرسول لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله فمن لي بأن
آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها فإذا جاء أمر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات
وأمر الله القيامة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا
الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون الأنعام الإبل خاصة فإن قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها

ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا إلى منافع أو هلا قال لتركبوها ومنها تأكلون ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو
طلب علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة
المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الأنعام وحدها
لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فإن قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين قلت معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة لمن يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم آياته فأي آيات الله
تنكرون فأي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر
والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لإبهامه أفلم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما نافية أو مضمنة معنى
الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا قالوا
آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت
في عباده وخسر هنالك الكافرون فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق
التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة
قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن
خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال تعالى كل حزب بما لديهم
فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم
الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا
إلى من يهدينا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما
جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم
ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا
به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل الفرح للرسل
ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على
جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم و
يجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا

وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم
على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه
لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت
اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان
لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت
قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان و
التفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا
تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما راوا باسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا
باس الله سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا
وقت رؤية الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا
وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي
ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية
وقيل ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وان
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ
فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد
وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك
فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت
وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما
نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم يتعلق قوله
لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود
ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات
بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف
فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم
يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه

واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون والاكنة جمع كنان و
هو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في
غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين
والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل
او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال
امرك وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل و
بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا و
ابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة
كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا
في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم
يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني فان قلت من اين كان قوله انما
انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم
وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي
ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا
ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك
واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت
لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته
ونصوع طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت
عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت
لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف
المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمونه من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الممنون المقطوع وقيل
لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق
الارض في مدة يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام

قوله كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون اي كاجر اصح اوقات عملهم واضافة اصح الى الوقت من الملابسة كقولهم اخطب ما يكون الامير ... كشف

سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ رواسي جبالا ثوابت فإن قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي
كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالا
ساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار اثباتها فوق الارض
لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال
كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر
فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة
ايام سواء فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا
زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء
وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلث الجر
على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف
كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين
لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فإن قلت هلا قيل
في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين
علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول في يومين وان تقول في اربعة ايام سواء وكانت في
اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان
ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ استوى
الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد
الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة
الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض
على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه
ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى
التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا طوعا
شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير
من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من
يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فإن قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض

مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال
والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة
قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا
وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة
والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة
وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي
ولا تمتنعا فإن قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما عن تأثير
قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على
الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات و
ارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات
نحو قوله ساجدين فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين
ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال
والثاني على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة في يوم الجمعة وخلق
فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت انه لو قال في يومين في موضع
اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان فإن قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين
وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه
اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص
والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات
وغير ذلك او شأنها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له
على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ
وَثَمُودَ إِذْ جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فإن اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان
تصيبهم صاعقة اي عذابا شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة
من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم
ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله
عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت

يتلاقون من كل جانب ولم يكن لهم فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة
لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
وما يجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم
كيف يوصفون بانهم جاءوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود و
صالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم
فكان الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء
الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان
والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا
بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس
باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وروي
ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه
ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى
علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا
فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات
قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى
اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما
حبسك عنا الا انك قد صبوت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو
بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان
محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فاستكبروا
في الارض اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض
واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم
ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف
واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تقدير بنية او صحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا
يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين
شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية

وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اشد منهم قوة على معنى انه يقدر لذاته على
ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا باياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد
المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام
نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون الصرصر العاصفة
التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي
يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما
مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات و
اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل
السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب
بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم
فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول
في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته
فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة
قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها
ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة
او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم
وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون وقرئ يحشر على البناء للمفعول
ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين
والآخرين يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة
اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاءوها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان
وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم
اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها
من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق
فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا

أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان
كما أراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي
قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم
لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم **وما كنتم تستترون أن
يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون**
المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم
جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم
أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من أعمالكم **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من
الخاسرين** وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه
أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر
تحفظا وتصوّنا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبيه بهؤلاء الظانين وذلكم
رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر **فإن يصبروا فالنار
مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين** فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار
وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا
إليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا
أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما
خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** وقيضنا
لهم وقدرنا لهم يعني المشركين يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخدانا
من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **فإن قلت** كيف جاز أن يقيض
لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم **قلت** معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على
الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من
أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا
بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله إن تك عن أحسن
الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا يريد فأنت في جملة آخرين أو فأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد
فإن قلت في أمم ما محله **قلت** محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم
إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون** وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام

الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات
بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت
قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون**
فلنذيقن الذين كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين
كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم
بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة **ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا
بآياتنا يجحدون** ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه
الإشارة والنار عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف **فإن قلت** ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد **قلت**
معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله
أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون
أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو **وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين
أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين
أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل
لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه
أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل إنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو
استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار **إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**
ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على
أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم
يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان
بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف
علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى
وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من
الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا

والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوع مكروه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب
لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن أولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم
كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون
والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال
إنني من المسلمين ممن دعا إلى الله عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلث أن
يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل
العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن
جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا
السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يعني أن الحسنة والسيئة
متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة
التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن
تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا
فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها
إلا ذو حظ عظيم ثم قال وما يلقى هذه الخليقة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا
رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فإن قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف
أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس
على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون
أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما التي هي أحسن
الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون
الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس و
الشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن
فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا

للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لأن
حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات
فقيل خلقهن فإن قلت أين موضع السجدة قلت عند الشافعي رحمه الله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر
لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وسعيد
بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود
لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون
وكانوا موحدين غير مشركين فإن استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله
سبحانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد
وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير
الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض
هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال
في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر
ارتفعت له الأرض إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا
يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق
فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على
اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز فإن قلت
بم اتصل قوله إن الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم
به طعنوا فيه وحرفوا تأويله وإنه لكتاب عزيز أي منيع محمي بحماية الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من
جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله
قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلوا
طعن طاعن إلا ممحوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحوه قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ما يقال لك
إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك
إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة
لأنبيائه وذو عقاب لأعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله

ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل الطاعة ويخافه اهل المعصية وهذا تفسير ما يقال لك العصاة ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آياته على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد فان قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ويكنى عن هذا الاجل مسمى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد فلنفسه نفعه فنفع عملها نفسه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص اليه يرد علم الساعة

اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيئوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان

الضرة الفقر اقبل على دوام الدعاء اخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العريض لكثرة الدعاء ودوامه وهو
من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف
وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فان قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت
فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته
ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف
مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته
فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء
وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل أرأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد أرأيتم أخبروني ان كان القرآن من عند الله
يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصل لكم بها اليقين
وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده
وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وانتم ابعدتم الشوط
في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم
بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة
العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة
والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من
المعهود وخارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء
يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم
الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو
دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق و
الصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والتذبذب وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة
تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم
ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه و
يشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي
عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة وما

نصر حاملوه هذه النصرة ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهي
الشك محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم
ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وتسمى سورة شورى وهي ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض و
هو العلي العظيم وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب
يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور
واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها
من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحي اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل
على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت
ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي
بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر تكاد
السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ألا ان الله هو
الغفور الرحيم قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن
بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو
شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن
منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي
العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من
آثار الملكوت العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان
كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة
ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة
التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار
اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت
قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا
وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لأولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى

الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا محكيا عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف
وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف
للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا
يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق
ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه
والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته
على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه
قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز
عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها
يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها
او يطلبون من ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح
وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم بوكيل والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض
اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام
القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ومثل ذلك اوحينا اليك
وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى
كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك
وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى
مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا
وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني
ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم
الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد
وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له وقرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق
ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون

في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين فان اريد بالجمع
جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من
يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه
كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو
الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت بادخال همزة الانكار على
المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة
لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته
وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه
ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير معنى الهمزة في ام
الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي
جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه
ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق ان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم
فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور
الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم
من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في
بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر
ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول
فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر
على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم
من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها
ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات فيه في هذا التدبير
وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع

إلى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبين العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من احكام ذات العلتين
فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن
للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل
فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه
عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ
من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت
صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية
لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان
متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو
جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها
فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف مأكول له مقاليد السموات والارض يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم يقتّر ويقدّر لانه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه
والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيب شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله
فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب
احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من
مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه
قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله و
التوحيد يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم
لطفه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب وما تفرق اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا
ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير الى
يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة

بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم
النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم البينة بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل
وقرئ ورّثوا ووُرّثوا فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه
المصير فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية
القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي
كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا
وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين
يوردون هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة
بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت
وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله من بعد ما
استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد يخاصمون في الله يخاصمون في دينه
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم
واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة الله الذي
انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية
ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض
الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء
الساعة قريب فان قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب
ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه
ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها
ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد المماراة الملاجة لان كل واحد منهما
يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز
على انها آتية لا ريب فيها وللشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء

القوي العزيز لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه
وهم احد من كلياته وجزئياته **فان قلت** فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم **قلت** كلهم
مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت
قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك
الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراده بقوله يرزق من يشاء كما يرزق
احد الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب
على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق
بين عملي العاملين بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما
يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة
وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء
عمله وفوزه في المآب **ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم** معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن
فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم وتارة الى
الله ولما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه
انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون
يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين
بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا
**ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير** ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا
ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا
كأن روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن **ذلك الذي يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة
نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور** قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشّره والاصل ذلك الثواب
الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله
رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون

محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم
اجرا الا هذا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا
قط ولكني اسألكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم **فان قلت** هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى
وما معنى قوله الا المودة في القربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى
وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام في اذا قلت الا المودة للقربى انما
هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها
والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي كرم الله وجهه
شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل
الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي عليه السلام
حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا
فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال
يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا
بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم
يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في
ايدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا
الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة
ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب
آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات
على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه
آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل
لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني
في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي و
احق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار
رسول الله بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة
فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم

أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا

قوله آيس من رحمة الله مبتدأ خبره مكتوب ومكتوب خبر مقدم والجملة حال بدون واو أو خبر جاء من قبيل جاءت حاجتك سعد الدين

قوله وأنت ابن أختنا لأن آمنة كانت من ... وهم الأنصار وقيل لأن سلمى بنت زيد أم عبد المطلب من الأنصار وقيل أخوال آمنة كانوا من بني النجار وهم الأنصار سعد الدين

إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في القربى ومن يقترف حسنة عن السدي أنها المودة في آل رسول الله
نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب
ذكر المودة في القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد
أي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية
ثوابها والتفضل على المثاب **أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور** أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا
مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها فإن يشإ الله يختم على قلبك فإن يشإ الله يجعلك
من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم
وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم
ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب
وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل
ويثبت الحق بكلماته بوحيه أو بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون
لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله بأنه يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك
عليهم إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك
القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر
حتى لا يشق عليك أذاهم **فإن قلت** إن كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو
ساقطة في الخط **قلت** كما سقطت في قوله ويدع الإنسان بالشر وقوله سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض
المصاحف **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** يقال قبلت منه الشيء
وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته
عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لأن المرجوع عنه
قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروي أن أعرابيا دخل
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له
علي كرم الله وجهه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال
يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض
الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها

حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا
اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون وقرئ بالتاء والياء أي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته **ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد** ويستجيب الذين آمنوا أي
يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وإذا كالوهم أي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا أو إذا
دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الإجابة فعلهم أي يستجيبون له بالطاعة
إذا دعاهم إليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن
إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام و
يستجيب الذين آمنوا **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده
خبير بصير** لبغوا من البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون
عبرة ومنه قوله عليه السلام أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني
رومان نبعا وسوحطا يعني أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغي والتغابن أو من البغي وهو البذخ والكبر أي لتكبروا
في الأرض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى
قال خباب بن الأرت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر بتقدير
يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول إليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع
شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو
أفقرهم لهلكوا **فإن قلت** قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان
المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه **قلت**
لا شبهة في أن البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه
فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد** قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل
به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذن أراد هذه الآية
ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي
الذي يتولى عباده بإحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته **ومن آياته خلق السموات والأرض
وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** وما بث يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على
المضاف إليه أو المضاف **فإن قلت** لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها **قلت** يجوز أن ينسب الشيء
إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وإنما هو في فخذ من أفخاذهم
أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

فإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصفون بالأجنحة
ولا يبعد أن يخلق في السماوات حيوانا يمشي فيها مشي الأناسي على الأرض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من
أصناف الخلق. إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى ومنه إذا يشاء وإذا
ما أشاء أبعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}
في مصاحف أهل العراق فبما كسبت بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء
على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفي الله
عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم
أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا
بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه
مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر
من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته
بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه
وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه
رضي الله عنه هي أرجى آية للمؤمنين في القرآن {وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير} بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن
يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} الجواري السفن وقرئ
الجوار كالأعلام كالجبال قالت الخنساء كأنه علم في رأسه نار وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من
ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه
وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر {أو يوبقهن
بما كسبوا ويعف عن كثير} يوبقهن يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين إما أن يسكن
الريح فتركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا
من الذنوب ويعفو عن كثير منها فإن قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن
أو يعصفها فيغرقن بعصفها فإن قلت فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه قلت معناه أو إن
يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فإن قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام {ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص} فإن قلت فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم قلت أما الجزم فعلى ظاهر العطف
وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه
في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السماوات

بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع
مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه
قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من
الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة
المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه
وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كأنه قال أو إن يشأ
يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه {فما أوتيتم من شيء فمتاع
الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون} ما الأولى ضمنت معنى الشرط
فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي كرم الله وجهه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله
في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت {والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده
ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الإثم هو الشرك هم يغفرون
أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ
وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الأنصار دعاهم الله
عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه وأقاموا الصلاة وأتموا الصلوات الخمس
كانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا
فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم
ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت
أهم محمودون على الانتصار قلت نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان
ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود {وجزاء سيئة سيئة مثلها
فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين} كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به
قال الله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما تسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت
الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو

والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها
في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء
خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي عليه السلم اذا كان
يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن
الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول ويقويه قراءة من قرأ بعد
ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا عاتب وعائب انما السبيل على
الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر على الظلم
والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم
كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب
يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا
العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة
البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنهما
بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى
الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده
فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه وتريهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب
مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل خاشعين متضائلين
متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يتعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من
تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح
اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر
من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال
اي يقولون يوم القيمة اذا رأوهم على تلك الصفة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم
من ملجا يومئذ وما لكم من نكير من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة ياتي اي من قبل ان ياتي
من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما
اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا

اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات
والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا و
يجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان
اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما يستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض
والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال
ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر اذاقة الانسان
الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه
مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت
لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت
لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه و
مشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان
ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده
بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه و
تشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا
الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا
كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم حيث
وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح العباد
قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء انه علي حكيم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلثة اوجه اما على طريق
الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهما السلم في ذبح ولده وعن
مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلم في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله ان قد تأمروا بابل ابي اوفى
فقمت على رجلي الى الحق وقد ترك في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر
السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء
الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة
فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي
نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا
ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا

من وراء حجاب أو يرسل ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول
لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول
بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه
أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه
إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا مطابقا لهما عليه نحو أو أن يسمع
من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا
وروي أن اليهود قالت للنبي عليه السلام ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك
حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم
على الله الفرية ثم قال أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله
على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا وكذلك أوحينا إليك روحا
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك
لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور
روحا من أمرنا يريد ما أوحي إليه لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فإن قلت قد علم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا
عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب
الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الإيمان اسم يتناول
أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك
ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة
لأنها بعض ما يتناوله الإيمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله
بدل وقرئ لتهدي أي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي
عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له سورة الزخرف مكية وقال مقاتل إلا قوله واسأل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله
إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد
واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل
الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب
الديانات جعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور

فإنا لن نؤمن

قوله وعن عائشة رضي الله عنها [illegible] رواه البخاري ومسلم والترمذي [illegible]

[illegible] الإيمان [illegible]

وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن يعقله
العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقرئ إم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله
بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن
في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب
هكذا أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم على سبيل المجاز
عن قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة أضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون
الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين إما
مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به
إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب
على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو
أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين أن كنتم لأن كنتم وقرئ إن كنتم وإذ كنتم
فإن قلت كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر
عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه
أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وكم أرسلنا من نبي في الأولين
وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين
الضمير في أشد منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى
مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل
هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن
العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء
ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فإن قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من
الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه
قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن
خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والذي
خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم
إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون

الذكر ونذوده عنكم

والأنعام الأصناف ما تركبون أي تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال بم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا إن أجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار

احيانا زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن في أبياتها زجل وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين أم منقطعة والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا له من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه فقالت شعر ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا من أمرنا ما شينا وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم

إلى علم ذلك ولا تطرق لهم إليه باستدلال ولا أخبار به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن شاهدوا خلقهم فأخبروا
عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب
وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة
الله كما يقول إخوانهم المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا
مؤمنين قلت لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على
سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة
المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان
النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر
نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير
وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك
من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه
ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا فإن قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم
إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل
وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قو
لا قالوه عن غير سبيل العلم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم
بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يتمسكون بها إلا قولهم إنا وجدنا آباءنا
على أمة على دين وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد
كالرحلة للمرحول إليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على آثارهم
مهتدون خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال
مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون مترفوها الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا
يحبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم
قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم
يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا
بما هو أهدى وأهدى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين

وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وقرئ بضم الباء وفتحها وبريء وبراء نحو كريم وكرام
وبراء المصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء
منك الذي فطرني فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين
وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني فإن قلت كيف تجعله بدلا
وليس من جنس ما يعبدونه من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون
من وجهين أحدهما والثاني فإن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة قلت كانوا يعبدون الله مع أوثانهم
وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فإن قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة
فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في
الحال والاستقبال وجعلها وجعل إبراهيم صلى الله عليه وسلم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إنني براء مما
تعبدون إلا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعل
من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحده منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة
على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق
ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم بل متعت هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول
مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه
إبراهيم وقرئ بل متعنا فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق
حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم
أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله
أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك إليه وغرضه بهذا
الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم
الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع
عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل
بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم
جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته

والاستخفاف بكتاب الله وبشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخيير محمد من اهل زمانه
بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشوه صورة التمرد وقرئ على رجل
بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة
والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس
وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان
الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة
ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى
جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة
وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب
من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله
التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما
يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم
لكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما
ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا
الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير
امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنكم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى
ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد
وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما
يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته
وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها
الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها
حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة
بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز

ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون
القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا
ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج
يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف
لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة اللام
هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما
بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا و
صغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان
يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا و
سررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون
الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة
وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر
لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة
ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل
في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها و
الفرق بينهما اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به
الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم شعر
اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط
وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم
عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا
الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي
وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا

حتى إذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على أن الفعل له ولشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب
فغلب كما قيل العمران والقمران فإن قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب
من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب
مشتركون أنكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر
الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب
ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني
مباعدة القرين وقوله أنكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممنو بشدة من
مثلها نفسه ذلك نفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء أعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم
اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق
لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من اليوم ونظيره إذا ما انتسبنا لم تلد لئيمة
أي تبين أني ولد كريمة أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر
وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع الصم إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم و
أراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله إن الله يسمع من يشاء وما أنت
بمسمع من في القبور فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون
فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا
دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفي صدرك وصدور المؤمنين منهم
فإنا منتقمون أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن ننجز في حياتك
ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة
الشكيمة في الكفر والضلالة ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة
وقرئ بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى سواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه
إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال
شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة
في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفره ولا يثبطه تأخيره وإنه لذكر لك ولقومك وسوف
تسألون وإن الذي أوحي إليك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن
قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين واسأل من أرسلنا

من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته
ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء و
كفاه نظرا وفحصا نظره في كتابه المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال
على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك
وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له
الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا
وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم
منها يضحكون ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم
إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا
وإذا للمفاجأة فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل
النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها و
أخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها
في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر
من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله
على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قرنتهم رجلا رجلا فإن قلت هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من
التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت
الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى
في الفضل وتتقارب منازلها فيه التقارب اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا
وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل
الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها لعلهم يرجعون أراد
أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان قلت إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره
ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار
المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد

معجزة لك وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب
إذا هم ينكثون نادوه يا أيهُ الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فإن قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا
لمهتدون قلت قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف
عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه الساحر بمنافية
لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك
بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت له وهو الإيمان
والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك
مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك
فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك
فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار النيل
ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره
لارتفاعه وقيل من بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري
نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري
خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى
عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى
يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها
الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي
القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه أم
أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا
له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير
والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته و
نادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي من
هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من اللثغة يريد أنه ليس معه
من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة
وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين
وإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار

وطوقوه بطوق من ذهب يعني أما يقدر ربه على ذلك فهلا اقترن به وأما من قرنوا بمعنى
تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلى الله عليه وسلم ووصفه بالضعف
وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده
وأنصاره وقرئ أساورة جمع أسورة وأساور جمع أسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير
وقرئ ألقي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين
فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف
فز فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين آسفونا منقول من
أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمنين وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم
أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع
سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت
ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم
بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما
ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا
بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
في الأرض يخلفون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم
فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه
خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار
فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن
الذين سبقت لهم ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسى ابن مريم مثلا وجادل
رسول الله بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم و
لجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا
أآلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا
ما ضربوه أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا جدلا إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل
بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله إنكم وما تعبدون ما أريد

الا الاصنام وكذلك قوله عليكم هو ولا آلهتكم وجميع الأمم انما تعبد الاصنام ومحال ان يقصد الانبيا
والملائكة الا ان ابن الزبعري بخداعه ومحبته وخبث دخلته لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم
مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله
على طريقة اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب
عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما
تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا
آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقالوا آلهتنا خير ام هو فعلى هذا القول تفضيل آلهتهم على عيسى لان المراد بهم
الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني ان آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا
خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود رضي خير ام هذا
ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده
وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون
والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز ان
يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى
جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل
لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا جدال
باطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه
بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل
لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن
ذلك وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم وانه وان عيسى عليه السلم لعلم للساعة
اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس رضي لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم
وقرأ ابي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما يسمى ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالارض
المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير
للقرآن لان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون اي اتبعوا
هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي

ادعوكم

ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين قد بانت
عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة و
لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او الشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الانجيل او
الشرائع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق
بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من
امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلم
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت الى
الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة
وهم لا يشعرون ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة
مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم
بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان يأتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين يومئذ منصوب بعدو اي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب
عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله و
التباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين يا عبادي حكاية
لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي
الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله
الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير
المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوههم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم
فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له فيها نعيم الجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها
اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم
الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدأ والتي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف
كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي

على الفذلكة وقرئ ورثتموها **لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون** من للتبعيض اي لا تأكلون الا
بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها **ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** لا يفتر عنهم
لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت
يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل
عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم
ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون** وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف
للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل
اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ
ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه و
المعنى سل ربك ان يقضي علينا **فان قلت** كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس **قلت** تلك ازمنة
متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج لهم ويغوثون
اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله عنهما انما يجيبهم بعد الف سنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا
فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون
في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه
لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب **ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدنا
كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم **فان قلت** ما المراد بالسر والنجوى **قلت** السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال
والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك عن يحيى بن معاذ
الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من
علامات النفاق **قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين** ان كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان
صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له
كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد
والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك

انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة و
العبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبرة ان كان الله خالقا للكفر في
القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع
له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه
الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح
عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج
حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه
به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان
للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرئ
عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن
عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن
المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض
والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا
في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب و
ذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة **وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله وهو الحكيم العليم** ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي
الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في
تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كانه
ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي
قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله
خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار
وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الارض **وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما و
عنده علم الساعة واليه ترجعون** ترجعون وقرئ بضم التاء وفتحها يرجعون بالياء مكي وحمزة وعلي وغيرهم
بالتاء **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم**

لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله
ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة
وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وعيسى وعزير
بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم
ونجواهم وقيله وعنه وقال وقيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرو وحمل
الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف
معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار
حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم فأعرض عن
دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام أي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله
لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه
إليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا
العذاب قليلا وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ
عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ الواو في والكتاب المبين واو
القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم
مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف
من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر
أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة وليلة الصك أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة
كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر
حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله
إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا
وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد

شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو
ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله من تمام الشفاعة
وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين
ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها
ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة
القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل
أمر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان فإن قلت
ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى سماء الدنيا وأمر
السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما
فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان
فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من
العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق
كل أمر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم
ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد
وآجالهم وجميع أمرهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة
ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب إلى جبريل عليه السلام وكذلك
الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
إلى ملك الموت عليه السلام وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ
يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما
نفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم
صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازا أمرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما
بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا
وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر
يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث إنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من
أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا
من عندنا بما يجب أن يفعل فإن قلت إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز أن يكون بدلا من قوله إنا كنا
منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل

الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما
وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في ليلة القدر كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان
من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذا الاوامر الصادرة من جهته
عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع المضمر
ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه
على الاختصاص وقرأ الحسن رحمةٌ من ربك على تلك رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم
وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا
من ربك **فان قلت** ما معنى الشرط الذي في قوله ان كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا
وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم
مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا
انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاوته ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين
بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم تأتي السماء مفعول به من ارتقبته اذا انتظرته يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته
وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي رضي الله عنه وهو قول الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في
اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد
فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان
ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو
كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر
والبطشة واللزام ويروى عليه انه قيل لابن مسعود رضي الله عنه ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيامة
فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء
لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز
وكان الرجل يرى ما بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم
رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان **يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا**
اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الي

وقوله

قوله من شدة الجوع يتخيل لهم وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان
كشف عنهم العذاب **انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون** انى لهم
الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل
في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب
المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه
الى الجنون **انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون** ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف
عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال **فان قلت** كيف يستقيم
على قول من جعل الدخان قبل القيمة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا **قلت** اذا اتت السماء بالدخان تضور
المعذبون به من الكفار والمنافقين عشوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله
عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون **يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون** ثم قال
يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك
اليوم **فان قلت** بم انتصب يوم نبطش **قلت** بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون
لان ان يحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر **ولقد فتنا قبلهم قوم**
فرعون وجاءهم رسول كريم وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم
ومعنى الفتنة انا امهلناهم ووسعنا عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام
او ابتليناهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبنا ملكهم واغرقناهم كريم على الله
وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم **ان ادوا الي عباد**
الله اني لكم رسول امين ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم يتضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم
الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان كالحديث ادوا الي عباد الله
مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادفعوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون
نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه
رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته **وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين** وان لا
تعلوا ان مثل الاولى في وجهيها اي لا تتكبروا على الله بالاستهانة بوحيه وبرسوله او لا تتكبروا على نبي الله
بسلطان مبين بحجة واضحة **واني عذت بربي وربكم ان ترجمون** ان تؤذوني ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام
ومعناه انه عائذ بربه متوكل عليه فلا يعصمه منهم من كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فاعتزلوني فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي اقطعوا

اسباب الوصلة عني ولا تعلقوا بي كما قالوا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشر ولا اذى فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك **فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون** ان هؤلاء اي بان هؤلاء اي دعاه بهذا وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء **فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون** فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين **واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون** الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

اي ساكنا اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم** ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر **ونعمة كانوا فيها فاكهين** والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين **كذلك واورثناها قوما آخرين** كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او في موضع الرفع على الامر كذلك وقوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم **فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين** اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقالت الخارجية شعر ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا **ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين** من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان

مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقديره من عذاب المهين من فرعون على ... هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذابه بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا **ولقد اخترناهم على علم على العالمين** الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم **وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين** من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم **ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى** هؤلاء اشارة الى كفار قريش **فان قلت** كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى **قلت** معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى **وما نحن بمنشرين** يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم **فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين** فاتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدوننا من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون **اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين** هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى ... لا تشرك بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم

تبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لأنه يتبع الشمس فإن قلت ما معنى قوله أهم خير ولا خير
في الفريقين قلت معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي
تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما
خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وما بينهما وما بين الجنسين
وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم
في يوم الفصل يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون لا يغني مولى أي مولى كان من
قرابة أو غيرها عن مولى أي مولى كان شيئا من إغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير
لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم من رحم الله في محل الرفع
على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء إنه هو العزيز
لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن أطاعه إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وقرئ إن شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها
ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال
ابن الزبعرى إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فإن هذا هو
الذي يخوفكم به محمد فنزلت إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان
يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة
جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ
المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب
خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا
يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق
وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية
كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون
السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر و
كذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه خذوه فاعتلوه إلى
سواء الجحيم يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس
أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها إلى سواء الجحيم إلى وسطها ومعظمها ثم صبوا
فوق رأسه من عذاب الحميم فإن قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رءوسهم الحميم لأن
الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة
الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا

ليكون أهول وأهيب ذق إنك أنت العزيز الكريم يقال ذق إنك أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم
بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم
مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وقرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ
به على المنبر إن هذا ما كنتم به تمترون إن هذا العذاب أو إن هذا الأمر هو ما كنتم به تمترون أي تشكون
أو تتمارون وتتلاحون إن المتقين في مقام أمين قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان
وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الإقامة والأمين من قولك أمن الرجل
أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما
يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين قيل السندس ما رق
من الديباج والإستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ
عجمي قلت إذا عرب خرج من أن يكون عجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه
وإجرائه على أوجه الإعراب كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين كذلك الكاف
مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى
بالحور من العين لأن العين إما أن يكون حورا أو غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله
بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم
وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فإن قلت كيف استثنيت الموتة
الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة
فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق
بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد
فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطى المتقين من نعيم
الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أي ذلك فضل فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فإنما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون ذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك
بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب إنهم مرتقبون فارتقب فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما
يحل بك متربصون بك الدوائر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون
ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية
وهي سبع وثلاثون وقيل ست وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز الحكيم حم إن جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم
تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا إن في

السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل
والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات
لقوم يعقلون إن في السموات والأرض يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله
وفي خلقكم فإن قلت علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه قلت بل على المضاف لأن المضاف
إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن
أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا في الدار
وعمرا في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان
إذا نصبت إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا
رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار
فإن قلت العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده
قلت فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة
ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها أو على
التكرير ورفعها بإضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية
وقرئ وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها
مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال و
هيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا
نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بعد
موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لأنه
سبب الرزق تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون تلك إشارة إلى
الآيات المتقدمة أي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال أي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه
تلك من معنى الإشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله وآياته أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني
زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل أحسن الحديث
وقرئ يؤمنون بالياء والتاء ويل لكل أفاك أثيم الأفاك الكذاب والأثيم المبالغ في اقتراف الآثام
يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا
شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما
اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من إصرار الحمار
على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه مستكبرا عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها

معجبا بما عنده وقيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن
استماع القرآن والآية عامة في كل ما كان مضارا لدين الله فإن قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه
في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار
عنها وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها
وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها
كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها كأن مخففة والأصل كأنه
لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل
غير السامع وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها اتخذها أي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للإشعار
بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء
بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند و
يجعله محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز
أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها
حين أراد عتبة وقرئ علم أولئك إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها
الشخص من خلف أو قدام قال أليس ورائي إن تراخت منيتي أدب مع الولدان أزحف كالنسر ومنه قوله
عز وجل من ورائهم أي من قدامهم ما كسبوا من الأموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من
الأوثان هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم هذا إشارة إلى القرآن يدل
عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد
رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل والرجز أشد العذاب وقرئ بجر أليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض
جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ولتبتغوا من فضله بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان
واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فإن قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الإعراب
قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني أنه مكونها
وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه و
أن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدأ قوله ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وأن يكون
وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس منة وقرأ سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل
سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك أو هو منه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا

اماله
كالكشف الغطاء الا انه [illegible]

اماله
وبينا بواتنا بمجيئهم

يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى
ربكم ترجعون حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون أيام الله لا يتوقعون
وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين و
وعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من
غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية
فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم
جزاء مغفرتهم يوم القيمة فإن قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو
مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم
الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه
ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم
وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين
الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق وفضلناهم على العالمين
حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بينات آيات ومعجزات من الأمر
أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا
لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا
يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين على شريعة
على طريقة ومنهاج من الأمر من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من
أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك ولا توالهم إنما
يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع
بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن
وقرئ هذه بصائر أي هذه الآيات أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم أن نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي إلى

مفعولين فأولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لأن الجملة تقع
مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت
زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا
غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أي سواء في محياهم وفي مماتهم
والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء
على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى
ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة
والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لأن المسيئين والمحسنين
مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى
أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري
رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون
وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت وخلق الله
السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى معطوف على بالحق لأن فيه معنى
التعليل أو على معنى محذوف تقديره خلق السموات والأرض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه
من بعد الله أفلا تذكرون أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل
إلهه وقرئ آلهة هواه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا رأى ما هو أحسن رفضه إليه فكأنه اتخذ هواه
آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا وأضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بأن
ذلك لا يجدي عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألطاف المحصلة
المقربة فمن يهديه من بعد إضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تتذكرون
وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون
نموت ونحيا نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون نطفا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك
أو يصيبنا الأمران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ
نحيا بضم النون وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الأيام
والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة
تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله
هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا

ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه
ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره فإن قلت لم سمي قولهم
حجة وليس بحجة قلت لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في
حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم إلا ما ليس
بحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة فإن قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا
إن كنتم صادقين قلت لما أنكروا البعث وكذبوا الرسول وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون
به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا و
أصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائهم
كان أهون شيء عليه ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب
في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون جاثية باركة مستوفزة
على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث
من جثى جهنم وقرئ كل أمة على الابتداء وكل أمة على الإبدال من كل أمة إلى كتابها إلى صحائف أعمالها فاكتفى
باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق فإن قلت كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل قلت الإضافة تكون
للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته إياه فلأنه مالكه
والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان إنا كنا
نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون أي نستكتبهم أعمالكم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم و
كنتم قوما مجرمين في رحمته أي في جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم أفلم
تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه وإذا قيل إن وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقرئ والساعة
بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها ما الساعة أي أي شيء الساعة فإن قلت ما معنى إن نظن
إلا ظنا قلت أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن
مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم
ما كانوا به يستهزئون سيئات ما عملوا أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله وجزاء

سيئة سيئة مثلها وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى
به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فإن قلت ما معنى إضافة اللقاء
إلى اليوم قلت كمعنى إضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه
ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه فلله الحمد رب السموات
ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم فلله الحمد فاحمدوا الله
الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء
على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض وحق مثله أن يكبر ويعظم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب سورة الأحقاف
مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل خمس وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا
عما أنذروا معرضون إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه وهو يوم
القيمة والذين كفروا عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه معرضون لا يؤمنون به
ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم قل أرأيتم ما تدعون من
دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم
إن كنتم صادقين بكتاب من قبل هذا أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد و
إبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد
بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم
سمنت الناقة على أثارة من لحم أي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ على أثرة أي من شيء أوثرتم به
وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالإثرة بالكسر
بمعنى الأثرة وأما الأثرة فالمرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة
اسم ما يخطب به ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم
غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومن أضل معنى الاستفهام فيه
إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على
تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت
الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا

في الدارين الا على عكس مضرة لا يتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة يعاديهم ويجحد عبادتهم وانما
قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا
وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرى
ما لا يستجيب وقرى يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم
بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين** بينات جمع
بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق
ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل
عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا
اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه **ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني و
بينكم وهو الغفور الرحيم** ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا
افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك
ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته
عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا
يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة
الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه
واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا
ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته
سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب و
الجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة
ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل
اليهم في قوله فلا تملكون لي **قلت** كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة
الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله
فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين** البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف

وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون
عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه و
اخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون
الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي وما ادري
لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع
الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي
قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ااترك
بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون
نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل **فان قلت** ان يفعل مثبت غير منفي فكان
وجه الكلام ما يفعل بي وبكم **قلت** اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه
صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر
كيف دخلت الباء في حيز ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في يفعل يجوز ان تكون موصولة
منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي اي الله عز وجل **قل ارايتم ان كان من عند الله و
كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين**
جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له اني سائلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه
او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة
فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا
وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال
سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه
نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة

لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك مما يتصل عليه قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين إن هذا لفي الصحف الأولى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فإن قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت لم تتفق أنك أخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك

وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم

للذين آمنوا لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو إليه محمد حقا ما سبقتنا إليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه فإن قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله وإذ لم يهتدوا به ومن متعلق لمعاندة في قوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم وهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح بإضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم إفك قديم كقولهم أساطير الأولين

ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون

كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب إماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى

أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة ويجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لينذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له

ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين

قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فإن قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالأمد من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود إذا انتهى أمده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الأشد أن يكتمل ويستوي في السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل الرضي هو الصلوات الخمس فإن قلت ما معنى في في قوله وأصلح لي في ذريتي قلت معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين

أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون

وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فإن قلت ما معنى قوله في أصحاب الجنة قلت هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه

والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين

أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا
خاسرين والذي قال لوالديه مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك
القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت
عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبواه أبو بكر
وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده
حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق
عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار
نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون
لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت
وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله و
قرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر
كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ
أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل
اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن طرح أحدهما أن أخرج
أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث و
التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك فإنهم نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن
بأن وعد الله حق ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ولكل من الجنسين المذكورين
درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما فإن قلت كيف قيل
درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على
الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا
يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين
كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما
كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم وعرضهم
على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز
أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير
ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه

في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت
بصلاء وصناب وصلائق وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم
في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن
يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بألف بين همزتين الهون والهوان و
قرئ عذاب الهوان وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الأحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو
الإنذار من بين يديه من قبله ومن خلفه من بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم
فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في
زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر
قومه ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين ألا تعبدوا
ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن
تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما
العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون لتأفكنا لتصرفنا يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا
عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت صادقا في وعدك فإن قلت من أين طابق قوله
إنما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى
قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا إنما علم ذلك
عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف
أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله
بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه
فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم
فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا
وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من عن إذا عرض

بالبينة

عرض ولسنا فمستقبل وممطر بمعانيه غير حقيقية بل يفيدهما ما استعملا وصفا للمعرفة وقعا صفة للنكرة
القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به ريح
أي قال الله قل تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين تهلك
كل شيء مر به من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك
لا يرى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وبالياء أجود والتاء هي عن الحسن ولا
ترى بقايا ما لا أشياء إلا مساكنهم ومنه حتى في ... وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ
لا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى
كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا
به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا
أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام
لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود
وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما
أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول
إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح
قلت الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده
وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضده ويقويه ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في
اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير
قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة
لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش شعر
يرجي المرء ما إن لا يراه ٭ وتعرض دون أدناه الخطوب ٭ ويعضده ما مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول
ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل
في الحث على الاعتبار من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون قلت
بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته

وضربته

وضربته إذا أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون
سائر الظروف في ذلك ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ما حولكم يا أهل مكة من القرى
من حجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين
اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون القربان ما يتقرب به إلى
الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين
المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ
قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع
نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم
على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك والأفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك
الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم
أي قولهم الإفك أي ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين
قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق
مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم صرفنا
إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا
وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع
أو لرسول الله وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا
مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب
قالوا ما هذا إلا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا
حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في
صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا
به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به
فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه
نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج
منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

هل رأيتم شيئاً فقالوا نعم رأينا الأسود مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفاً والسورة
التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى عليه السلام فإن قلت لم بعض في
قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم
إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم
لأنهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال
مبين فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله في
الأرض ولن نعجزه هرباً أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على
أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير بقادر محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما
دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيداً بقائم
جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم
وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول ويوم يعرض الذين كفروا
على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أليس هذا بالحق
محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب
والمعنى التهكم به والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ
فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أولوا العزم أولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز أن تكون للتبعيض
ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم عليه السلام
على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب
على الضر وموسى عليه السلام قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة
وعيسى عليه السلام لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم أجمعين وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزماً وفي يونس
ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش
بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وأنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول
فهل يهلك وقرئ بلاغاً أي بلغوا بلاغاً وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون
إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل في الدنيا

سورة محمد عليه السلام مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي
تسع وثلاثون آية وقيل ثمان وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله أضل أعمالهم وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم
المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر
وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد
أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة
من الإبل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما
يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى
الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر
دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم
وأصلح بالهم والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل عام
وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الإيمان به
تعظيماً لشأنه وتعليماً لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من
ربهم وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء
للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر
والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح بالهم أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا
بما أعطاهم من النصرة والتأييد ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال
أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ
محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوباً على هذا ومرفوعاً على الأول والباطل ما لا
ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب
الله للناس أمثالهم والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا
بهم فإن قلت أين ضرب الأمثال قلت في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين أو
في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها لقيتم من
اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى
المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب

عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون
ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما
يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله **بما كسبت أيديكم** على
أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق
وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا
فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان أثخنتموهم أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم
بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به
ومنا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن
تمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن تفادوهم **فإن قلت** كيف حكم أسارى المشركين **قلت** أما عند أبي حنيفة وأصحابه
فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم
بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل
ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المسلمين
فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا
للمسلمين وأما الشافعي رضي الله عنه فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو
القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عزة
الجمحي وعلى أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر
مع فتح الفاء أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى وأعددت للحرب أوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت
فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا
فإن قلت حتى بم تعلقت **قلت** لا تخلو إما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند
الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل
إذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع
جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى
تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ذلك أي الأمر ذلك أو افعلوا ذلك لانتصر منهم
لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين
بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض

ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم
على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد **سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم** عرفها لهم أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل
الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي
وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي
كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها
من عرف الدار وأرفها والعرف والأرف الحدود **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** إن تنصروا
دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام **والذين كفروا
فتعسا لهم وأضل أعمالهم** والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كأنه قيل
أتعس الذين كفروا **فإن قلت** علام عطف قوله وأضل أعمالهم **قلت** على الفعل الذي نصب تعسا لأن المعنى
فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا لهم نقيض لعا لهم قال الأعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد فالعثور
والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي
في النار **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف و
الأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم **أفلم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها** دمره وأهلكه ودمر
عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين
أمثالها الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين
خلوا **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم** ولي الذين آمنوا على أعدائهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود
ولي الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات
فيه فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون
فإن قلت قوله تعالى ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق يناقض هذه الآية **قلت** لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده
جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة **إن الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام و
النار مثوى لهم** يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما
تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام **وكأين من قرية
هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم** وقرئ وكائن من قرية وأراد بالقرية أهلها

وان كثيرا اهلكناها هو كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك **فان قلت** كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى **قلت** مجراه مجرى الحال المحكية كانه قال اهلكناهم فهم لا ينصرون **افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم** من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت لم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا هذا كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال له نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي كرم الله وجهه امثال الجنة اي صفاتها كصفات النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معوية لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تانيث لذ وهو اللذيذ او وصف بالمصدر وقرئ بالحركات الثلث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء حميما قيل اذا ادني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم **ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال**

اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم هم المنافقون كانوا يجلسون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استانفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم** زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تاتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة كذلك **فان قلت** فما جزاء الشرط **قلت** قوله فانى لهم ومعناه ان تاتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى **فان قلت** بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين **قلت** باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم **فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم** لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم** كانوا يدعون الحرص على الجهاد

ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت سورة وامروا فيها بما تمنوه وحرصوا عليه
كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة
لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل
لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة
وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله
سورة محدثة وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض
هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته
الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم
المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة و
قول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد
والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله ان ذلك من عزم الامور فلو
صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه السنتهم **فهل عسيتم**
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون
عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة
الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوكيد **فان قلت** ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض **قلت**
معناه هل يتوقع منكم الافساد **فان قلت** فكيف يصح هذا في كلام الله وهو عالم بما كان وما يكون **قلت** معناه
انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون
هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ ان وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان توليتم اي ان تولاكم ولاة
غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع
اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الا
رحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين
آمنوا المخلصين الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين
فيما بينهم يضجرون منها **افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها** افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل وهمزة التقرير

للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله
لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا **فان قلت** لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها **قلت** اما التنكير
ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة
الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم الشيطان سول لهم
جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو
الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني
وقرئ واملي لهم على البناء يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول
اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف **فان قلت**
من هؤلاء **قلت** اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل
هم المنافقون **ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم**
الذين قالوا اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير
لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله او ترك
القتال معه وقيل هو قول الذين ارتدوا للمشركين سنطيعكم في التظاهر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد
معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم
على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم **فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم و**
ادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى
تاءيه كقوله ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الله الا بضرب من الملائكة
في وجهه ودبره **ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم** ذلك اشارة الى
التوفي الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ورضوانه الايمان برسول الله **ام حسب الذين في قلوبهم**
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين واظهارهم على
نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم **ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم**
في لحن القول والله يعلم اعمالكم لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك
بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق **فان قلت** اي فرق بين
اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم **قلت** الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف

اللام في ولنعرفنهم موافقة مع النون في جواب قسم محذوف ولتعرفنهم في لحن القول في نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو
قولهم ما لنا إن أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك
أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه
ذوو الألباب وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و**
الصابرين ونبلو أخباركم أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر
على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم
وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا
وهتكت أستارنا وعذبتنا **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم**
الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم وسيحبط أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنها
مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكائد التي نصبوها في مشاقة
الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستضرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم
رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**
ولا تبطلوا أعمالكم أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى أن قال أن تحبط
أعمالكم وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع
الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل
أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا
عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله
الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك
والنفاق وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ثم ماتوا وهم كفار قيل هم
أصحاب القليب والظاهر العموم **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ولن يتركم أعمالكم** فلا
تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا إلى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وأنتم الأعلون أي الأغلبون الأقهرون
والله معكم أي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي أو منصوب
لإضمار أن ونحو قوله وأنتم الأعلون قوله إنك أنت الأعلى ولن يتركم من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد
أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل

ثوابه

ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي
أفرد عنهما قتلا ونهبا **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم**
أموالكم يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر
ثم قال إن يسألكموها فيحفكم أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة
إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه إذا استأصله **إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**
ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم
الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم تبخلوا ويخرج أضغانكم أي تضطغنون على
رسول الله وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل
أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما
ورفع أضغانكم ها أنتم هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون
ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة
كأنه قيل الدليل عليه أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون
به ثم قال ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وإنما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه
وكذلك ضننت عليه وعنه ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه لحاجته إليه فهو الغني الذي تستحيل عليه
الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب وإن تتولوا معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم
يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد
قيل هم الملائكة وقيل الأنصار وعن ابن عباس رضي الله عنهما كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس و
الروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه
والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة **سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في
أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا
يخفى **فإن قلت** كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة **قلت** لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة
وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك
عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب

والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحاً بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد
فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحاً وقد
احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحاً مبيناً وعن موسى بن
عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعاً فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا
عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون
ان يدفعوكم عن بلادكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي
نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية
آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب
جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل
فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها
اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بيناً على اهل مكة
ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم
من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث
مارية وما تأخر من امرأة زيد نصراً عزيزاً فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسناداً مجازياً او
عزيزاً صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليماً حكيماً ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ويعذب المنافقين و
المنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيراً ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيماً
السكينة السكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل
الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقيناً الى يقينهم او انزل فيها السكون
الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايماناً بالشرائع مقروناً الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلاة و
الزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايماناً الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايماناً الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط

بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان
يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين
والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه
فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله
تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهراً عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه
ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة
التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء
والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه
من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف
الظن الى المفتوح لكونه مذموماً وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي
ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وجل
ان اراد بكم سوءاً او اراد بكم رحمة انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلاً شاهداً تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيداً والضمائر للناس
وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله
عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه و
توقروه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعززوه بضم
التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلاً عن ابن عباس
رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً لما قال انما يبايعون الله
اكده تأكيداً على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله و
الله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من
غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر
نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة
الا جد بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه
وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسيؤتيه بالياء والنون يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي
لغة تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا و
اهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد بكم

ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر
من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم
هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه
في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم و
اموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في
اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر
عن حقيقة فمن يملك لكم من الله من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من
ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالضم والفتح بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء
التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو
الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم وزينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك
من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ
والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين
الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم
فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما
رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله
قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا سيقول
المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله اي يغيروا
موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون
منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بكسر السين بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة

الفقه قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن
الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من
مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون
مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله
ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء
الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان صح ذلك
فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان
الموعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية
او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي
او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما نفى الحرج عن هؤلاء
من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا هي بيعة الرضوان سميت
بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى
اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف
من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان
رضي الله عنه فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت
ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم
فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة
فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي
غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال
لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا و
اربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة

أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم
من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما
ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان
بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم
هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا
عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة
فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين
جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة
يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة
في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم
صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم
ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الحرج
قد أحاط الله بها أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره
قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها فأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع
على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط بها خبر المبتدأ والجر بإضمار رب فإن قلت قوله
ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز
أن يكون المعنى وعدكم الله المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا
وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الأخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل
مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
سنة الله في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي وهو الذي
كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون
بصيرا أيديهم أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك
يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما
روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان
مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالتاء والياء
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون

ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء
لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما وقرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو
ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد
الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا أن يبلغ محله محبوسا أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه
الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة رحمه الله على أن المحصر محل هديه الحرم فإن قلت فكيف حل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول
الله كانت في الحل ومصلاه في الحرم فإن قلت فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله قلت المراد المحل
المعهود وهو منى لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في
تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بأن تطؤوهم يعني
أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء
المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة
قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا
مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم
وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى
معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فإن قلت أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم
وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى
منهم بعض التقصير فإن قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له
من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب
ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه
من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا إذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى
وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن
المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة
والسكينة الوقار وما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي
وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من
عامه ذلك على أن يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما

صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا
محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى
بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى
بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى
انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها
تلحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام**
ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا
رأى رسول الله عليه السلام قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق
فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث عليهم اللعنة ما حلقنا ولا قصرنا
ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب
وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت** بم تعلق بالحق
قلت اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا
حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق
قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب
قسم محذوف **فان قلت** ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله تعالى **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة
تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا
ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة و
الصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر
لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق**
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله
على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك
سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه
الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين

على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا
على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك **محمد رسول الله والذين معه اشداء على**
الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا محمد اما خبر مبتدأ اي هو محمد لتقدم
قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح
والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
واغلاظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان
تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه
وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رحمة الله عليه وكذلك
التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في
المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على
ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة و
الاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ اشداء رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال المقدر
في معه ويجعل تراهم الخبر **سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في**
الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما سيماهم علامتهم وقرئ سيمياهم
وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله
من اثر السجود يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين
وعلي بن عبد الله بن عباس يقال لهما ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه
منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه
فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلا قد اثر
في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك اذا
اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة
السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا
الآن يصلي فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد
ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة
وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا
بالليل كقوله عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم

المجيب الثاني في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع يريد هم كزرع ويجوز ان يتم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة
ثم ابتدئ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال
اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة و
نقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره
بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون على سوقه
بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه
بعلي رضي الله عنهم وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله
عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى
يعجب الزراع **فان قلت** قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في
الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما
يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومنهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

**بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله
ان الله سميع عليم** قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه
ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول
كل ما يقع في النفس مما تقدم والثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كأنه قيل
لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من
قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة
من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة
القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا
تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا
منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه
في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا
ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على
امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان

فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا
تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبني
عمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق
صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب و
الاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا
ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما
ثم اتوا رسول الله فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله ونزلت اي لا
تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة
رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله
عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول
الله ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح
اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق
فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون
لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه انه اذا جرت
مسألة في مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا لحاجة وان يستأنوا في الافتتاح بالطعام
واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه
فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتياع من العقاب وتهمة لنفسه ان لا يقع فيه ما يرديه وهذا كما تقول لمن يقارف
بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره
بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم
بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب **يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد
الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم
وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك
لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو عملا بما يحدوه عليه
وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم

فعليكم أن لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم
وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير
خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه وهو صامت
فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته
القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه
وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه
وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار
عند رسول الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لانه كفر
والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء
ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم
يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او
ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين
اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه
فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة **شعر** زجر ابي عروة السباع اذا
اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي
قراءة ابن مسعود ولا ترفعوا باصواتكم والباء زائدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي
رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون
ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن
عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع
صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت هذه الآية فقد ثابت تفقده رسول الله
فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف ان
يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن
الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والله اعلم ان يكون الخطاب للمؤمنين على
ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون
اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له

جهرا مثل الجهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة
وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه
مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم
اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل
ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعله لاجله
وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا **فان قلت** لخص الفرق بين الوجهين **قلت**
تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي
الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه **فان قلت** باي النهيين تعلق المفعول له **قلت** بالثاني
عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع
المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى الحبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك
لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم
غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع
لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح
وحرب اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن
يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما ان فيما
يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك
فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم
صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع
الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك
انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها
منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم
انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم
امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان
افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد **شعر**

[illegible]

انت ودرايا باديا كاهلها : قد محصت وانصلت آطالها : ولما نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض
الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما
لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة
ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين
وقروا رسول الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته
وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن
لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين بين ما ثبت فيه وما سقط عنه
قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء
تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان
من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير
تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما
انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة
والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة
والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات
نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له حجرة
فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من
وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم
فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه
ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في
كلامهم وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا
فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور
الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر
من اكبار محل رسول الله واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا
عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها
بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع

ذمهم

ذمهم باستجفائهم واستركاكهم عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله
وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل
كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد
ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره
ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك
بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس
قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة
المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله
يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية
ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم والله غفور رحيم انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر
حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا
محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين او
القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج وبين الى ان تخرج
قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها
لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما
كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم
يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير
فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ
الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص
فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق
وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسول الله
فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده
على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه

الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبإ شياع في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبإ فتوقفوا
فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى
الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه
فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا
له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة تصف الإبل فواسقا عن قصدها جوائرا
وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد
إلا في الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق
في مخاطبتهم بكلمة زور أن تصيبوا مفعول له أي كراهة إصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين
كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة والإصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب
من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام لأنه كلما
تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه أدمن الأمر أدامه
ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا
بأنه لا يفارق صاحبه واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم
الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه إلى تنافر النظم
ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد
والمعنى أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي أنكم تحاولون
منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطاوع لغيره التابع له فيما يرتئيه
المحتذي على أمثلته ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب ما يؤديه
إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن
بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله
حبب إليكم الإيمان أي إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات
القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
وقوله أولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله أي أولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته
فإن قلت ما فائدة تقديم خبر أن على اسمها قلت القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع رأي

رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه فإن قلت فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم قلت للدلالة على
أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأي في أمر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير
من الأمر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فإن قلت كيف موقع لكن
وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا وإثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة
من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها
من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب
وراجع إلى بصيرة وذهن لا يخفى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثنى عليهم
بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فإن قلت فإن العرب تمدح بالجمال
وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم أنهم رأوا
حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما في الدميم
وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة النقاد وعلماء المعاني من
دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل
والعفة وما يتشعب منها ويرجع إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك
مما ليس للإنسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود والفسوق
الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع والعرق
العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة
قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد شعر وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا
مفعول له أو مصدر من غير فعله فإن قلت من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله و
الشرط أن يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه
صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى
والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله
وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل
والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام والله عليم بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم
بالتوفيق على أفاضلهم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار
فأمسك عبد الله بن رواحة وقال والله إن بول حماره لأطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك

ومضى رسول الله فطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصي
وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها
عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد
نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وحكى أبو عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف
الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها **فإن قلت** ما وجه قوله اقتتلوا
والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين **قلت** هو مما حمل على
المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله فإن فاؤوا فخذوا
بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من
أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله قاله بعد أن اعتزل فإذا كفت وقبضت عن
الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف
حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها
ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في
ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغي
صير إلى مقاتلتهما وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة
الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة
ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين وإما أن تكون
إحداهما الباغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي
عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة
ما جنت وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله فإنه كان يفتي بأن الضمان
يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع
فمحمل الإصلاح بالعدل في قوله فأصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول
غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون
ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط **فإن قلت** فلم قرن بالإصلاح
الثاني العدل دون الأول **قلت** لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتي
شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة
الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك إذا
بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين المذكورين وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد

ما أمر به في إصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقدم بين يديه والقسط
بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل
فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا**
الله لعلكم ترحمون هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن
الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها
ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولاد لزم السائر
أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف
ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح
إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل **فإن قلت** فلم خص الاثنان بالذكر
دون الجمع **قلت** لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم
لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين
إخوتكم وإخوانكم والمعنى ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية و
أبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك
إن وقع واحسموه واتقوا الله فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى
إماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا
به رجاءكم **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن**
يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم
يتب فأولئك هم الظالمون القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على
النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر
أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب إذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص القوم بالرجال
صريح في الآية وفي قول زهير أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث
فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم
والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وأن يصير كل
جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد
من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا
يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل

وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب
الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة
لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه
ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي
يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم في ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه
عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على
ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم
وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل
الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة
عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى
الاولى التي لا خبر لها كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى
وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم
ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس
وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له
ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر
في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة الف
او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل
معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل
معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي
بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه
هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من
السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر رضه بالعتيق و
الصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من
ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من
غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى
ابي حذيفة فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة

وعن انس رضي الله عنه ان ام سلمة ربطت حقويها بسبنية وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة
لحفصة رضي الله عنهما انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن انس رضي عيرت نساء رسول الله ام سلمة
بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية
بنت يهوديين فقال لها رسول الله هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى عليهم السلم وان زوجي محمد عليه السلم
وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو
يقول تفسحوا لي حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل
انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر
على احد في الحسب بعدها ابدا الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما يقال
طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كأنه قيل
بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلاثة اوجه
احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان
تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل
من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين آمنوا**
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته
جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه
اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى
قوله ان بعض الظن اثم **فان قلت** بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة **قلت** مجيئه نكرة يفيد معنى
البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد
نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب
الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة
مرخصا في تظننه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة و
سبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه
الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان
الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان

ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا اتقى لم يظهرها تحيله لم يحتسبن بعده ...
جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الآثام فعال منه
كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة
فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والقياسان متقاربان يقال تجسس الامر
اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في
قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد
النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه
ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه في
جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال
ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من
الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه
وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة
ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الا
غتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما
تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز
ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه
معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة اي صحت
بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوا كراهتكم له وتقذركم
منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرّهتموه اي جبلتم
على كراهيته فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس
تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته
بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الذي هو
اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان
معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله

بكم لما امرتم به واجتنبتم ما نهيتم عنه تائبين مما فرط منكم فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم ثواب المتقين
التائبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان رضي الله عنه كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن
شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله فقال ما عندي شيء
فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم
خبير من ذكر وانثى آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم من احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به
الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي
عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع
العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولا تتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب و
قبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت
والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى
فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم
لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم
عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله
ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى و
كرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود
يقول من اشتراني فعلي شرط ان لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند
كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة ايام فقال هو لما به فجاءه
وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول
في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم
ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان
فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا

تكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل
قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حيث لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا
الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك
هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم
تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها
الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى
كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد
به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به
ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال
من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم
يقال ألته السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي
عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا
يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق
ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم
عليهم بجزيل ثوابه انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله اولئك هم الصادقون وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا
الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت
ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام
لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا
للايمان لانه وصف فيه لما تقتضيه من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب
قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد
ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر
على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله
ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها
على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا

وجاهدوا

وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وان يكون العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد
ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان
رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على
ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد ام هم
الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله
بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين يقال منّ عليه بيد اذا اسداها اليه كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب
مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من
غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف
ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعراب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله
ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي
حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم
قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه
ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام
اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره
ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ
هداكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا
بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم
لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم
واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه
سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء لالتقائهما
في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله
وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم
مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفة

لو بكى الانامل القوية نتزيف ناعليهم عا فيها انه يا ابهم سوى فجعل لهم تكونه ولذا اعلم انه نحوها الخلقهم لونه
ان ينذرهم ويحذرهم فكيف باشر غاية الحادث في نهاية التحادي وتكلّم لتعجيبهم مما انذرهم به من البعث
مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه ما قرارهم
بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء عطفا على احد الانكارين بقوله تعالى فقال الكافرون
هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا لانه دل على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع
موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا متعدون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا
منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد
وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب
ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن
وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت فما
الناصب اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كتاب حفيظ رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما
تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في
الارض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب
فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم
جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر
ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر
وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس
خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها
من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله
في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير عمد وما لها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت
من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر ونذكر كل عبد منيب راجع الى ربه مفكر
في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا
به جنات وحب الحصيد ماء مباركا كثير المنافع وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد ونحوها

بينات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به
بلدة ميتا كذلك الخروج باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقات بالصاد
السين صادا لاجل القاف نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يريد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من
الثمر رزقا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لرزقهم كذلك
الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب
الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف
عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع
على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة
للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال انهم لا ينكرون قدرتنا على الخلق
الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم
الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم
تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان
على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى
خلق جديد له شان عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في
مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث
النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان تكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا
وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته نفسه قال وكذب النفس اذا حدثتها
ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته
فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم
هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار وقال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق
شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق
في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة
الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم
بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما

حتى لو نقل العليا شانه اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعنى
مع في القرب متقدمه ومتاخره والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب
من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف
لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما
وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في
الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك
قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا
للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على اعماله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن
بالحفظ والكتبة والقعيد القاعد كالجليس بمعنى الجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين
فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف
فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل
عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين
على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه
اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقترابه
بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به
رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من
ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة
الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما وجاءت
سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان و
اوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت
به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا
وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق
الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سأل زيد بن اسلم عن ذلك فقال

الخطاب

الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح
ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا
هو للبر والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم انجاز الوعيد والاشارة الى
مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد
عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال
من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد وقرئ لقد كنت في غفلة عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت
الغفلة كانها غطاء غطى به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ
وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا
لتيقظه وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب وقال قرينه
هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا
ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به
يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت
ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف القيا خطاب
من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية
الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل
منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين
عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون
الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير
كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير كثير المنع للمال عن
حقوقه جعل ذلك عادة له ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه
من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي
دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان
في ضلال بعيد الذي جعل مبتدا مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا على
بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى
لانها استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى
وفرعون فان القائل هنا لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما

اثم

اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما دل عليها كانه قال رب هو اطغاني
فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في
الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان
ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا
في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في
كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم
به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم
او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا
بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا
لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة
في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم
بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان
ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما
مفرط الظلم فنفى ذلك قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود و
الحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ
في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب
وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها
كقوله لاملان جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل
من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة
والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير بعيد
نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر
يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما
تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب
وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وكم

اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قرئ يوعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب
بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر
ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز
ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا
يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من
في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب
حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي
اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده
من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة
قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي
عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب
بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من
العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله
ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤوه
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد
فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال
الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله
هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل
مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته
قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب
خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفافها
لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله او من الموت لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه
لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام
عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ لسقي الزرع او وهو
شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو
شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرا السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول

ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسبه حضر بجملته هذه وهو حاضر الفهم متفطن بمعنى ألقى بعقله
أو السمع منه **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** اللغوب
الإعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل ونزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض
في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذي وقع
من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود** فاصبر على ما يقولون على ما يقول اليهود ويأتون
به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر
على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا لربك
والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان وقيل التهجد وأدبار السجود التسبيح في أدبار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل
النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر
وقرئ وإدبار من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم
**واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج
إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير** واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم
لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ
اسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك **فإن قلت** بم انتصب اليوم **قلت** بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي
المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي إسرافيل ينفخ في الصور وينادي
أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن
لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض
من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم وقيل يسمع من كل
شعرة أيتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والجزاء
يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير وقرئ تشقق وتشقق بإدغام التاء في الشين وتنشق
على البناء للمفعول وتشقق سراعا حال من المجرور علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا
يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا
كنفس واحدة **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**
نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله وما أنت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت

داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت
بوال عليهم تجبرهم على الإيمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم إذا كان واليهم ومالك أمرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينتفع إلا به فهو الحث على الذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته **سورة والذاريات مكية وهي ستون آية**
**بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات
أمرا إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع** الذاريات الرياح لأنها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى
تذروه الرياح وقرئ بإدغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لأنها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو
على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا أي جريا ذا يسر أي
سهولة فالمقسمات أمرا الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة
بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وإسرافيل للنفخ وملك الموت
لقبض الأرواح وعن علي كرم الله وجهه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي
مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا
قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله
بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله
وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف الرياح **فإن قلت** ما معنى الفاء على التفسيرين
قلت أما على الأول فمعنى التعقيب فيها أنه أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها
فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثاني فلأنها تبتدئ
بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر إنما توعدون جواب القسم
وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية وإن الدين الجزاء لواقع لكائن
**والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم في غمرة
ساهون** الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير
مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لأن حلقها مطرق
طرائق ويقال إن خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي
وقيل حبكها صفاقتها وإحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما
أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن
السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الإبل إنكم لفي قول مختلف
قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر وأساطير الأولين وعن الضحاك قول الكفرة

لا يكون مستوياً انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير
للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كانه لا صرف اصلاً على الاول
هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان
يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول
مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان
يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب
وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك
عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل
والرأي ليسأل عن رسول الله فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من افك اي يصرف
الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضاً يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب
وقرئ يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلباً قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل
الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون
ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين
اي قتل الله في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار
يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون يسألون ايان يوم الدين فيسألون فيقولون
ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفاً لليوم وانما تقع الاحيان
ظروفاً للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر
دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحاً لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة
فان قلت فما محله مفتوحاً قلت يجوز ان يكون محله نصباً بالمضمر الذي هو يقع ورفعاً على هو يوم هم على النار
يفتنون وقرأ ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها
محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولاً لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلاً من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به
يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى
ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلاً من
الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ما مزيدة والمعنى
كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلاً ظرفاً ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون

هجوعاً قليلاً ويجوز ان تكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلاً من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه و
ارتفاعه بقليلاً على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما
اطعم نوماً غير تهجاع وقوله قليلاً ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم
بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقولهم هم يستغفرون
فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم
فيه فان قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه
كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيداً لم اضرب ولا تقول زيداً ما ضربت السائل
الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنياً فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي
لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات للموقنين وفي الارض آيات تدل على
الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهاداً
وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورة
من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الا
لوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها
ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة
في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما
رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقاناً مع ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون
وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما
تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن و
النطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة
المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل
للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون رزقكم هو المطر لانه
سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه
والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد
ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء وقرئ مثل ما انكم بالرفع صفة للحق

اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان جعلت
حديث الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا والضمير لما
ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع
البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه
كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته
فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف
فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة
فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض
انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجؤوه الى اليمين
قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه **هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما**
قال سلام قوم منكرون هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر
ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابراهيم خدمهم بنفسه
واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا عليه ظرف
بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد
مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما قال سلام عدل به الى الرفع على الابتداء
وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه
به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام
وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكر سلامهم للسلام الذي هو علم الاسلام او لانهم ليسوا من معارفه
او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال
الناس ومتكلمهم او كان هذا سؤالا لهم كأنه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم **فراغ الى اهله**
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام
عليم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من آداب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير
ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم البقر فجاء
بعجل سمين والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حث عليه فأوجس فأضمر وانما خافهم
لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا

... وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم
ذي العلم عليم يبلغ والمبشر به اسحق عند اكثر الاقاويل لانه بها لان البشارة صفة سارة لا هاجر وهي
امرأة ابراهيم وعن مجاهد هو اسمعيل **فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت**
عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم في صرة في صيحة من الصرير ومنه صرة القلم و
الباب ومحله النصب على الحال قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت
حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل
يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت بيديها وقيل ضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز
انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك عنه والله قادر على ما تستبعد
وروي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة مثمرة **قال فما خطبكم**
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك
للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لما علم انهم ملائكة
وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شأنكم وما طلبكم الى قوم مجرمين
الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة
من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل
انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح
لهم الضمير فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لانهما
صفتا المدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر
من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله **وتركنا فيها آية للذين يخافون**
العذاب الاليم آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء
اسود منتن **وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون**
وفي موسى عطف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله **مصراع**
علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في**
اليم وهو مليم مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه **فان قلت**
كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم **قلت**
موجبات اللوم مختلفة وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك
مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان

كأنهما اسم العشي والعشية وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا
جعلته كالرميم العقيم التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك ثم اختلف فيها فعن علي
كرم الله وجهه النكباء وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب الجنوب والرميم كل ما رم أي بلي وتفتت
من عظم أو نبات أو غير ذلك وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة
وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام
فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة
النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم
وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه
وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين وقوم بالجر أبو عمرو وحمزة وعلي أي وفي قوم
نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو واذكر
قوم نوح والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون بأيد بقوة والأيد
والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد وإنا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الإنفاق
وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ومن كل شيء أي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وأنثى
وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال
كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض
وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا
تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين ففروا إلى الله إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه
ولا تشركوا به وكرر إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع
إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله لا ينفع
نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين كذلك الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا
ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله ما أتى ولا يصح أن يكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها
فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا أتواصوا به
الضمير للقول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون
أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل

عليه فتول عنهم فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك
في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله
فإن الذكرى تنفع المؤمنين أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان أو يزيد الداخلين فيه
وروي أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا أن الوحي
قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من
رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل
العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت إنما أراد منهم
أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه
مريدا لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم يريد أن شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم
فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز في تجارة ليفيء ربحا أو
مرتب في فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز
وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملاك العبيد
فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وأنا غني عنكم
وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي المتين الشديد
القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة
أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرزاق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم إني أنا الرزاق
فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال
لنا ذنوب ولكم ذنوب ٭ فإن أبيتم فلنا القليب ٭ ولما قال عمرو بن شاس شعر
وفي كل حي قد خبطت بنعمة ٭ فحق لشأس من نداك ذنوب ٭ قال الملك نعم وأذنبه والمعنى فإن الذين ظلموا
رسول الله بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة
سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم من يومهم من يوم القيامة وقيل من يوم بدر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا والله أعلم ه

سورة والطور مكية وهي تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك
لواقع ما له من دافع الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور
الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الأعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا

لقيناه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب
مخصوص من جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور
المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم
وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله
والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر يقرأ
سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال
سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج
وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله تعالى
وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها
تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم
تعملون الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم
ويدفعونهم الى النار على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرئ يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار
وادخلوا النار دعا مدعوين يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا
يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني
ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران
الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما
يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي
هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم و
وقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين
خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين ومن قرأ فاكهون فقد جعل الظرف مستقرا ومن نصبه حالا جعل
الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت على قوله في
جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز
ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا
وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله شعر هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت
اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل

هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاء
ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب
وقرئ بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء
كل امرئ بما كسب رهين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء
منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين و
اتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين
وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب
ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم
وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه
خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء
الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعناهم ذرياتهم وذريتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر
وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم
وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء
بل عناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل
قرئ التناهم وهو من الت يألت ومن الات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يولت كآمن يؤمن
ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كأن نفس
العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها
وخلصها والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا
تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون امددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون
يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا
يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته فعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم
وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم و
الفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء
علماء وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا
احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر

على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه
لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا
عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله
واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقانا بالتشديد
عذاب السموم عذاب النار ونفحها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها
بهذه الصفة من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعني في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر
المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فما
انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن
او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون
مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم
طاغون وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من
حوادث الدهر قال أمن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه
لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير
والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي احلامهم عقولهم والبابهم [illegible] قولهم احلام
عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون و
كانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم
فان قلت ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلوتك تامرك ان نترك ما
يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا
صادقين تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم
ببطلان قولهم وانه ليس متقولا لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة
والضمير لرسول الله ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله
قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض
بل لا يوقنون ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الخالقون
ام هم الذين خلقوا انفسهم لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض
قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل اخلقوا من
غير اب وام ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان

مبين ام له البنات ولكم البنون ام عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او عندهم خزائن علمه
حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ومصلحته ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا
الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى
كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة
دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
ام عندهم الغيب فهم يكتبون المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك
في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او الى
كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او
المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون الكسف القطعة وهو جواب قولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا والمعنى انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب
مركوم تراكم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا يصعقون يموتون
وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق وان للذين ظلموا عذابا
دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون
عذاب القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم لحكم ربك
بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير
بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقرئ باعينا بالادغام حين تقوم من اي مكان قمت
وقيل من منامك ومن الليل فسبحه واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم وآثارها
اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه
ومن الليل صلوة العشاء وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة النجم احدى وستون وقيل اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى علمه شديد القوى النجم الثريا فانه اسم غالب لها قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء
او جنس النجوم قال الراعي فباتت تعد النجم في مستحيرة ٣ يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم

النجم يريد به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة او هوى اذا نزل او
النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد
كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته
وطلقها فقال رسول الله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان
اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف
عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه
الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم
وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان ❊ من يرجع العام الى اهله ❊ فما اكيل السبع بالراجع
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى
والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من
القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الا
جتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا
نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها
الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة
الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل
بالهند **ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى**
ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون
الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله احب ان يراه
في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء
في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله
فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال **شعر**
تدلى عليها بين سب وخيطة ❊ ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى قاب قوسين مقدار
قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ
قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع
ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده

خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من خزيمة اصبعا **فان**
قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين **قلت** تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت
هذه المضافات كما قال ابو علي **مصراع** ❊ وقد جعلتني من خزيمة اصبعا ❊ اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى
اي على تقديركم كقوله او يزيدون **فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى**
الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى
اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد
ما رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني
رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته
افتمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمري
ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى
كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا **شعر** ❊ لئن هجرت اخا صدق ومكرمة
لقد مريت اخا ما كان يمريكا ❊ وقال المبرد يقال مراه حقه اذا جحده وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين
ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ولقد رآه
نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج عند
سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول
تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى
بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة
وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون
عن الحسن وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنة المأواه اي ستره بظلاله ودخل
فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى تكثير وتعظيم لما
يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها
النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير
خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب **ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه**
الكبرى ما زاغ بصر رسول الله وما طغى اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او
يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى

والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري عجائب الملكوت
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى اللات والعزى ومناة أصنام
كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى
لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وروي عن
أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا
يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها
رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها
فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك ثم رجع فأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي
ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة
القدر كقوله وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية
والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم
ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم ألكم الذكر وله الأنثى ويجوز أن يراد أن اللات
والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن
لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة تلك إذا قسمة ضيزى إن هي
إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى
الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى
فعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد هي ضمير الأصنام
أي ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها
ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهي قولهم اللات والعزى
ومناة وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس
من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد
إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم
وتركوا ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أم للإنسان ما تمنى
هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمني

على الله في غاية البعد وقيل هو قوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة
لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي فلله الآخرة والأولى أي هو مالكهما فهو يعطي منهما
من يشاء ويمنع من يشاء فليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربهم
من الله وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع
إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له
فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما
لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ليسمون الملائكة أي كل واحد منهم تسمية
الأنثى لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى من علم أي بما يذكرون
وما يقولون وفي قراءة أبي بها أي بالملائكة أو بالتسمية لا يغني من الحق شيئا يعني أن إدراك الحق الذي هو حقيقة
الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى فأعرض عن دعوة
من تولى معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الدنيا ولا تتهالك على إسلامه ثم قال إن ربك هو أعلم
أي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفف على نفسك ولا تشقها فإنك لا تهدي من أحببت وما عليك
إلا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أي إنما يعرض عنه ولا يقابله إن ربك هو أعلم بالضال والمهتدي
وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا و
يجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقرئ لنجزي ونجزي بالنون فيهما ومعناه أن الله عز وجل إنما خلق العالم
وسوى هذا الملكوت لهذا الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب
ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى
الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم
من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كبائر الإثم
من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة وقيل
التي يكبر عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها
خاصة وقرئ كبير الإثم أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من
الجنون واللوثة منه وألم بالمكان إذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه قيل لقاء أخلاء الصفا لمام
والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله إلا اللمم من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله
لو كان فيهما آلهة إلا الله كأنه قيل كبائر الإثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبي سعيد الخدري

اللمم النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا
ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر
والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم ولا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء و
الطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم
من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا و
صيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل
الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة
وذكرها شكر افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبأ بما في
صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى اكدى قطع عطيته وامسك واصله
اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ومثله اجبل الحافر ثم استعير فقيل
اجبل الشاعر اذا افحم روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي
سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع
رضى الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه
وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل ومعنى يرى
فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء
او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله
باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج
كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى
به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره فيقتل بابيه وابنه وعمه و
خاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما
قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله
كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان
يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة
في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف
بالتخفيف ان لا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل ان وما بعدها الجر
بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى الا ما سعى الا سعيه فان قلت

اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم
ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه
لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب
عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار و
ايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى
الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى من نطفة اذا تمنى وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء
وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير اضحك
وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني
المقدر وان عليه النشأة الاخرى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى قرئ النشاة والنشاءة
بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة واقنى واعطى القنية وهي المال الذي
تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان
الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم
في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم
اظلم واطغى عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم
نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى
ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون
به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة
والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط
يقال افكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض
اي اسقطها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود فباي آلاء ربك
تتمارى هذا نذير من النذر الاولى فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله او للانسان على
ما ذكرت ونعدده نعما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن
من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين
الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله
اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة

بالآخرة وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأتها ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة
وهي على الظالمين ساءت الغاشية أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون
والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون
تضحكون بغير واو وأنتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي
أي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم
أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر انشقاق القمر من آيات رسول الله ومعجزاته النيرة
عن أنس رضي الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت قال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض
الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي
قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل
الأمير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر
قد انشق على عهد نبيكم مستمر مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا
تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم قد استمر مريره وقيل
هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ
المر المقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وقرئ وإن يروا واتبعوا
أهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل أمر مستقر أي كل أمر لا بد أن يصير إلى
غاية يستقر عليها وأن أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر
لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا
أو شقاوة أو سعادة في الأخرى وقرئ بفتح القاف يعني كل أمر ذو مستقر أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار
أو زمان استقرار وعن أبي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب
كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر
فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر
مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر من الأنباء من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو
أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع
للازدجار ومظنة له كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال

زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فإن قلت إن كانت ما
موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصيصها بالصفة
يحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي أو استفهام إنكار وما منصوبة أي فأي غناء تغني النذر فتول عنهم
لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم نصب يوم بيدع الداع أو بيخرجون أو بإضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها
والداعي إسرافيل أو جبرئيل كقوله يوم ينادي المنادي إلى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله
وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر خشعا أبصارهم حال من الخارجين فعل للاختصاص و
ذكره كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من
يقول أكلوني البراغيث وهم طيئ ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم ويقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم
على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الأبصار كناية
عن الذلة والانخزال لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الأجداث من القبور
كأنهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد وكالدبا
منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين إلى الداعي مسرعين مادي أعناقهم إليه وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم
قال تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا
مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر قبلهم قبل أهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا فإن قلت ما معنى
قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة
رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في
قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه
وطارت بقلبه وقرئ إني بمعنى فدعا بأني مغلوب على إرادة القول فدعا فقال إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا
مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه
الأمر وبلغ السيل الزبى فقد روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء
على أمر قد قدر وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما
وفجرنا الأرض عيونا وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض ونظيره
في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والأرض وقرئ الماآن أي النوعان من الماء السماوي
والأرضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربين من التمر برني ومعقلي قال لنا إبلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان
بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على أمر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة

ستوية وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح
أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان **وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان**
كفر على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها
بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد أراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون
النازيات بأكرع الجراد أراد ولو في عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع
والجواد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره
إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء لمن كان
كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا
الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرأ قتادة
كفر أي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء أي مجازاة **ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي**
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد
والوعيد فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه
ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه
وألجمه **شعر** وقمت إليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت أصنع • ويروى أن كتب أهل الأديان نحو
التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله أو إنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس**
كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر في يوم
نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات مستمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم
جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في أربعاء في آخر الشهر لا يدور ويجوز أن يريد
بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم
بأيدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم
أعجاز نخل يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهي
أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى
أجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية **كذبت**
ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أؤلقي الذكر عليه من بيننا
بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر أبشرا منا واحدا نصبه بفعل يفسره نتبعه وقرئ أبشر منا

واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام كان يقولون إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق
وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن
الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كأن بها سعرا إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب
فإن قلت كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا **قلت** قالوا أبشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا
أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا
إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم أألقي
الذكر عليه من بيننا أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة أشر بطر متكبر
حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة
من الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو
كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حذر وحذر وفطن وفطن وقرئ الأشر
وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض
وقد حكى ابن الأنباري تقول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم**
فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر
فكيف كان عذابي ونذر مرسلو الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم
وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري قسمة بينهم
مقسوم عليهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم أو للناقة وقيل
يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر
العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف **إنا أرسلنا**
عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم
لوط بالنذر صيحة واحدة صيحة جبريل والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما
يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار
أي الحظيرة **إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر**
حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما السحران فالسحر
الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحرين تذال وصرف لأنه نكرة ويقال
لقيته بسحر إذا لقيته في سحر بعينه نعمة مفعول له من شكر نعمة الله بإيمانه وطاعته **ولقد أنذرهم**
بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد
صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

ولقد أنذرهم لوط عليه السلام بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا أعينهم
فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا الباب ليدخلوا عليهم قالت الملائكة
خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون
إلى الباب حتى أخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة بكرة أول النهار وباكره كقوله
مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير
بكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي
بهم إلى عذاب الآخرة فإن قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها و
استيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن تقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات
لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة
عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير
الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في
كل أوان ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر النذر موسى و
هرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الإنذار بآياتنا كلها
بالآيات التسع أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم
يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
إن المجرمين في ضلال وسعر أكفاركم يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح
ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر
منهم أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله
فأمنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم
بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه
الآية قال عمر أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر
أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الأدبار أدهى أشد وأفظع والداهية الأمر المنكر الذي لا
يهتدى لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل والأسر وقرئ سيهزم الجمع في ضلال وسعر في هلاك ونيران
في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر
مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسا
بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على إرادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار و

وصقرته إذا لوحته قال ذو الرمة شعر إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل
وعدم صرفها للتعريف والتأنيث إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر كل شيء منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا
محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه
وما أمرنا إلا واحدة إلا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أراد قوله كن يعني أنه إذا أراد تكوين
شيء لم يلبث كونه ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر أشياعكم أشباهكم في الكفر من الأمم في
الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ما هو كائن مسطر في اللوح ونهر وأنهار اكتفى
باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار
فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق
من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو
إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو
سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه
إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما
عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن
مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول
زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه الشمس و
القمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما
وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول
والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في
انقياده فإن قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل
المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر
يسجدان له فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد قلت بكت بالجمل الأول واردة على

سنن التعديد الذي كرره الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال
الذي قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف
فإن قلت أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت إن الشمس والقمر سماويان
والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين
وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله
علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما الإنسان آدم وعنه محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء
والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه
ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان
وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما يوزن به الأشياء ويعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون
ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا مخفوضا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به
من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم أن لا تطغوا لئلا تطغوا أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا
بغير أن على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر
بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر
لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا
في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب
ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان والأرض وضعها خفضها مدحوة على الماء للأنام للخلق
وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما
يتفكه به والأكمام كل ما يكم أي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره
وجذوعه وقيل الأكمام أوعية التمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان
الرزق وهو اللباب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به
وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم
الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم
وفي مصاحف أهل الشام والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان
ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة
الأنام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار

فبأي آلاء ربكما تكذبان الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فإن
قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك كقوله تعالى من حمإ مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في
المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان أبو الجن وقيل هو إبليس والمارج اللهب
الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط فإن قلت فما معنى قوله
من نار قلت هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله
فأنذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر
بدلا من ربكما وأراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي
آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين أرسل البحر الملح والبحر
العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا
يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وقرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أي الله عز وجل
اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الأحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ
كبار الدر والمرجان صغاره فإن قلت لم قال منهما وإنما يخرج من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز
أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب
وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء
ونحوه لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات
الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والإكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان عليها على الأرض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن
الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والإكرام صفة
الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم
أو الذي يقال له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من
عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام وعنه عليه السلام
أنه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك فإن قلت ما النعمة في ذلك قلت
أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن فبأي
آلاء ربكما تكذبان كل من في السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض
ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا

ويدفع قوماً ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئاً وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيباً يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلم فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيماً ويسقم سليماً ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلاً ويذل عزيزاً ويفقر غنياً ويغني فقيراً فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلاً ولي ان اجزيه بواحدة الفاً فضلاً واما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم ايه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل وقرئ سنفرغ لكم اي الله تعالى وسأفرغ لكم وسيفرغ بالنون مفتوحاً ومكسوراً وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحاً ومضموماً مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايه الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهاً الا وجدوا الملائكة احاطت به شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان شعر

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعاً عطفاً على شواظ ومجروراً عطفاً على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظاً من نار ونحاساً فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان شبه عينيه بالمزادتين وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان انس بعض من الانس ولا جان اريد به ولا جن اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عنه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال التوبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فراراً عن التقاء الساكنين وان كان على حده فيؤخذ بالنواصي والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقاً جديداً وقرئ يطوّفون من التطويف ويطّوّفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه

خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا
لمكانك قال الشاعر ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب
فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي و
جنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما
وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله وزيادة خص الافنان بالذكر وهي
الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل
الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر
عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء
الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان صنفان صنف معروف وصنف غريب متكئين
نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين و
اذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان
قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان هل
جزاء الاحسان الا الاحسان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن
وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت و
بياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها
كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن
الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني لكل من احسن احسن اليه كل من اساء اسيء اليه ومن دونهما
جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة
فيهما عينان نضاختان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي آلاء ربكما تكذبان
نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان
على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله
جبريل وميكال او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة
رحمه

اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فيهن خيرات حسان فباي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك
ذي الجلال والاكرام خيرات خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال
فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق مقصورات
قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة
قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط
وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف و
رفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر يزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب و
قرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري
بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين
حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل
فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة
وقعت الواقعة كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه
قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت
اتوقعه اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا
وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في
تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها
وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه
في الخطب اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة
لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها
واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف
وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته

ما كذب نفسه فيما اخبرته به من الطاقة له والاقدام عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدق
اي اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع اخرين
اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقيا
يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا
وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ
خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم
ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة رجت حركت
تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس
الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال هباء غبارا منبثا متفرقا وقرئ منبتا اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت
وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت
قلت هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي ترفع وتخفض وقت رج الارض وبس الجبال
لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض
او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين
يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين و
فلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل و
لتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم بالبارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعدا ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقيا
مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال والسابقون
السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة
متكئين عليها متقابلين والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب
مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق
المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة
سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة تعجيب من
حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت
حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك
وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم
على والسابقون وابتدا السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في

مقابلة

مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من
العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم والثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية
بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان
الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم
الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما وقليل من الآخرين وهم امة محمد عليه السلام وقيل من الاولين من متقدمي هذه
الامة ومن الآخرين من متاخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي فان قلت كيف قال و
قليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون
من الاولين والآخرين جميعا فان قلت فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه
الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين
ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقو الامم اكثر
من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة موضونة مرمولة ومنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود
موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها
متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم
ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا
ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل
مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى و
خراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون
عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع
بعضهم بعضا لا يفرقونهم يتخيرون ياخذون خيره وافضله يشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور
عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف على ولدان وبالجر عطفا
على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم سلاما
سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها

إلا أن تقولوا السلام سلاما تسلمنا والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام
على الحكاية **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء
مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن
أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** السدر شجر النبق والمخضود الذي لا
شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب
والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له
ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحولها
فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله إلى
أعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء
مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير
أخدود لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة ولا تمنع عن متناولها
بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور
عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل
هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك
متكئون ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع
دل عليهن أنشأناهن إنشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن
أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة سألته عن قول الله تعالى إنا
أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللاتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا
على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك
قالت وا وجعاه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله
أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز
وقرأ الآية عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل أترابا مستويات في
السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا
مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين واللام في لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا **وأصحاب
الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك
مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**

في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان أسود بهيم
لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل
وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى
أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون
الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك و
الحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه
خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج أو آباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف **فإن
قلت** كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن **قلت** حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما
حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا مجموعون إلى ميقات
يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء
أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما **ثم إنكم أيها
الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم
فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون
أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** أيها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم
من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكر
على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل
الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الإبل التي
بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا
يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما
يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم
إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم **فإن قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين
وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليستا بمتفقتين من حيث
أن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب
الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم
كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ تمنون بالتخفيف فلعله تقييد وقوله تخصيص على التصديق اثبات الخلق لاسم وان كان المقصود منه
الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ذلك فالقضية التصديق كانهم مكذبون به واما البعث فلان من قدر على الابداء
لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة
بمعنى امناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه نحن قدرنا
بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون قدرنا بينكم الموت تقديرا
وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل
ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان
نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر
على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل
اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها ولقد
علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو
نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرأيتم الماء الذي تشربون ءانتم
انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون قرئ النشأة والنشاءة وفي
هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى افرأيتم ما تحرثونه من
الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ
الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم
الى قوله افرأيتم الاية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم
وقرئ بالكسر فظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على
ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم ذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء
ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون
غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا
حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ ءانا الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح
للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء اجاجا ملحا زعاقا
لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت
ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان
ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع

لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على
ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا
لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال
له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس
حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لا ارى فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة
في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب
عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب
للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك
بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء شعر اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرأيتم النار التي تورون
ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم تورون تقدحون
تستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل
الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجرتها التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها
وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة و
انموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من
حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
من قولهم اقويت منذ كذا ايام اي لم آكل شيئا فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر
ربك والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث
التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته
واما تعجبا من امرهم في غمط الآية وايادية الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
تنزيل من رب العالمين فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ
الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد
منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة
والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال
بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة
عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول

الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم المقسم به او بطلوعها في
اوقات مواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف
وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيما اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه
لقرآن كريم ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات
نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون مصون من غير
المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان
جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على
الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا عن ابي عمر وبعضهما الجنب
الى ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار
لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه
نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في
التنزيل كذا او نطق به التنزيل وهو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا أفبهذا
الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ
تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان
كنتم صادقين افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب
اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل
نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون
بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر ما مطرنا وفي المطر من
الانواء لان كل مكذب بالحق كاذب ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا
الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين
من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت
والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم
رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل
فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغها الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم

وكفركم

وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة
المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا
وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين
من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين
فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزل من حميم كقوله
هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا
الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات و
الارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ
المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شأن ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي
هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته
عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما
ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح
فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون
مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى
يوم القيامة ويميت الاحياء هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الاول هو القديم الذي كان قبل
كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناه الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية
والثالثة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى
فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات
الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا
حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه
وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل

من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السماوات والأرض وإلى
الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله و
رسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير مستخلفين فيه
يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها فإنما متعكم إياها وخولكم الاستمتاع بها
وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا
منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه أو جعلكم
مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينقل منكم إلى
من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى
ما تصنع قائما أي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ
وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه
وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان حيث ركب
فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول و
تنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ أخذ ميثاقكم
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور
وإن الله بكم لرؤوف رحيم ليخرجكم بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته لرؤوف
وقرئ لرؤف وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير
أن لا تنفقوا في أن لا تنفقوا ولله ميراث السماوات والأرض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره
يعني وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ
البعث على الإنفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من أنفق
من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال
والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة أولئك الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما
بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى
أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في أبي بكر
رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه

له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم
اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم القرض الحسن الإنفاق في
سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه فيضاعفه أي
يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا أضعافا من فضله وله أجر كريم يعني وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف
كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه
يوم ترى ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم
لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم
فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا
ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما وتقول لهم الذين
يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لأنهم يسرع بهم
إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم
بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى
أن يلحقوا بهم إنظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم
يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا
نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم فضرب بينهم بين
المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو الأعراف لذلك السور باب
لأهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لأهل النار
من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل
ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر فتنتم أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وغرتكم الأماني طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار حتى جاء أمر الله وهو الموت وغركم بالله
الغرور وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا
من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير فدية ما يفتدى به هي مولاكم قيل هي أولى بكم وأنشد
قول لبيد شعر فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها وحقيقة مولاكم محراكم

ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز
ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر
الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يأن للذين آمنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون من أنى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ ولم يئن من آن يئين
بمعنى أنى يأني والما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب
المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن
اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين
يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل
ونزل وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل
الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا
ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل
من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الا
طول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها
كما يحيي الغيث الارض ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم
ولهم اجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله
ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى
الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب
عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله
والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة
الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل
اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى

ان الله

ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان
يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اراد ان
الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور
عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات
انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث
عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل
الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم سابقوا
سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع
السماوات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا
وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وابسط ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض
لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة
المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه
يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال
فخور المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في
اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس او المصائب ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان
كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا يعني انكم اذا علمتم ان كل
شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة
لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان
وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا
وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة
ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا
يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله

كالاعتذار بما يتبع الشكر لم يأمرونها الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني بغير هو وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز لقد ارسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلتها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز قوي بقدرته عزيز بعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا باستثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والكتاب الوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم في صفة اصحاب رسول الله رحماء بينهم والرهبانية رهبتهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو

فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي جعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم كفلين من رحمته اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت

وزعموا ان من آمن من اهل الكتاب افضل واعلى عندهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم
نزلت وقرئ لكي يعلم ولكي لا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليتعلم بقلب الهمزة ياء وادغام
النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها ٢
حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام
فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا ان لا يقدرون في ملكه وتصرفه وانه لا
يخل بشيء من نبيه من يشاء ولا نبيا الا ابانا من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد
كتب من الذين آمنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير
قد سمع الله قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها
وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة
اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به
خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب
في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت له ان لي صبية صغارا ان
ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت
يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي
ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في
شانه ومعناها وان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله
قد سمع قلت معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها
وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور الذين يظاهرون منكم في
توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن
امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة
من ينصب والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا
تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات
وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الام
وكذلك ازواج رسول الله امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات

واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان
قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن
الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة
من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون
لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه
بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث
وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في
قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس
بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة وذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب
ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا
اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج
او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب
او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او ابي
او ام امرأتي او ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي
والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن
الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات
دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة
هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه
ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فلزم ايفاء حقها
فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي
قال لرسول الله ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد
حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزئ في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة
وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد

والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئا فإن لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجزئ فإن قلت فإن أعتق بعض
الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه أن يستأنف نهارا مس ليلا أو نهارا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة
وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وإن كان المس يفسد الصوم استقبل وإلا بنى فإن
قلت كم يعطي المسكين في الإطعام قلت نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي
رضي الله عنهما مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فإن قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر
عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها
على المساس وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف
الصوم إذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء فإن قلت الضمير
في أن يتماسا إلام يرجع قلت إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للأحكام
والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في
جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب أليم
إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين
عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد
يحادون يعادون ويشاقون كبتوا أخزوا وأهلكوا كما كبت من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق
وقد أنزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب
بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم أحد غير
مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم
يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رءوس الأشهاد أحصاه الله أحاط به عددا
لم يفته منه شيء ونسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وإنما تحفظ
معظمات الأمور ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا
يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير
حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى
ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الأهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم
مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون لأن نجوى يدل
عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فإن قلت ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة
قلت فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة

وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله
معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن
أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا
وقال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها
لأن كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل
النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والأحلام
ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال
وحكم به الاستصواب ألا ترى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها
إلى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل
على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة
إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب
على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله
بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله وأن يكون
ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا
على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما
يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ينبئهم
بالتخفيف ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان
ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا
رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ وينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول
حيوك بما لم يحيك به الله يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون
ما له إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يا أيها الذين
آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى و
اتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا
إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز

ان يكون الخطاب للمؤمنين اذا تناجيتم فلا تفعلوا كفعل المنافقين في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه ويروى دون الثالث
وقري فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان
بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم
وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله
قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم
الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على
الغزاة وقري ليحزن وليحزن يايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم و
اذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما
تعملون خبير تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا
وقري تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه
وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقري في المجالس قيل كان الرجل يأتي
الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقري في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض
عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا
ولا تفرطوا فيه يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما عملوا
وقري بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه
الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر
الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة
بشهادة رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال
والملك معه وقال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء
ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى
ذل ما مصيره وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال يايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة وآتوا

الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل
نجواكم كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل
به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا
مناجاة رسول الله بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بانه من اراد ان يناجيه
قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا
يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير
فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي
كرم الله وجهه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته
فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات ساءلهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه
فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي
منسوخة بالزكوة ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم
في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون وقري بالتاء والياء الم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم
عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله
من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا من اليهود
كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون
على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون
قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر ام لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وهم يعلمون
ان ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم
الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على
سوء العمل او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب
مهين وقري ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها

من المؤمنين وبين قتلهم صدوا الناس في خلال أمنهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في
الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم فلهم وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم
على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا
إن حزب الشيطان هم الخاسرون من الله من عذابه شيئا قليلا من الإغناء روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم
القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا فيحلفون به على أنهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون
أنهم على شيء من النفع يعني إنما لحقهم من حلفهم لكم فإنكم بشر يخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن
أرواحهم واستجلاب فوائد دنيوية وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى العلم بما يوعدون ولكن العجب حلفهم
عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى العلم بما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم
ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل
لتخلف الطمع في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله
ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون أنهم على
شيء من النفع إذ أحلفوا استطاق المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم
وقيل عند ذلك يختم على أفواههم ألا إنهم هم الكاذبون يعني أنهم الغاية التي لا مطلع وراءها في قول
الكذب بحيث استوت حالهم في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها
وساقها غالبا لها ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق أي
ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فأنساهم أن يذكروا الله أصلا
لا بقلوبهم ولا بألسنتهم قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك
في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز في الأذلين في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى
أحدا أذل منهم كتب الله في اللوح لأغلبن أنا ورسلي بالحجة والسيف أو بأحدهما لا تجد قوما يؤمنون بالله و
اليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون لا تجد قوما
من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض أنه لا ينبغي أن يكون ذلك
وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة
أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم

بقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد
شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه كتب في قلوبهم الإيمان
أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز
أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري أنه قال
كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور في الطواف فلما
عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي
نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما وروي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وذلك أن أبا
قحافة سب رسول الله فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله
لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وفي أبي بكر
دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما
تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفي عمر قتل
خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة و
الوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية أربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما
في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول
الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف
في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ولولا أن كتب
الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن
يشاق الله فإن الله شديد العقاب صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له
فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا
فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري
فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة
فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ليتجهزوا
للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن
خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم
وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم
فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر

وتعلقت طائفة بالجزية اللام في لأول الحشر تتعلق بأخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي
وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم
إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا
أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام
وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما
حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم
وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم
يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب
قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم
وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك فإن
قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم
الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة
إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم
وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم وقرئ فأتاهم الله أي فأتاهم الهلاك والرعب الخوف يرعب
الصدر أي يملؤه وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا
لاكتنازه وتداخل أجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض
والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا
يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها
أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من
جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة تحصنهم وتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب
فإن قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم
وكلفوهم إياه فاعتبروا بما دبر الله ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله
المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال بمعنى أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة
منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى
اختياره أنه أشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء أجلوا أو قتلوا
عذاب النار فهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة
على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل

ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما
نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها لأنه في معنى اللينة واللينة
النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة
ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين وقال ذو الرمة شعر
كأن قتودي فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها * وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها وفيه
وجهان أنه أصل جمع كرهن ورهن أو اكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما
فبإذن الله فقطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال
قطع النخل وتحريقها فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا
ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء
أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس
بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فإن قلت لم خصت اللينة
بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون
غيظ اليهود أشد وروي أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله
فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى
جوازه بحضرة الرسول لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما أفاء الله على رسوله
منهم جعله فيئا له خاصة والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الإفاضة من عرفات
ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى فما أوجفتم عليه فما أوجفتم على تحصيله
وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله
من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط
رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها
وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب لم يدخل العاطف على هذه
الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه
حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما
يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله كي لا يكون دولة بين

الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها متداولا بين الاغنياء
يتكاثرون بها او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الروسا منهم كانوا يستأثرون
بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة
اثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به
وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا
بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة بمعنى كيلا
يقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متداول بينهم غير مخرج الى
الفقراء وما آتيكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تطلبوه
واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله
والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله
قال نعم فقرأها عليه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من
الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون للفقراء بدل من قوله ولذي
القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله
ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل اولئك هم الصادقون في ايمانهم
وجهادهم والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا
يتبوأ الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان
مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان
فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه
او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في
دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه
مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته
يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها

خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا
وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان تكون
نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال شعر يمارس نفسا بين جنبيه كزة ... اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح
ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون
بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم جاءوا من بعدهم عطف ايضا
على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعد عام الحديبية الم تر الى
الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر و
لانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله و
المسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل
على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت
معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا
يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي
يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة
او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون رهبة
مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون
لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون
رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون
لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا
قوما اولي باس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته

خصاص

حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على قتالكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين
الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف
الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهما الجدار
بأسهم بينهم شديد يعني ان البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم
ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي
الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد
ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت
القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم
عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل
بدر في زمان قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل
الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه
خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما
بالرفع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه
قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى
جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا
والآخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس
النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كأنه قيل
لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا
ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار
واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى
لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فأراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم
هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة

واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب
الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه
بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا
يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هذا تمثيل وتخييل كما مر في
قوله انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة
قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك
اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحان الله عما يشركون الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب
عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح وقد قرئ
بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح
والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص
او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم
موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ
له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر
البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى
يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم الخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من
بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب
الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة
سألت حبيبي صلى الله عليه عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد
علي فاعدت عليه فاعاد علي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا
تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون
الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم
بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم
يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون روي ان مولاة لابي

عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها
أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد
ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحثت عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها
فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب
ابن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل
جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها
فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب
رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم
ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم
قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله
تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله
اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي احد المفعولين وعدوكم عطف على عدوي
والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت
تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا
فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم
انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف
لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي
صدره وافضى اليه بقشوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما
ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم
وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله
بسبب المودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم
او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان
تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي

ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف
ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا
مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا
الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم
ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم لهم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم
ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد
جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى
المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا
اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم
شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم
والله بما تعملون بصير لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون
اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم
ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه
اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه
وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا
ربنا انك انت العزيز الحكيم قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان
يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا
البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما
كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة
والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشأنكم
ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا على شيء فان قلت مم استثني قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله

اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون
بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله
وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا
قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له
كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا
قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله
تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم وتتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار
والايتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر
والاستغفار مما فرط منهم وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال
ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة لقد كان لكم فيهم اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ثم كرر الحث على الايتساء
بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله
لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من
التاكيد الا جاء به فلما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم
المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله تعالى منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب
الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم
فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة
ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله
بن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله
الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع
انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل فلا تبقى شبهة
للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل
اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين

قاتلوكم

قاتلوكم والمعنى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم
في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين
واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنهما امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت
فامرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا
اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط
مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين آمنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم
حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن
بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن
فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض
بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون
فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار
فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن
مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن
اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله مكرم
عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما
كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله وبين المشركين عهد ان لا يأتيك منا
امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها
وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها
رسول الله فحلفت فاعطي زوجها ما انفق وتزوجها عمر فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن

هن

قلت إذا ما بان الظن الغالب بما يفضي إليه الاجتهاد والقياس جاز وجرى مجرى العلم وكان صاحبه غير داخل
في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فإن قلت فما فائدة قوله الله أعلم بإيمانهن وذلك معلوم لا محالة
قلت فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن فإن
ذلك مما استأثر به علام الغيوب وأن ما يؤدي إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وأن تكليفكم لا
يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات إذا آتوهن أجورهن أي مهورهن لأن المهر
أجر البضع ولا يخلو إما أن يراد بها ما كان يدفع إليهن ليدفعنه إلى أزواجهن فيشترط في إباحة تزوجهن
تقديم أدائه وإما أن يراد أن ذلك إذا دفع إليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس
وإما أن يبين لهم أن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر وأنه لا بد من إصداق وبه احتج أبو حنيفة
على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة ولا يرى
العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها إلا أن تكون حاملاً ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من
عقد وسبب يعني إياكم وإياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما
من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي هي
المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما
أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ
ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر
في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم
حاكماً على المبالغة وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم
مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون روي أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به
من أداء المهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن
المسلمين فنزل قوله وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد منهن إلى الكفار وهو في قراءة
ابن مسعود أحد فإن قلت هل لإيقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه أن لا يغادر شيء
من هذا الجنس وإن قل وحقر غير معوض منه تغليظاً في هذا الحكم وتشديداً فيه فعاقبتم من العقبة وهي
النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء
هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا
من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري
يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها
فمعنى أعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه إذا قفاه لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه

وكذلك

وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تعقبتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم في القتال
بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القرآن فكانت
المعنى لكم أي كانت العقبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة
عن الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية
كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة
بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص و
كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة
يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ولا يقتلن أولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد
وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو
ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً لأن بطنها
الذي تحمله فيه بين اليدين ومخرجه الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به
من الحسنات وتنهاهن عنه من القبيحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف فإن قلت لو اقتصر على
قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله لا يأمر إلا بمعروف قلت نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في
معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم
فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه
يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفاً من رسول الله
أن يعرفها فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا
الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فقال
عليه السلام ولا يسرقن فقالت إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فما أدري أيحل لي أم لا فقال
أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وإنك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أوتزني الحرة
وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه السلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغاراً وقتلتهم
كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق
فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وقيل

في كيفية المبايعة فقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن أيديهن فيه وقيل صافحهن وكان على يده ثوب
قطري وقيل كان عمر رضي الله عنه يصافحهن عنه يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا
من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم
رسول الله وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء
وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح
حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعاء يوم القيامة

سورة الصف أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله
ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لم هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل
عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف
كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة
هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثهربعة بالهاء وإلقاء
حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وروي أن المؤمنين قالوا
قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم على
الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت
ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال
عمر لصهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فقال إنما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله
قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من
شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتا على تمييزه دلالة على أن قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه
ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله
أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض
السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقوله إن الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله عقيب ذكر مقت المخالف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار
فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم في
تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه إلى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في
الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا
لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان وإذ قال
موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم
والله لا يهدي القوم الفاسقين إذ منصوب بإضمار اذكر أو حين قال لهم كان كذا وكذا
تؤذونني كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود
إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون
في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا أني رسول الله إليكم وقضيته علمكم بذلك وموجبه تعظيمي
وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في
تعظيم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم بأن منع ألطافه
والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف فإن قلت ما معنى قد في قوله
وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه وإذ قال عيسى ابن مريم
يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى
لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال
تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم
وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين
قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء
يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فإن قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا
أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم قلت بل بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز
أن تعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن
معنى فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى
الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة

الذي يجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق
هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدّعي دعاه وادّعاه نحو لمسه والتمسه
وعنه يدّعى بمعنى يدعو ربه يريدون ليطفئوا أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام
زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في
لا أبا لك تأكيداً لمعنى الإضافة في أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام
بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره أي متم الحق
ومبلغه غايته وقرئ بالإضافة **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**
ولو كره المشركون ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الأديان المخالفة
ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى
لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام وقرئ أنجيكم بالتشديد **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم
إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك الفوز العظيم** تنجيكم وقرئ مخففاً ومثقلاً تؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله
وجاهدوا **فإن قلت** لم جيء به على لفظ الخبر **قلت** للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان
وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت
ووجدت **فإن قلت** هل لقول الفراء إنه جواب هل أدلكم وجه **قلت** وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة
والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم **فإن قلت** فما وجه قراءة
زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا **قلت** وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل
نفس إذا ما خفت من أمر تبالا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه
الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون
كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قبولها
له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم **فإن قلت** ما معنى قوله
إن كنتم تعلمون **قلت** معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه
أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون **وأخرى تحبونها نصر من
الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب
في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة وقال

الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل **فإن قلت** علام عطف قوله وبشر المؤمنين
قلت على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين
بذلك **فإن قلت** لم نصب من قرأ نصراً من الله وفتحاً قريباً **قلت** يجوز أن ينتصب على الاختصاص أو على
تنصرون نصراً وتفتح لكم فتحاً أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصراً وفتحاً **يا أيها الذين آمنوا
كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله
فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**
قرئ كونوا أنصار الله وأنصاراً لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث على النصرة عليهم
فإن قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله **قلت**
التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى عليه السلام حين قال
لهم من أنصاري إلى الله **فإن قلت** ما معنى قوله من أنصاري إلى الله **قلت** يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب
الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصرة الله وإضافة أنصاري
خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري إلى الله من
الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه
لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا
اثني عشر رجلاً وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك
ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها
ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا
مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة
رفيقه **سورة الجمعة إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما
في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و
يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** قرئت صفات الله تعالى بالرفع
على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجهاً كقول العرب الحمد لله أهل الحمد الأمي
منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من
أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولاً منهم بعث رجلاً أمياً في قوم أميين كما جاء
في حديث شعياء إني أبعث أعمى في عميان وأمياً في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله
وقرئ في الأمين بحذف الياء يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أمياً مثلهم لم تعهد منه قراءة

ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال
لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه
في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم عطف
آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم
يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين
يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين
لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه و
العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء
عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا
يهدي القوم الظالمين شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها و
لا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار
حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب
وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين
كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد عليه السلام ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها
ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة اي حفظوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ
يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
هاد يهود اذا تهود اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا
على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه
فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد
فما تمالك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا و

فان

في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة
بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا
بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ
زيد بن علي رضي الله عنهما انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء
فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اي ان الموت
هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم
ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة
تثقيل للجمعة كما قيل عشرة في عشرة وقرئ بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان
لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله
مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول على
دار له بالسوق يقال لها الزوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه
وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون
فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا
يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم
يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام
واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على
بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة
عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن
بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس
للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه
عليه السلام اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك
من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعنه ان لله في كل جمعة ستمائة الف
عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه

من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة
احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم وجعل يعاتب
نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع
لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود و
نفذت فيه الاحكام ومن شرطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او
جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام
او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز
وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي رح باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء
والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس
وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك هذا قال ابي بن كعب
فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو
والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس
السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه ان ابن عمر رضي الله عنهما
سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة
والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله
الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب
ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة فان
قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه
الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم
والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال
المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة
الاسلام ونكد الايام وذروا البيع اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم
الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم
واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويكثر البيع

والشرى

والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة
واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه
مقارب ذلكم فان قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت عامة العلماء على
ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة
في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق لهم
ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من
تجارة ولا غيرها عنه وان يكون همهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم
فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور
الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف
انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين روي ان اهل
المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر
واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا
اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم
عير فان قلت فاذا انفض الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع
اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى
فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا رأوا
تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ
انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين
سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم
فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون

في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في
الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا
يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في قوله
والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم
هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان
يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به
من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة
رضي الله عنه على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استخفافهم بالايمان وقرا الحسن
ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا انهم ساء ما كانوا
يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب من تعظيم امرهم عند السامعين
ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا
ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم
آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت
الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا
كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما
يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات و
نحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا
ونحوه قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا
بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن والثالث
ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي فطبع الله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون
وهم مستكبرون كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل
صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة
المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان
قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير
بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع

وما دام

وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رايتهم
وتعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب
او هو كلام مستانف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر
وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا
بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم
لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه
ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ
الاخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدا هم العدو اي هم
الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي
فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان
يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل
اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم لووا رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا
عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي
بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود
فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه ابن سعيد اجير لعمر يقود فرسه يا للمهاجرين
وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت
هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم
احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم
ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال
انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما
كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله
قال اذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك
الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون

شيئا كثيرا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم فدعاه رسول الله فقال لعلك غضبت عليه
قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه
فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة
اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال إن حبابا
اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل
حبيسا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك
فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد
نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت
وأمرتموني أن أزكي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد عليه السلام فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث إلا
أياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله
لا يهدي القوم الفاسقين سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به
لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل
عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا
كما في السحر وآلله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن
السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ينفضوا يتفرقوا
وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم ولله خزائن
السموات والأرض بيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم
ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن
الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب
الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن أعزه
الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من
الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي
لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون
أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون لا تلهكم لا تشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي

في تدبيرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع
بمنافعها ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في
حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله
عن ذكر الله وإيثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم
حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال
عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنفقوا مما رزقناكم
من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين
من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل أن يأتي أحدكم الموت من قبل أن يرى دلائل الموت
ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على
المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان
الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن
يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو
رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا
يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل
الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة لولا أخرتني وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي إلى أجل
قريب إلى زمان قليل فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه
قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب حمله على اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على أنا
أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ولن يؤخرها نفي للتأخير
على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما
لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة
إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك
على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها
منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن آت بالكفر

وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو
الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح
وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية و
منكم مؤمن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الله الحكيم انه اذا خلقهم
لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق
فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة
فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل
انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا
ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه
الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها خلق السموات
والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة
وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه
مصيركم فجزاكم على الشكر والتفريط فيه فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله
وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته
انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة
تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض
الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن
غير خارجة عن حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في
مراتب الحسن منها فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت
الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه
ثم بعلمه بذات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى
ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل
من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران

من العباد ولنعمهم الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم
الخطاب لكفار مكة ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما
اعد لهم من العذاب في الآخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم ابشر يهدوننا انكروا ان يكون
الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان
قلت قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت
معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير الزعم ادعاء
العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى
مفعولين تعدي العلم قال ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزها قائم مقامهما والذين كفروا اهل
مكة بلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يعني برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالنون
فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم
يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم
في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا
سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان
نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده
من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة
ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في
الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة
يهدء
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم الا باذن الله الا بتقديره ومشيئته كانه
اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع
عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع

او منصوب بنزع الخافض ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر
ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون
ويهد قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه يطمئن ويهدا ويهدن على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر
فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب
عليه ان يبلغ ويبين فحسب الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث
لرسول الله على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله
غفور رحيم ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا
يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد
جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا
عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين
لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا
الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة
وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه
هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم
والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما
في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما
ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما فاتقوا
الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به و
تنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا
خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه

الامور

الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ان
تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما
شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب و
كذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة سورة الطلاق مدنية وهي احدى
عشرة او اثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين
بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله
يحدث بعد ذلك امرا خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي عليه السلام امام امته وقدوتهم
كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه
ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد
جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة
الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن
لعدتهن وطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا
احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة
وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة
في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق
امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة
وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق
سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت
والشافعي يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي عن النبي

أنه طلق امرأته ثلاثا [illegible] فقلت
يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا قال إذن عصيت ربك وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان
لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف
فإن قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل
كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف تفرق عليهن الثلاث في الأشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق
للسنة إلا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة إلا واحدة ولا يراعى الوقت فإن قلت هل يكره
أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة فإن قلت قوله
إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر
والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم
للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما
قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض وأحصوا العدة
واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن
من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن
من حيث السكنى فإن قلت ما معنى الجمع بين إخراجهم وخروجهن قلت معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا
عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن
إذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء
وكسرها قيل هي الزنا يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز
يسقط حقهن في السكنى وقيل إلا أن يبذون فيحل إخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل
خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه الأمر الذي يحدثه أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها
ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن
وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن
بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله
بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا فإذا بلغن أجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة
والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها
ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها وأشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب

إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة
وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت
الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم لله لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود
له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على أنفسكم ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله
يجوز أن يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن والأبعد من
الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله
له مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه
من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال
لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد
عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال إني لأعلم
آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك
الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما
أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في
بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية
بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره
بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله قد جعل الله خبر إن وبالغا حال قدرا تقديرا
وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق
ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن
حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له أجرا روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى
إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ
اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت
هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر

تخصيصه لدلالة ما ذكره عليه اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان
ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها
زوجها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة
يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروي أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره
ويحلل من عقده بسبب التقوى ذلك أمر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل
بما أنزل الله من هذه الأحكام ويحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة
على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم أسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى
أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات
فقيل أسكنوهن فإن قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال
قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه فإن قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة
وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة إلا
السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت
طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى و
النفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من إنزال
من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقي
من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه فإن قلت فإذا كان كل مطلقة
عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن قلت فائدته أن
مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فإن
قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها زوجها قلت مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع
الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد
موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها فإن أرضعن لكم يعني هؤلاء

المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن أجورهن
حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن
ويجوز عند الشافعي الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا
أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات بمعروف بجميل وهو المسامحة
وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه تعاسرتم
فسترضع له أخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة
كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له
أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا لينفق كل
واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة قدر
سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه
ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا
نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله
يا أولي الألباب عتت عن أمر ربها أعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء و
المناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال
ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك
لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان وقوله أعد الله لهم
عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك
يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها
عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما
عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا
يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله
له رزقا رسولا هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر
فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما
لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله

وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا
على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله أن ذكر
رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي ليحصل لهم ما هم
عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال و
التبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون وقرئ ندخله بالنون قد أحسن الله له رزقا فيه معنى
التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل
الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما الله الذي خلق
مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل ما في
القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء
كذلك والأرضون مثل السموات يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن
قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من
عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين
خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك
والله غفور رحيم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي
فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم
تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر قال لها لو كان في
آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في
الجنة وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك
ريح المغافير وكان رسول الله يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من
العسل وتبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل
لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة
والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله
مولاكم وهو العليم الحكيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في
أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقها

وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام
لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الألى فإن قلت ما حكم تحريم الحلال
قلت قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم
طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار
فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب
دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب
إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى
الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين و
عن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان
مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا
بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و
ما لم يحرمه الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله أنه قال لما أحله
الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم
ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى و
حرمنا عليه المراضع أي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين فإن قلت
هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله أعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم
سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة
وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم وإذ أسر النبي إلى بعض
أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من
أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير بعض أزواجه حفصة والحديث الذي أسر إليها حديث مارية وإمامة
الشيخين نبأت به أفشته إلى عائشة وقرئ أنبأت به وأظهره وأطلع النبي عليه على الحديث أي على إفشائه
على لسان جبريل وقيل أظهره الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان
ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما
صنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل المعرف
حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك
بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها فإن قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها

نقصه قلت ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرض عنه وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة فلما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ذكر النبأ كرر في تضعيفه إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانه عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الأنبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فإن قلت صالح المؤمنين واحد أم جمع قلت هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع فيه واحد كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السماوات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالح المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه فإن قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله أعظم وأعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتظهرا عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم يكن في هذه الأمة سياحة إلا الهجرة فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن

له وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فإن قلت لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار قلت لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه ما أمرهم في محل النصب على البدل لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم فإن قلت أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فإن قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين قلت الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير توبة نصوحا وصفت
التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على
طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد
الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع موطنين
أنفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة
اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة و
للفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله
كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل
من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار
وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة
لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون
الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة
من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور
أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا
وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أي ذات
نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له عسى ربكم إطماع من الله لعباده
وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك
منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي
يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر
كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض
بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على
الصراط أتمم لنا نورنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين إشفاقا وعن الحسن الله
متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة
لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه
تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا
فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا **فإن قلت** كيف يتشفعون والمؤمنون آمنون أمن يأتي آمنا

آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب **قلت**
أما الاستشفاع فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين الأمن وأما التقرب فلما كانت حالهم
كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين**
واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة
والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود
عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بإفشاء أسرارهم **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط**
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا
النار مع الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم
من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن
عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان
المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين
لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما
أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها
من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي**
عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومثل حال المؤمنين في أن وصلة
الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع
كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا
والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي
المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على
أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما
زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط
أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء
حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره **فإن قلت** ما فائدة قوله من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل على
وجود الصلاح في الإنسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من
عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت
بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانة لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن

فا سواء عليهم مجمع الناس عند الناس لحق بسبب الوصلة بغيره **فان قلت** ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما
وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه
ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا
يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية
بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع
رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على
جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل
لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب
في الشمس فتظلها الملائكة **فان قلت** ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة **قلت** طلبت القرب من رحمة الله
والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة
وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش
بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا
من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل
من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فانج نجي ونجيتهم فنجاه ونجي ومن معه من المؤمنين ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين **ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ
في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج جيب
الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية
للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة
يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه **فان قلت** فما كلمات الله وكتبه **قلت** يجوز ان يراد
بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره وسماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد
جميع ما كلم الله ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى و
بالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل **فان قلت** لم قيل من القانتين على التذكير **قلت** لان القنوت صفة تشمل
من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت
من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال

كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كفضل الثريد وفيما يروى عن
عائشة قالت لرسول الله كيف سمى الله المسلمة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمهما
قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة حديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من
الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسميت آسية وقد قرن بينها وبين مريم في
التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للصنع امارة تنم عليه وكلام رسول الله احكم واسلم من ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا **سورة الملك مكية وهي**
ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم
احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل
تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحياة ما يصح بوجوده الا
حساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى
خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم
الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر **فان قلت** من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا
بفعل البلوى **قلت** من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت
علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا
فان قلت اتسمي هذا تعليقا **قلت** لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك
علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا
بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق
وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك
اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في
طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على
العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه
البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين

عقيبه تقدم لابتدائها يتبع الى الغرض المسوق له الآية ام وهو التعريض بالتقلب الذي لا يعجزه من اسباب العمل
المنقولة من تاب من اهل الاساءة طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق
وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين
واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا
تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا
يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت
هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن
تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي
يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق
به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت
به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال
فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن
متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك
بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة
الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد
فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم
لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك
اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة
الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده الى ان يحسر بصره من طول المعاودة
فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين و
اعتدنا لهم عذاب السعير الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم
المصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا
سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك انا
جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها
في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات
يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض
في السماء نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما

يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب
لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار
ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد عذاب
الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا
لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون
مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح
الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها
او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق تفور
تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا و
يتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه و
يجوز ان يراد غيظ الزبانية الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم و
خزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في
ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب
السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار
بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قبله كما تزعم المجبرة وانما
اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال من
المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم يأتكم
اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله
انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية
ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل
لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متأملين و
قيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا
على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن
سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة
المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين

منهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقاً قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعداً لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك
لا ينفعهم **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**
ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما ثم إنه علله
بأنه عليم بذات الصدور أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم أنكر أن لا
يحيط علماً بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء وحاله أنه اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما
بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوباً بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم
بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد فنبه الله على جهلهم **فإن قلت**
قدرت في ألا يعلم مفعولاً على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا
جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالماً من هو خالق لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم
قلت أبت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لأنك لو قلت ألا يكون عالماً من هو خالق وهو اللطيف
الخبير لم يكن معنى صحيحاً لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم
ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**
وإليه النشور المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق
شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم
يترك شيئاً وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك في جبالها
فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم **أأمنتم من في السماء**
أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف
نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير من في السماء فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء
لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني
أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل
لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول
لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ
بالياء كيف نذيري أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم **أولم يروا إلى الطير فوقهم**
صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند
طيرانها لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن **فإن قلت** لم قيل ويقبضن
ولم يقل وقابضات **قلت** لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء و
الأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما

طاري

هو طارئ غير أصلي بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح
ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى
منها الجري في الجو إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب **أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم**
من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو
ونفور أم من يشار إليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه أم
من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وعلى هذا التقدير يجوز أن يكون إشارة إلى جميع
الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق
ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق
لثقله عليهم فلم يتبعوه **أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم قل هو الذي**
أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم
في الأرض وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله
وإنما أنا نذير مبين يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح
السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعاً ولا يتقن نحوه إلا حملة كتاب سيبويه وإنما أكب من
باب أنفض وألأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب
وقشع انكب وانقشع **فإن قلت** ما معنى يمشي مكباً على وجهه وكيف قابل يمشي سوياً على صراط مستقيم **قلت**
معناه يمشي معتسفاً في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه مكباً
فحاله نقيض حال من يمشي سوياً أي قائماً سالماً من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف
المعتسف الذي يخبط هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق
فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له
وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على المعاصي فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي
عني به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون فلما رأوه الضمير للوعد
والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكاناً ذا زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه
من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء أي تطلبون
وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض
الزهاد أنه تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري

انها لوقادة لمن تصوّر تلك الحالة وتأمّلها قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه
توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين
كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى
الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما
تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال
للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان
اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة
عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن
يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر مفعول
آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا
ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض عن ابن الكلبي لا تناله الدلاء
وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال يجيء به الفؤس والمعاول فذهب
ماء عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما
احيى ليلة القدر سورة النون مكية وهي اثنان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون
وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع
لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين
وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان
جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل
علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما
له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها
الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز
ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وتسطيرهم
ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما
يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك
ضرب

زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال
ما انت مجنونا منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي والمعنى
استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل و
الشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر
ويبصرون بايكم المفتون وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير
ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل
ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن
مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
وعن عائشة ان سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن
الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون
انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم
الجنون او بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون
غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين
ودوا لو تدهن فيدهنون انه ربكم هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء
وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم
على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبدوا الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين
وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به
الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى
ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال
سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف مهين
هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى
عليه آياتنا قال اساطير الاولين حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف
ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي
والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية
الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم

والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب **شعر** تشببي تشبب النميمة * تمشي بها زهرا الى تميمة
مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال
مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم
وللحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث
وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده
اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب
والنقائص زنيم دعي قال حسان وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد
دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت
هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية
ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرا
الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة
من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال متعلق بقوله
ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان
يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ ءان كان على الاستفهام
على الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبير عن نافع ان كان بالكسر والشرط
للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى
ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي في قوله لعله يتذكر **سنسمه على الخرطوم** الوجه اكرم موضع
في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه
الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم
انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف
بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله اكرموا الوجوه
فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة
مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف
فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم

وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها
السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم **انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ
اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم
فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين** انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليه
كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وكان يأخذ منها
قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه
القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات
قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف
خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في
الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله **فان قلت** لم سماه استثناء وانما هو شرط **قلت** لانه يؤدي
مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء
او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم
الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا
فرغه وقيل الصريم الرمال ان اغدوا بان اغدوا او ان مفسرة **فان قلت** هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان
الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى
الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي
وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرا ابن مسعود بطرحها
باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه
من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك هاهنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل
اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على
المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على
النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم
وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان
مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها
فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام
وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على

حنق وغضب بعضهم على بعض لقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال
اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط
قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا
على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان **فلما رأوها
قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا
كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا
منها انا الى ربنا راغبون** قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا
من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن قوم محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا اوسطهم
اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل
لكم لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك
اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها
قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم
الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في
معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن
الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في
ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوه ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف
وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر
ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا
راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه **كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون**
كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد
واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا
وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق
فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا **ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم**
عند ربهم اي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان
الدنيا **افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما
تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم
ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين** كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة

حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن
معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا
فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا
الحكم الاعوج كأن امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك
الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون
ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله
لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة
متناهية في التوكيد **فان قلت** بم يتعلق الى يوم القيامة **قلت** بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم
علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان
يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه
من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ايهم بذلك زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم
المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه و
يذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم
عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به **يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
وهم سالمون** الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة
وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء
فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده
مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي
غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون
ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة
ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن
فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل **قلت** للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله
يوم يدع الداع الى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة

خرج من ظلمات الفعل وجاوزت احدهم ما بينهم حتى [illegible] والآخر [illegible]
[illegible] هذا العلم علم [illegible] عظم ساقيه وقرئ يوم تكشف بالتاء وتكشف على البناء
للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن
ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل
فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان
كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم
اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة
واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا
على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما
فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون** يقال ذرني واياه يريدون كله الي
فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق
له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله
وتهديدا للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج
الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من
حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم
وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة
والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر
باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه
وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في
صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك
المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك
عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين** لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى في
بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغا[ضبة]

فتبتلى

فتبتلى ببلائه وحسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تداركته وقرأ
الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد
سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق
للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف
الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى
الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من
ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من
الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه **وان
يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر
للعالمين** ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى
ويقال زلق الرأس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم
ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي
نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا
في موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا
يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله مثل
ذلك فقال لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ
هذه الآية لما سمعوا الذكر اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون
حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر
وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه
الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم **سورة الحاقة وهي مكية احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية** الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب
فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة
من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها
ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه
اهول لها وما ادراك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم
والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع

على الابتدا وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسما
بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما
حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد
في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة
فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح
صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر
فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها
بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل
عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفينة
من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان
فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم
يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية الحسوم
لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما
نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا
لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب
بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له
اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي شعر ففرق بين بينهم زمان
تتابع فيه اعوام حسوم • وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي
ايام العجوز وهي اخر الشتا واسماوها الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي
الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شا فيها في مهابها او في الليالي والايام وقرى اعجاز نخيل من
باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه وقرى ومن قبله
اي ومن تقدمه ويعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا العظيم رابية شديدة زائدة
في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشي يربو اذا زاد ليربي في احوال الناس انا لما طغى الماء

حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في
سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان
نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المومنين واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة
اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد
وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشي في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لعلي عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيا بعد وما
كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة
ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد
الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين وقرى وتعيها بسكون العين
للتخفيف شبه تعي بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل
الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي
النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي
عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت
جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة
او بقدرة الله من غير سبب وقرى وحملت بحذف الحمل وهو احد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الا
رضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهبا منبثا والدك ابلغ من
الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام
اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكا ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي
يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيمة واهية مسترخية ساقطة
القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله
فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة
الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا
مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية اي ثمانية منهم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم باربعة آخرين
فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم و
هم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة
سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد
قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم
هم ثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون
الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة شبه ذلك بعرض السلطان
العسكر ليعرف احوالهم وروي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج
وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة
وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا
واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فاما تفصيل للعرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى
خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب
العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه
قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه
وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها
في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرا جماعة باثبات
الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن
الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت راضية
منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل
الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني
والقصور والاشجار دانية ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او
هنئتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام
الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله و
روي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت

اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم فكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من
اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس
له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون الضمير في يا ليتها للموتة
يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او
اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت
وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شي اغنى عني ما كان لي من اليسار
هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
الاسود بن عبد الاسد وعن فناخسرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب
القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه بطلت
حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا
يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه
اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف
بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في
تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها
افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين ما بين الغل و
التصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل على طريق الاستيناف
وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين
دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر
الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل
اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس
عليهم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا
نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى
على بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسال
حميم حميما والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل الخاطئون
الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون

بأبدان الكفرة يأكل الخاطئون من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب وعن ابن عباس ما الخاطئون كلنا نخطو وروي عنه ما الخاطون ... الاسود الدؤلي ما الخاطئون انما هو الخاطون ما الصابئون انما هو الصابون ويجوز ان يكون الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين** هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه اي هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرا ابن السماك تنزيلا اي نزل تنزيلا والرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن **ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين** التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول وقيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين **فسبح باسم ربك العظيم** فسبح الله بذكر اسمه العظيم

وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم **فان قلت** بم يتصل قوله للكافرين **قلت** هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين **فان قلت** فقوله من الله بم يتصل **قلت** يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **فان قلت** بم يتعلق قوله فاصبر **قلت** بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر **انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما** الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا

في تدبرنا غير بعيد تجولنا ولا مستغرب قال الراغب التقييد المستبعد من الامكان وبالقريب المتيقن نصب
يوم تكون نصبا بما يكيل او لا يتخذ بدل من فيه ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او هو بدل
السماء كالمهل كان كسير او من بدل عنه في يوم يقوم عليه بواقع كالمهل كدردي الزيت او عن ابن
مسعود كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح
ولا يسأل حميم حميما لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احدنا يشغله عن المسألة يبصرونهم
يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن
في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى
يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا
وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك
ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت
هو كلام مستأنف كانه قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم
لم يتمكنوا من تسائلهم فان قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل
حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم وقرئ يومئذ
بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه
بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها
او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء ومن في الارض
وثم لاستبعاد الانجاء يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك
وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب
ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه
الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر
بعد خبر لان او خبر لظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتأنيث لانه في
معنى النار ونصب على التهويل اي هي نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على
الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد و
تدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
تأبى اللهوبطيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر
يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله

فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعا الزبانية
وقيل تدعوا تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى
عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ومنع حق الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين
وزهى باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون اريد بالانسان الناس
فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله
ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس
والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض
جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول
عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه
حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه
استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا
جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع فان قلت
كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها
لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه
وان قل وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها و
مواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام
يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة
يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف
عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون
من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مأمون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة و
الاجتهاد ان يأمنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهاداتهم وبشهادتهم و

والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها
وفي زويها تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب
يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون كان المشركون
يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون
ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك
مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت شعر ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا
وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا
خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون
للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اي وجه دل هذا الكلام على انكارهم البعث
قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك
قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق
على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم
مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفي اشعارا
بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل
معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان
والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون و
يخرجون من الاجداث سراعا بالاظهار والادغام نصب ونصب وهو كل ما نصب وعبد من دون الله
يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية
تسع او ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو
كنتم تعلمون ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه

بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان في الارسال معنى القول و
قرأ ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول فان قلت كيف قال ويؤخركم
مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة
وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله
وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك
الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتأخير
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر
لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ليلا و
نهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى
على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا لتغفر لهم
ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه سدوا
مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم
لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا واخذتهم العزة
من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فان قلت ذكر انه
دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلاث دعوات مختلفات
حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون
والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع
بين الاسرار والاعلان ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم انهارا ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين
اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به
نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر
دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا امرهم بالاستغفار الذي
هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة
والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى تحبونها

نصرا من الله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما
أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وقيل لما كذبوه بعد
طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم
إن آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار
فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الا
ستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال استغفر الله
وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن
صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية والسماء
المظلة لأن المطر منها ينزل إلى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله إذا نزل السماء بأرض قوم
والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال
جنات بساتين **ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات**
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما
والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر
لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم أطوارا في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال
هذه وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أي تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم
علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة
العقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تخافون لله عاقبة لأن
العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب من وقر إذا ثبت واستقر نبههم على النظر في
أنفسهم أولا لأنها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة
على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السماوات والأرض والشمس والقمر فيهن أي في السماوات وهو في السماء
الدنيا لأن بين السماوات ملابسة من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن
كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أن الشمس والقمر
وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض وجعل الشمس سراجا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر
أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس
ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور **والله أنبتكم من**
الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا استعير الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله للخير
وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه

قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض
المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم
القيامة وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة **والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها**
سبلا فجاجا جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفتحة
قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا
كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا واتبعوا رؤساءهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد وارتسموا
ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الأصنام وجعل أموالهم وأولادهم التي لم تزدهم إلا وجاهة ومنفعة
في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتبيينا
وإبطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير
راجع إلى من لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش
الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم إلى عبادة رب نوح
مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال
ولا تذرن ودا كأن هذه المسماة كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم
وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق
لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي أسماء رجال صالحين وقيل من أولاد
آدم ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال
لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة
ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ
الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا
منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وإما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته
أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد
أضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليس
بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز أن يكون
للأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس **فإن قلت** علام عطف قوله ولا تزد الظالمين **قلت** على
قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال
رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا

قال الكفور لكذا قال الزبد يوحى للصلوة وصلى في المسجد فحكى قوله سقطوا فالحقوا بما على صاحبه فان قلت
كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف
لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز
ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا
فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم
النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا
بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت
كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب
لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ
خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة
الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه
ولانه كائن لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير
اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير
النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من
دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا قال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا
تزد الظالمين الا تبارا ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام و
قيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا
لكان دوارا فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه
اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره
الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا من سيفجر و
يكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه
شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرا الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما
وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين

والمؤمنات تبارا هلاكا فان قلت ما ذنب صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب
ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب
الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون بتكرير قوله عليهم يهلكوه مهلكا وقليلا وصيدهم
سادر ... وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام
نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام
سورة الجن وهي ثمان وعشرون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه
تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا قرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلب الواو
همزة كما يقال اعد وازن ووقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني
في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه
فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما
كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا
على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول
سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم
اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما
قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة
معانيه قامت فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن
اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان والضمير في به للقرآن
ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا ولن نعود
الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره
جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا البقرة
وآل عمران جد فينا اي عظم في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو
الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد
لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا
على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم
لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه

ذا اتخاذه صاحبة وولدا لما استعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا
ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا سفيههم ابليس لعنه الله وغيره من مردة الجن والشطط
مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط
ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن
يفتري عليه ما ليس بحق وكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم وقرئ
ان لن تقول كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقوّل وضع
كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون ن
برجال من الجن فزادوهم رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم
كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ
بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس
فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا كما
ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم
لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا
السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف
قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع فقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه شعر
وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها
والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه
لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفرد في معنى الرجال والركاب
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والرصد مثل الحرس
اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم
من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا
له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح و
جعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم
حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد ذكر
في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
وقال اوس بن حجر شعر فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا
وقال عوف بن الخرع يصف القوس شعر يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة
ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في
الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر
من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله
نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا هذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد
حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم
ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من
عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا
وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون
ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح
غير الكاملين فيه او ارادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة
مختلفة كقوله او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما
عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة
الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها
على معنى التقطع والتفرق في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار
ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب وانا لما سمعنا
الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن و
ايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخل الفاء
ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب
ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل
ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون
غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا

ولا رهق ظلم احد ولا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله
عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى
الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا القاسطون
الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في
قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه
سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا
يرى للجن ثوابا ان الله تعالى اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا
رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا
وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو
استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم
يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء
الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه
كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي
كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم
فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران
النعمة عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ نسلكه بالنون مفتوحة ومضمومة
اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار و
ايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا
اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد
المعذب اي يعلوه ويغلبه ولا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح
يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وان المساجد من جملة الموحى وقيل
معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد
لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل
المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة

اذا دخلتم المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال عليه السلام امرت ان اسجد
على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود وانه
لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا عبد الله
النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما
كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله
ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام عبد الله يدعوه قام يعبده يريد
قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين
تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم راوا
ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في
عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين
لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا
جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على
هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرا وانه بالكسر جعله من كلام الجن
قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال انما
عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذاك مما
يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ببدع
ولا مما يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد
ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ضرا
ولا نفعا اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم
انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل الا
بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي
الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراده بسوء من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره
منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا
وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل الا بلاغا
بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا في ان لا ومعناه ان لا

ان لا اجير منه ... كقولك اني لا املك الا ما ... عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ و
الرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي
ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني
قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فان له
نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على
معنى الجمع في من فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على
انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا راوا ما
يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا
واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده
كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون **قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل**
له ربي امدا قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله
قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما راى في اخفاء وقته
من المصلحة فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما
ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا**
من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله
الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء
وادخله في السخط فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة
يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي اليه
وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان
قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء ووحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على
المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة و
النقصان وذكر العلم في قوله كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن

عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما
عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى
احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا و
كذب به عتق رقبة **سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم**
يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القران ترتيلا
المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر و
قرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله
وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة
فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال
في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة **شعر**
وكاين تخطت ناقتي من مفازة ٭ ومن نائم عن ليلها متزمل ٭ يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في
معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل
وفي امثالهم **شعر** اوردها سعد وسعد مشتمل ٭ ما هكذا تورد يا سعد الابل ٭ فذمه بكسائه وجعل
ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة
في الله لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا
له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم
وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا
ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة
رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نائمة
ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا
صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام و
بوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن
عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل
بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي
الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم
اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف
الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت

نصفه بلا تعيين قليلا او كثيرا فخيره بين ان يقوم النصف بتمامه وبين ان ينقص منه او يزيد عليه

الزايد عليه والنازل عن نصف النصف يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه

نصفه بدل من الليل او من قليلا والمعنى قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه على البت لجميع القيام ونحو ان يتعلق الا قليلا بالنصف

فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او اقل منه قليلا ليكون التخيير فيما وراء

النصف فيه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى

نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع

نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث

فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة

رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات

الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة

وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل

حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخصيص

في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين

الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان

وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة

حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله فقالت لا كسردكم

هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقاري

انا سنلقي عليك قولا ثقيلا هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر

والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها

امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة

التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه

ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة

رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن

الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ان

ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها

الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة مصدر

من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رضي الله

عنها رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت

الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل

كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منها وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان

يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هن ناشئة الليل هي اشد

وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ

قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع و

الاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد وطأ

بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار من

قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن

انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب

واهيأ واحد وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له

انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد ان لك في النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا

في مهماتك وشواغلك ولا تتفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل

واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب

بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة واشد للقراءة

لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم و

توزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك

وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك وتبتل اليه

تبتيلا واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان

من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك

مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه

فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق

الفواصل رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم

هجرا جميلا رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس

رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في

الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده

هو الذي يجب تخصيصه بالعبادة الذي هو كل الكمال لا هو فتخذه وكيلا وكل اليه امرك واصبر على ما يقولون من الكفر والبهتان واهجرهم هجرا
جميلا الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة وترك المكافاة وعن
ابي الدرداء انه كان يقول انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية
السيف **وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا** اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب
يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا
تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان فيّ ما
يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه
اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه اياه وفيه دليل على الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور في نفس المخاطب وبما يزيد عليه والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر
الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه **ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال
كثيبا مهيلا** ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلتهم
الواحد نكل او نكل وجحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد وطعام ذي غصة وهو الذي
ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع وشجر الزقوم وعذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا
اليه امرهم موذوفا لجنبه وفيهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه
ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فاخبر ثابت البناني و
يزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف منصوب بما في لدينا
والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى
مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل
مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا** الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد
عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم **فان قلت** لم نكر الرسول ثم عرّف **قلت** لانه اراد ارسلنا الى فرعون
بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا
من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم **فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا** يوما مفعول به اي
فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون

ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اي
فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان
شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم و
الاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب **شعر** والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح
وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون
في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون
فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها
تنفطر به فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تأويل السماء بالسقف
او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر لشدة
ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها
لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وعده من اضافة المصدر الى
المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة
فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل
بالطاعة **ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك
والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون
منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤوا ما تيسر منه** ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من
الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ نصفه وثلثه بالجر اي
تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث
وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك
جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما
الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير و
المعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات

ولا يتأتى في حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شق عليكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية ثم بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والناذرين لكسب الحلال عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم** واقيموا الصلوة يعني المفروضة واتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد به سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت على حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام فقال انك نبي الله فرجع

الى

الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال الرجل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبيث وايثار الطهر في كل شيء والرجز فاهجر قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه وقرأ الحسن ولا تمنن تستكثر برفع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل لا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام

فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير والفاء في قوله فإذا نقر للتسبيب كأنه قال
اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك
للجزاء فإن قلت بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب إذا بما دل عليه الجزاء
لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى
فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها
النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه
قيل فيوم النقر يوم عسير فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين
فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد
الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا
كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين
شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا
وحيدا حال من الله تعالى على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني
خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا
ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب
في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن
الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا
إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ
بدينه ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر وقيل كان له الزرع والضرع والتجارة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف
وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم
مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل
قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم ويجوز أن يكون معناه
أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة
بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس و
عبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة
في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله

تأييدك

تأييده وتمهيده يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك
لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي
سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي كلا ردع له وقطع لرجائه
وطمعه إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل
إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول الآية
في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من
العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما
وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم
يهوي فيه كذلك أبدا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم
أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر إنه فكر تعليل للوعيد كأن الله
تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه
لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله
سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك
بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول
في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه
الغرض الذي كان تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم
قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قاتله الله ما أشجعه
وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك
روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش
صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام
فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون
أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك
اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما
الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه
ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء
وهم بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر

عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه
فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء
قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
فان قلت فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطفه بثم قلت
لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يوسط حرف العطف
بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر وما أدراك
ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما
جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا
ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا
أراد الله بهذا مثلا سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم
تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح
الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل
والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا
وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع
عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس
من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد
الخلق باسا واقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم
مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم روي انه لما
نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار
تسعة عشر وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي
وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا
لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك
قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله

وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع
تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته
ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة
من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم
تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم
بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا
يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت
لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه
تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر فان قلت
كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت
معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا
اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون
السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين
بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين
غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك
خرجت من البلد مخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه
كقوله هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من
الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي معنى
قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه
لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم
جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى
الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني
يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله
كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم
جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما
في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد
السماوات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات

والصلوات في النشرية او نعما قبلها جميعا ببيان لم ... الا من تلاوتها عليهم جهنم الحرية ...
له في هذا العدد الخاص حكمة لا يعلمها الا هو ... وقيل هو جواب ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا
تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا ... وما هي الا ذكرى متصل بوصف
وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها **كلا والقمر والليل**
اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر
نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ
اذا ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف
التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع
في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها
من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء ونذيرا تمييز من
احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل
بمعنى حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع
خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك
لمن توضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر
السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا
من البشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤوا تقدموا ففازوا وان شاؤوا تاخروا
فهلكوا **كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم**
في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب
بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين رهينة ليست بتانيث رهين في
قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي
فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه
بيت الحماسة **شعر** ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه
قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه
من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه ان اصحاب اليمين الاطفال لانهم لا اعمال
لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن
المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه **فان قلت** كيف طابق

قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو
قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم **قلت** ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين
عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه
الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي **فان قلت** لم يسألونهم وهم عالمون بذلك **قلت** توبيخا لهم و
تحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين
بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار **فان قلت** ايريدون ان كل واحد
منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه **قلت** يحتمل الامرين جميعا
فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها **قلت** ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما
للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من
الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل
على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين **فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم**
حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عن التذكرة عن التذكير
وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما مستنفرة شديدة
النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وتحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار و
القسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساورة وهي فعولة من القسر وهو
القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة
الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما
افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة
عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك
كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه
بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها
الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك
حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك
ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل
كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك

وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن
جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله كلا بل لا يخافون
الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى و
اهل المغفرة ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة
فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة
يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع
ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى
الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على
قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده و
يخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وكذب به بمكة سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على
ان نسوي بنانه ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس شعر
لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك
ما ابالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى
وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة
واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير
سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك
انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك وقيل
ان لا نفي لكلام ورد قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم
القيمة لا تتركون فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي
فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف
ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات
لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان

في كبد

في كبد وكذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ
محذوف معناه لانا اقسم ويعضده انه في الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه
اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان
المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد
ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة
وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على
البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح و
طيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون و
كيف امره وحاله فاخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام
فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام
قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر
ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا
من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه
ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما
يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من
الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل ايان يوم القيمة فاذا
برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر بل يريد عطف على
ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم
عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه
وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب حتى يأتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله يسأل
سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا
واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ
ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او
ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل
وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان
في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ

بهما

كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر كلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي
استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها
غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته
من شا ادخله الجنة ومن شا ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق
به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد
باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه
بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
او عين بصيرة والمعنى انه ينبا باعماله وان لم ينبا ففيه ما يجزي عن الانبا لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه
تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل
معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها
معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة
ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر
الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان
يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى
يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل
عليه السلام يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه
في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه
فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه
اذا اشكل عليك شي من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص
على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها
فاقرة كلا ردع لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في
ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون
في كل شي ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله
لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة

وترك

وترك الاهتمام بالآخرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة
لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق
الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى
الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشيا لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق
كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم
اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول
الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجا ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم
تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا
لا يخشون ولا يرجون الا الله والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا
اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت
الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق و
التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب
الى اهله يتمطى كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من
الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت
للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء
التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة
حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به
وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق
ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة
ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق
مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق اي يساق الى الله والى حكمه
فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان
ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن
ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد
لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم

فاربعوا النعيم فقد جعل اسمه بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا
بذلك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره فخلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان
الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذي انشا هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت انا
وجبريل له يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيمة سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هل بمعنى
قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير
والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا
غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من
الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من
الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي
والعائد محذوف وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير
مذكور ولم يخلق ولم يكلف انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون
تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها
الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون
نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك
ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير
التاخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف انا هديناه السبيل اما شاكرا واما
كفورا شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حاليه جميعا او دعوناه الى
الاسلام بادلة السمع والعقل كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من
السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل
بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا

[illegible]
واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد
والوعد انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا قرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من
حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة ممن ضري برواية الشعر
ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها
عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين
لا يؤذون الذر الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا
ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة
تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور
وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او
نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لان
الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر
كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون
جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا
بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر على حبه الضمير
للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير
فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة
العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ
المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد
الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انما نطعمكم على
ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله
فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن
عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء

[illegible]
خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئا وعن مجاهد أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا إنا نخاف يحتمل أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقتين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم نهارك صائم روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسرورا أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة فإن قلت ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر فإن قلت ودانية عليهم ظلالها

علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن تكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا فإن قلت فعلام عطف وذللت قلت هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيرا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لإتباعه الأول ومعنى قوارير من فضة أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فإن قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدرت الشيء وتقديره قدروا عليها فلان إذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل

في اللغة صفة لما كان في نهاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة
قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من
سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي
شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج
كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها
كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم
باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب
وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله
در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب
وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء واذا رايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع
ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك
كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز
اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا وروي ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة و
يستاذنون عليهم قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس
وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف
عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم
بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ و
استبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول
الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة
والفتح على انه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره
وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر هاهنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب
قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون
بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن

بالمعصم

بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها
رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام
الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من
ابدانهم له ريح كريح المسك ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي يقال لاهل الجنة ان هذا
اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس
رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن
تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة
الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم
ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا
طويلا فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا
تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له
عليه السلام يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم
كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او
فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا
كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا
للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او
ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما جاز ان يطيع احدهما
واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه
اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر
ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل
على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه
او ثلثه ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا اي ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة
يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤون به
يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الثقل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض
نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا الاسر الربط والتوثيق ومنه
اسر الرجل اذا اوثق بالقد وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل

توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق مجدولته وإذا شئنا
أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الأسر يعني النشأة الأخرى وقيل بدلنا غيرهم ممن يطيع
وحقه أن يجيء بإن لا بإذا كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم إن هذه تذكرة فمن شاء
اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في
رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما هذه إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار
الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن
الطاعة إلا أن يشاء الله بقسرهم عليها إن الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم
وقرئ تشاؤن بالتاء فإن قلت ما محل أن يشاء الله قلت النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله
وكذلك قراءة ابن مسعود إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كأن معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين
بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين
وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها
فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة و
حريرا سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا
إنما توعدون لواقع أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح
تخففا في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض
أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء عذرا
للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن
بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله ويجعله كسفا
أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا إما عذرا
للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا
للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله
إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت فإن قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاءوا عرفا واحدا
وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له
أي أرسلن للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فإن قلت
قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفا قلت إن لم يكن معروفا للكفار فإنه
معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فإن قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا

قلت هما مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون
جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الإنذار وأما انتصابهما فعلى البدل من
ذكرا على الوجهين الأولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين
وقرئا مخففين ومثقلين إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم
وعن بعضهم أن المعنى ورب المرسلات فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت و
إذا الرسل أقتت لأي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين
طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ويمحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها
ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت أبوابا قال الفارجي باب الأمير المبهم نسفت كالحب إذا نسف بالمنسف
ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته
وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى
توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت لأي
يوم أجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين
الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت
فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد
فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز
ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له ويلا كيلا ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل
بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين وقرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج
ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من
الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم
سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم
الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة
الجرم وسوء أثره ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم
القادرون ويل يومئذ للمكذبين إلى قدر معلوم إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة
الأشهر أو ما دونها أو ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على
ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره
ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا
ويل يومئذ للمكذبين الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع

ويجمع يقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب أحياء وأمواتا أي يكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فإن قلت لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا قلت هو تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس فإن قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل إفادة التبعيض لأن في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه ومصبه ويجوز أن يكون للتفخيم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظللهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لإرادة الجنس وقيل صفر سود تضرب إلى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي يصف نار جهنم دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال أبو العلاء شعر حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف شبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر على أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله

إغرابه في طرازه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين ... ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فإن قلت كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن ندعو لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة عم وتسمى النبأ وهي أحد وأربعون أو أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون عم أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان شعر على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل

هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع
قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول
وما العنقاء تريد أي شيء من الأشياء هو هذا أصله ثم جرد العبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى
عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم
والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين عنه على
طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن
يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن
ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر **فإن قلت** قد زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه
مختلفون **قلت** كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين
وكانوا جميعا يتساءلون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل
عنه القرآن وقيل نبوة محمد عليه السلام وقرئ يساءلون بالإدغام وستعلمون بالتاء **كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون**
ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد
لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لأنه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد
تشديد في ذلك ومعنى ثم الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد **فإن قلت** كيف اتصل به قوله ألم نجعل الأرض
مهادا **قلت** لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال
القدرة فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه
الأفعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد إلى أنه عابث في كل ما فعل
مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر
كضرب الأمير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد سباتا
موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الأدواء
ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا أي وقت معاش تستيقظون
فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من
عدو أو بياتا له أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور **شعر** وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر أن المانوية تكذب سبعا شدادا سبع سماوات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان
وهاجا متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار إذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها المعصرات

السحاب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع إذا حان له أن يجز ومنه أعصرت
الجارية إذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن يراد الرياح التي حان لها أن تعصر
السحاب وأن يراد السحاب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده
وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة هي السماوات وتأويله أن الماء ينزل
من السماء إلى السحاب فكأن السماوات يعصرن أي يحملن على العصر ويمكن منه **فإن قلت** فما وجه من قرأ من
المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح **قلت** الرياح هي التي تنشئ السحاب
وتدر أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب
فإن صح ذلك فالإنزال منها ظاهر **فإن قلت** ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث
لا المعصر يقال عصره فاعتصر **قلت** وجهه أن يريد اللاتي أعصرن أي حان لها أن تعصرن أي تغيث ثجاجا
منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الأعرج ثجاحا ومثاجح
الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعلف من التبن
والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب والعصف والريحان ألفافا ملتفة ولا واحد لها كالأوزاع
والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي **شعر**
جنة لف وعيش مغدق ٭ وندامى كلهم بيض زهر ٭ وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما
أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد
لكان قولا وجيها **إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء**
فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا
وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان فتأتون أفواجا
من القبور إلى الموقف أمما كل أمة مع إمامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال يحشر عشرة أصناف
من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل
القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار
وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لاصقة بجلودهم فأما الذين
على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون
على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم

وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم
فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم
أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب
فأهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها
ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق والمسالك
أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله تعالى فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير
شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها **إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا** المرصاد الحد الذي يكون
فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل
الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن و
قتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم
كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن
اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه أحقابا
حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد
تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء
التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما
وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون
من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لا
بثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا أو روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد شعر فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وقد مر جزاء جوزوا جزاء وفاقا
وصفا بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش
في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض
نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب
وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لأنهم إذا كانوا

عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل
من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون
الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي
تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شيء أحصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع إحصاء
وأحصيناه في موضع كتبناه لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا في معنى
مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك
الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار **إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا و
كواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السماوات
والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا
من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا إنا أنذرناكم عذابا
قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا** مفازا فوزا وظفرا بالبغية أو
موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر
المثمر والأعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والأتراب اللدات دهاقا مترعة وأد
هق الحوض ملأه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو لا يكا
ذبه وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله إن للمتقين مفازا كأنه قال جا
زى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشيء إذا
كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب
كالدراك بمعنى المدرك قرئ رب السماوات والرحمن بالرفع على هو رب السماوات الرحمن أو رب السماوات مبتدأ و
الرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الأول ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره
لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لأهل السماوات والأرض أي ليس في أيديهم مما يخاطب به الله
ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه
أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه يوم
يقوم متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه
هم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السماوات والأرض والروح أعظم
خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم

وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلام [illegible] المتكلم منهم [illegible] وقال صوابا في الكلام
فان يتكلم بالصواب [illegible] لقوله تعالى [illegible] الا لمن ارتضى [illegible]
انا انذرناكم عذابا قريبا [illegible] كل ما هو آت قريب [illegible] وضع موضع الضمير لزيادة الذم [illegible]
كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وقوله يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديهم
والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة
منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر
وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم
ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل
الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته
من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهي خمس واربعون او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم سبحانه بطوائف
الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او
دنياهم كما رسم لهم غرقا اي اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل
الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام
الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر
الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في
النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة
فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي
تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة
الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها
الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان
يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم
لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثرها فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة

فان قلت

فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى
لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة
الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه
قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان
خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها
خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت
معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة
قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة في الحافرة في الحالة الاولى يعنون
الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي
جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها
والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم
ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على صلع وشيب
معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي
الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة
وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك
طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له
نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما مردود ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر
اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق قوله فانما هي
زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة
على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض
البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة
قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف
الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى
فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الآية الكبرى فكذب و
عصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اذهب
على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما

ز الجواب اي انقطع [illegible]
السلام من حرف [illegible] النسم
[illegible] ١٢

تنزل فهل تعجب منه ونحوه (هل لك الى ان تزكى) الى ان تتطهر من الشرك وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام
واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته ... فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير
ومن امن اجترا على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه
العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول
ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت
المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا
انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والاية الكبرى وسماهما
ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعدما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان
ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته
او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال
فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم
من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا
والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم
من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون **ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها
اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم** الخطاب لمنكري البعث يعني ءانتم
اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها
في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور
او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان وغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه
ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها
يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى
السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها
وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحاها وارساها وهو الاضمار على شريطة التفسير
وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما

ملاك الامر ... وما يملك به الشيء ... ملاك الجسد ١٢

الادلاج بسكون الدال السير من اول الليل وبالتشديد السير من اخر الليل ١٢

ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل
والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى
تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما
ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي
ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء
متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم **فاذا جاءت الطامة
الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وءاثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى** الطامة الداهية التي
تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة
وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل
من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى
موصولة او مصدرية وبرزت اظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها
تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقوله قد تبين الصبح لذي عينين يريد لكل من له عين بصر
وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله
اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى
فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان
الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى و
الطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع
الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن
عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه **يسألونك
عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها** ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها اراد
متى يقيمها الله ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه
فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة
رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب
من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها
فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤته احدا من

فتامه وطما السيل طما الركية دفنها حتى سواها ١٢

الدوي ... ١٢

عليه وقيل تم الكلام لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء و
آخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها و
مشارفتها ونحوبا للاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي انما بعثت لتعليمهم وقت
الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها و
قرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا
الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها **فان قلت**
كيف صحت اضافة الضحى الى العشية **قلت** لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد **فان قلت**
فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة **قلت** الدلالة على ان مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا
ولكن ساعة منه عشيته او ضحاها فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل
الجنة قدر الصلوة المكتوبة **سورة عبس احدى واربعون آية وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم**
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي
وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله
وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على
المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
ونحوه كلح وان جاءه منصوب بتولى او عبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك
وقرئ آان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدأ على معنى ألان جاءه الاعمى واعرض لذلك
فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط
ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا
حمي في الشكاية مواجها له بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده مزيد
الاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله
في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك
واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر
او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه

[illegible]

من تزكّ او تذكّر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يزكى
بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالنصب عطفا
على يذكر او جوابا للترجي بالعطف كقوله فاطلع الى اله موسى **اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ألا**
يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة
وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرّض ومعناه يدعوك
داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا
البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد وهو
يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى اي يلهيك
شأن الصناديد **فان قلت** قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا **قلت** نعم ومعناه انكار
التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير **كلا انها تذكرة فمن شاء**
ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة
مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكّر الضمير
لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله
مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة
كتبة ينسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل
السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة**
خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع
دعائهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى
اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة
على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو
غارز فيه رأسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء
خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص
به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه
من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل
وعن ابن عباس بين لهما سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا
على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره
ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره **كلا لما يقض ما**

[illegible]

امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم كلا ردع
للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله
حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه
فقال فلينظر الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف
وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا الماء بالامالة على معنى فلينظر الانسان
كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب
ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء
فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا و
الاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معد يكرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين
من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا
ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا
كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من
هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت
لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا
عندهم فاراد ان الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب
بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر على ما تبين لك ولم يشكل
مما عدد من نعمه الله ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة
الجملية الى ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات
القرآن فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر منهم
لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة و
البنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات
يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون
لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه

الكحيل القطران [illegible] جلال [illegible] بزل [illegible] كسين من الكحيل جلالا ١٢

قال الزجاج الصاخة الصيحة التي تكون عندها القيامة تصخ الاسماع اي تصمها [illegible] ١٢ من انوار [illegible]

نوح عنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح
اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك
من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش
من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله تعالى يجمع الى سواد
وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء
يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش
حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت واذا
الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق
وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة
عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه
فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت ارتفاع الشمس
على الابتداء او على الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه
من معنى الشرط انكدرت انقضت قال العجاج ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في
جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن وجه الارض و
ابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء
وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها
عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت
بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا
فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها
موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد سجرت وقرئ بالتخفيف
والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا
تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل
قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما

من شعر العجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر [illegible] تقضي البازي اذا البازي كسر [illegible] ابصر خربان فضاء فانكدر [illegible] ١٢

لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل
والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها
الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها
التراب حتى تستوي البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا
ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته **فان قلت** ما حملهم على وأد البنات **قلت** الخوف
من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا
يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر
الفرزدق ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم توأد **فان قلت** فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي
قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها **قلت** سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى
لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها
وسألت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل
قتلت او كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتّلت بالتشديد
وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر
ببراءة الموءودة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل
بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية
نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب وعن
قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة
فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر
ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم و
حميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة
والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور
والقافور سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعّرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا
بني آدم أزلفت ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فان قلت**
كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس

من

قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا
ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول القائل **قد اترك القرن مصفرا انامله** تقول لبعض قواد
العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب
وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان
يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده
فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه **فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح**
اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون
الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي
اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع
حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال
العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه **فان قلت** ما معنى
تنفس الصبح **قلت** اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح
انه الضمير للقرآن رسول كريم هو جبريل علیه السلام ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة
على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشارة الى الظرف المذكور
اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وقرئ
ثمّ تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام
بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة
افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون **ولقد رآه بالافق المبين وما هو**
على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين
بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من
الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسأل
تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون
بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من
الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد

كان اشاره به مجيب نيز صاد

رواه

نسعا

بجانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فيخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا
وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف
جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع
المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت
بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة
للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم
وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او
ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم
بدل من العالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه
لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما
تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت
اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت
واخرت انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت
البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن
وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى
لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى
بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف
طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه
فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا
من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله
عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب
اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره
جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل
ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض
ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وهذا على

الاعتراف

بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم
انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير
ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بينهم العدو وهم غارون
واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير
تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود
ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه
وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك
يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض
الاشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة
في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت
هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان
يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله
النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة
ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة
الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون
ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون
بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله
من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه
انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما
يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وما هم عنها بغائبين
كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم
وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى
فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول و
الشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل

مرفوع على البدل او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح
لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له
بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة **سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان
يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة
فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم
العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا
فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي
رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره
بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما
هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين
كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل
فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال او وزان
في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج
ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم
ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه
حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في
كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار و
اوصل الفعل كما قال **شعر** ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد
بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او
الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا
اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع
في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك
لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين

المنابذة ... الملامسة ... والمخاطرة ... [illegible]

الاكمؤ جمع كمء ... العساقل ... بنات الاوبر الصغار الزغب ... كمء

واذا اعطوهم اخسروا ... المطففين انقلب الى ... اذا اخذوا ... استوفوا حر

منه الالف زائدة غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه
الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة
بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين
وقيفة يبينان بها ما ارادا **فان قلت** هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففين كانوا لا ياخذون
ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون
في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم
في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون التطفيف ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة
والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان
سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك
ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل
ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام
بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر
ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده **كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما**
سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد
اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر
البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار
ما يكتب من اعمالهم **فان قلت** قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان
كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه **قلت** سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين و
اعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا
خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن
ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون
فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم **قلت** بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا
سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث

يدعدعوا

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم
يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله بل ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب
عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد
الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ
فيه وران به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وامليت الالف وفخمت كلا
عن الكسب الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء
المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من
مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون كلا ردع عن التكذيب
كتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين
منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة
واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل
العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما
قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء
اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي
نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون الارائك الاسرة
في الحجال ينظرون الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في
وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول نضرة النعيم بالرفع رحيق شراب خالص لا
غش فيه مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك
اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس
المتنافسون فليرغب الراغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها
ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ان الذين اجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا
رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون

على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل جاء
علي في نفر من المسلمين فسخر منه المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا
اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا على المسلمين
حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم
او من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم
على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم
ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوب واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس سأجزيك او يجزيك عني ثوب وحسبك ان
يثني عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله
من الرحيق المختوم يوم القيامة سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم
في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه
ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة اذنت له استمعت له
ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنتم لذا سمعت هريرتكم والمعنى
انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع المنقاد اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصتت له
واذعنت ولم تأب ولم تمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان
تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر بالذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت من مد الشيء
فامتد وهو ان تزال جبالها وآكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط وتستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء
فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي يزاد سعة وبسطة والقت ما فيها ورمت بما في جوفها
مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها
في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها
في القاء ما في بطنها وتخليها الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى

المدارك

كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر له
لكدحه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى
أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في
أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه
ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من يحاسب عذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب
الى أهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه
الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرئ ويصلى
بضم الياء والتخفيف كقوله ونصليه جهنم في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه
كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا
حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ظن أن لن يحور لن يرجع
الى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب
لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه
ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد فلا أقسم بالشفق
والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم
القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه
يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة رحمه الله في إحدى
الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي به لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه
وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع
افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها إذا اتسق
إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن بالضم
على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان
والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى
ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة
مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه

طبق

طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من
بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها فإن قلت ما محل عن طبق قلت النصب على أنه صفة
لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة
على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم
وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا إشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم
ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع
العذاب إلا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن
يعطيه كتابه وراء ظهره سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه
وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء واليوم
الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه
من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت
كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه
وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى وأمته لقوله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني
على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء و
محمد عليهم السلام فإن قلت أين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله قتل أصحاب الأخدود كأنه قيل أقسم بهذه
الأشياء إنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين
وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى
وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك
المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الأخدود دعاء عليهم
كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى

ونحوهما الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه ورأى في طريقه ذات يوم دابة
قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام
بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه
فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع
وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه
ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا
اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال لها ما هي الا غميضة فصبرت وعن
علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد
احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له ان المخرج ان
تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم
يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد و
ايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل
ممن كان على دين عيسى عليه السلام فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا و
عرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء
النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير
وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها
على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا
لمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند
الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين
يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون **وما نقموا منهم**
الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد وما
نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله مصراع ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وكما قال ابن الرقيات

ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف
التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته
ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق
الذي لا ينقمه الا المبطل المنهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على
كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه **ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم**
يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا
المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم
عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب
الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد بالذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى
على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم **ان بطش ربك لشديد**
انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد البطش الاخذ بالعنف
فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو
يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على الابداء و
الاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا
بالاعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي
العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدا
محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة **هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل**
الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فرعون وثمود بدل من
الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل
وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر
عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الا
ضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وقد رأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا و
كذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه و
اعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق
السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما
قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني
اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه
من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم
قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم روي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا
ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان
قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون
نافية وفيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ
مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ
عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وعن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون
عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله
قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته
الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في
عاقبته مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق
الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين
لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي
عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب
وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة
انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه
ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا
يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره
برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في
القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب

اي رياء العظام [illegible]

الا انيات [illegible]

منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر
فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له من قوة فما للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر
يمنعه والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ربا شماء لا ياوي لقلتها الا السحاب
والا الاوب والسبل تسمية بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض
ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت
الخنساء كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقرآن فصل فاصل
بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان
يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى
ان جبار السماوات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى
امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون انهم
يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري
بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا
يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي
اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى سبح اسم
ربك نزه اسمه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى
العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال
والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي سبحان ربي الاعلى
وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح
اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق
فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه
صادر عن عالم وانه صنعة حكيم قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع
يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها
بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض
البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان

ابو عمرو الرواح [illegible]
الحرص السحاب المطر [illegible]
السحاب [illegible] ١٢
الهوادة اللين والرفق ١٢

ولا تمكن ... لا يحصى من ... [illegible]
الحيوانات البهائم من الطيور ... [illegible]
الأعلى ... تدبيرا ... أحوى صفة للنبات أي أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى
درينا أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أي أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء
بعد حوته سنقرئك فلا تنسى بشره الله بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ
فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة
إذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله
ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب
أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت
سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى
على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله
أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة إنه يعلم الجهر يعني أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم
جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من
أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي
ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء. ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها
الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله
إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة
السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فإن قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا
بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين أحدهما أن رسول الله قد استفرغ مجهوده في
تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة
وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
فأعرض عنهم من تولى عن ذكرنا فذكر إن نفعت الذكرى وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير والثاني أن يكون ظاهره
شرطا ومعناه ذما للمذكرين وإخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم
كما تقول للواعظ عظ المكاسين إن سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون ذلك سيذكر
سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق فأما
هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الأشقى الكافر
لأنه أشقى من الفاسق أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت

في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار
الدنيا وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت
فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا و
الآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى تزكى تطهر من الشرك والمعاصي أو تطهر
للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة فصلى الصلوات الخمس نحو
قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه أنه التصدق
بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أي أعطى زكاة الفطر فتوجه إلى المصلى
فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة
لأن الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده
وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد بل تؤثرون
الحياة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود بل أنتم
تؤثرون خير وأبقى أفضل في نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب
إن هذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل إلى ما في السورة كلها
وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة
كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم
عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقيل إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون
حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام وكان إذا قرأها قال سبحان
ربي الأعلى وكان علي وابن عباس رضي الله عنهم يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية الغاشية الداهية التي
تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله
وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم إذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا
تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل وارتقاؤها دائبة
في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب
منها في الآخرة وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة
من قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم

أصحاب الصوامع ومعناها أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة
ناصبة على الشتم وقرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلي عند العرب أن يحفروا حفيرا
فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في التنور فلا
يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن **ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع**
الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا فإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب
رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال عتيبة بن أنيس **شعر**
وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود **فإن قلت** كيف قيل ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي
الحاقة ولا طعام إلا من غسلين **قلت** العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين
ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أن
طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإنس وإنما هو شوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه
ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن أو أريد أن لا
طعام لهم أصلا لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الإنس لأن الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل
كما تقول ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش إن الضريع لتسمن عليه إبلنا
فنزلت لا يسمن فلا يخلو إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع وإما أن يصدقوا
فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم إنما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع **وجوه يومئذ**
ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة و
أكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم
نضرة النعيم أو متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب عالية من علو
المكان أو المقدار لا تسمع يا مخاطب أو الوجوه لاغية أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة
إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء عين
جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليها
جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء إذا خبأه موضوعة كلما أرادوها وجدوها
موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب و
يجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها إلى جنب
بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند إلى أخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل
هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة أو مفرقة في المجالس **أفلا ينظرون إلى الإبل**
كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما

الهزم ما يبس وتكسر من الضريع وغيره وحدباء أي مهزولة ... العيس

وزن فرس ... الكامل

المسورة الوسادة ١٢

قال الجوهري ... الطنفسة ... ١٢

أنت مذكر لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم
أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة
لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وعن بعض الحكماء
أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحين أراد
بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل
شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت أين
تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر إلى الإبل كيف خلقت **فإن قلت** كيف حسن ذكر الإبل مع السماء
والجبال والأرض ولا مناسبة **قلت** قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر
على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الإبل
من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وإنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيرا في أشعارهم
فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد وكيف
نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ
علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون
الرشيد أنه قرأ سطّحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا
ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه أي لا ينظرون فذكرهم ولا
تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون إنما أنت مذكر كقوله إن عليك إلا البلاغ لست عليهم بمسيطر
بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم
تسيطر يدل عليه إلا من تولى استثناء منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فإن لله الولاية والقهر
فهو يعذبه العذاب الأكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه
وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض وقرئ ألا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فإنه يعذبه
وقرأ أبو جعفر المدني إيّابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيّب فيعل من الإياب أو أن يكون أصله
أوّابا فعّالا من أوّب ثم قيل إيوابا كديوان في دوّان ثم فعل به ما فعل بأصل سيد **فإن قلت** ما معنى تقديم الظرف
قلت معناه التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب
إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا **سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم

... بالحمار إذا انقطع ... إذا اشتد ...

العير بالكسر ...

لذي حجر اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس او بصلوة الفجر او بالليالي
العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي
العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة
قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون
الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي
ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك
قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعدما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله
والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده
وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين
الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري تحذف
في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك
هل فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او
هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت
فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر
اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم
ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب
عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال
لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال
ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم
عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة
وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن
بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد
باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى
انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان

اذا

اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد
ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر
الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من
السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وعلى عقبه خال
لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة
فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اي
لم يخلق الله مثلها جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من
نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل له ذو الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة ابنته وبآسية الذين
طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا
على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى
ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب
به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها
فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فيقول ربي اهانن المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا
مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن
عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا
النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره و
يقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد
كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان
فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما
ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور
واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان

من جهات التعذيب فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول
الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل
ربي أكرمني وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين
من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر
أم يكفر فإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر و
الخير فتنة فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه قلت لأن البسط إكرام من الله
لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون
إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد
هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك فإن قلت فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه
وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى
أن الله أعطاه ما أعطاه إكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله
إنما أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد
الله به إلا بها وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها
والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله
وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه
وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا
منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون
المال حبا جما كلا ردع للإنسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون
ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه
فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون أي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود
ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة أكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة إذا كان لما يتبع الذم
ربه فلا قدس الرحمن يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء
ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله
وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله
أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا
شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا و
جيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت

كما انكر قوله اهانن وذمه
عليه قلت فيه جوابان احدهما
انه انما انكر قوله ربي اكرمن
وذمه عليه لامر

لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا
فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من إذا دكت والعامل فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقوله حسبته
بابا بابا أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوز
على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك
إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة
أبيهم صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ بجهنم كقوله
وبرزت الجحيم وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا فجاء
فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه
فقال علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت
أهل الجمع يتذكر أي يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ وأنى له الذكرى ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف
المضاف وإلا فبين يومئذ يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة أو وقت
حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقا
بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع
إلا ما تعنيه القصد قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع
إليها في آخر عمره والضمير للإنسان الموصوف وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل
والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى
وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم أو للإنسان أي لا
يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا أيتها النفس على إرادة القول أي يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس إما أن يكلمه
إكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس
المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبي بن كعب يا أيتها
النفس الآمنة المطمئنة فإن قلت متى يقال لها ذلك قلت إما عند الموت وإما عند البعث وإما عند دخول الجنة
على معنى ارجعي إلى موعد ربك راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين
وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ أبي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي قيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال اللهم
إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر الله له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة
سورة البلد مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا
ايحسب ان لم يره احد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد
واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد
الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك
وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في
عداوته او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض
بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه
ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء
وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد
فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر
فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام
العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده
كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق
مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشأ ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه
فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله
اعلم بما وضعت اي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد
اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه
اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد
اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين
ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت
مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد

يعضد يقطع والمنشد المعرف
الخلا الرطب
واختلاؤه قطعه والخلا
الارض لا كلاء فيها
... والاذخر الحشيش

حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان
على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج برئ منه حقيق
بان اعظمه بقسمي لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله
منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان
قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه
وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع
لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل و
الشرب والنفخ وغيرها لك وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما
ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان
من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر
تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل
طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع
عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الآية فان قلت
قل ما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيء لا فعله لا كما دنيع فما لها لم تكرر في الكلام
الافصح قلت هي مكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا الا ترى انه فسر
اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن و
الاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الاعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها
لما فيها من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه و
عدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها
وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة رضي ان العتق
افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة
وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها
على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب فلان

ذو فقر أي مدقع من ترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به والمرحمة الرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة** الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن وقرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف إذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر وقيل إذا استدار فتلاها في الضياء والنور إذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء إذا يغشاها يغشى الشمس فيظلم الآفاق **فإن قلت** الأمر في نصب إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه **قلت** الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها فجورها وما يؤدي إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا **فإن قلت** لم نكرت النفس **قلت** فيه وجهان أحدهما

أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس رضي الله عنه فقال أتقرأ والشمس وضحاها قد أفلح من زكى وقد خاب من دسى وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه **فإن قلت** فأين جواب القسم **قلت** هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء **كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها** الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر إذ انبعث منصوب بكذبت أو بالطغوى وأشقاها قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم والضمير في لهم يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا أو احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة أي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى يغشى إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله

إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي
قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحوا وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر و
الأنثى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذي خلق الذكر والأنثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه
من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أي ومخلوق الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده
بالخلق إذ لا خالق سواه وقيل إن الله لم يخلق خلقا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل
أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا
أنثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلا عندنا إن سعيكم لشتى جمع شتيت
أي إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا
تردى أعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالملة الحسنى
وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب إذا
أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة
أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام واستغنى وزهد فيما عند الله كأنه
مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله و
نمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء
أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة
والنار أي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبي سفيان بن حرب وما يغني استفهام
في معنى الإنكار أو نفي وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر
جهنم إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي
كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى إن علينا للهدى إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع
وإن لنا للآخرة والأولى أي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين
فأنذرتكم نارا تلظى تتلظى فإن قلت كيف قال لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل
تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها
مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا
الأتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ
في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة

لعله تنوت

كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل وأمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء أي يطلب أن
يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة فإن قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين إن جعلته
بدلا من يؤتي فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب
ابتغاء وجه ربه الأعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من
يقول ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي خازم أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها إلا الجآذر
والظلمان تختلف وقول القائل شعر وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس ويجوز أن يكون ابتغاء
وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد
بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه
من العسر ويسر له اليسر سورة والضحى مكية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والضحى و
الليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى المراد
بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل إنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة
التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أراد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا
ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه
وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف
يعني ما تركك قال شعر وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع
لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال
المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك
فنزلت وما قلى وما أبغضك وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته و
نحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فإن قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك
من الأولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا
ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على
جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك
من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه
يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره و
سراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة
وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة
واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ

وهو كما في البزار أعداد الأمثال ا
وزراعي من وثاب الا ابتغا ء
وجه ربه بالرفع حر

اسحق وابي البيكند فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ
محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم
او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على
الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى
الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة الم يجدك
يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا
تنهر واما بنعمة ربك فحدث عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد
به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره
ولا يقل صبره والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان
اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله
عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير
فآواك وقرئ فاوى على معنيين اما من اواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة واما
اوى له اذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب
مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهدى فعرفك
القرآن والشرائع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان
على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر عائلا فقيرا وقرئ عيلة كما قرئ سيحات وعديما فاغنى فاغناك
بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا
تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة
عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني فلا تنهر فلا تزجره وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت
السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره فحدث
بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن
فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول لقد رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا
وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون
لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل

ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وقرئ فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا و
عائلا فآواك وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله
فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا
تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه
الشرائع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى
جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل سورة الم نشرح مكية
وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك ورفعنا لك ذكرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل
شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم
النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه
من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر
المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض
ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله ويغمه من
فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه
عنه ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا
عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي
غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي
تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به فان قلت
اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم
نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون
رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره
ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان
مع العسر الذي انتم فيه يسرا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله يصيبهم
بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية
وتقوية للقلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا
انه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء

على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية
تكريراً للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد
في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر
متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو
العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالاً إن مع زيد مالاً وإما أن يكون للجنس الذي
يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر
فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير إشكال **فإن قلت** فما المراد باليسرين **قلت** يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم
من الفتوح في أيام رسول الله وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون
بنا إلا إحدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب **فإن قلت** فما معنى هذا التنكير **قلت** التفخيم كأنه قيل إن
مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة **فإن قلت** فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم
قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين **قلت** كأنه قصد
باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فإذا فرغت فانصب**
وإلى ربك فارغب فإن قلت فكيف تعلق قوله فإذا فرغت فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده
الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على
أن لا يخلي وقتاً من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك
فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فإذا فرغت من دنياك
فانصب في صلاتك وعن الشعبي أنه رأى رجلاً يشيل حجراً فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغاً
من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة
ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة وقرأ أبو السمال
فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب
علياً للإمامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي و
عداوته وإلى ربك فارغب فاجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه وقرئ فرغب أي
رغب الناس إلى طلب ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين و
هذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار
المثمرة وروي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن
فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس

ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً فاستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وهي سواكي وسواك الأنبياء
قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية
طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال
الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة
ونحو سينون بيرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب والبلد مكة
حماها الله والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله
كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن
في قوله حرماً آمناً بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها
من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه
والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله
ومبعثه في أحسن تقويم في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه **ثم رددناه أسفل سافلين**
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقاً وتركيباً يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم
أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل
في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده
وكان بضاً وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف
وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين **فإن قلت** فكيف الاستثناء على المذهبين **قلت**
هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب
دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة يعني على تخاذل نهوضهم **فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين فإن قلت** ما يكذبك
من المخاطب به **قلت** هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد
هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً
بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان
من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر
لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك
أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار

[illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم **سورة العلق**
مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ
وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم هي أول سورة نزلت
وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك
قل بسم الله ثم اقرأ **فإن قلت** كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الإنسان **قلت** هو على وجهين إما أن لا يقدر
له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل
مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين
ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن
علم القرآن خلق الإنسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على
عجيب فطرته **فإن قلت** لم قال من علق على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة **قلت** لأن الإنسان
في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم
التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر
ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد
العلمية تكرم حيث قال الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم
يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط
بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة
إلا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا
أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم **شعر** ورواقم رقش كمثل أراقم * قطف الخطى نيالة أقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها * إلا إذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم **كلا إن الإنسان**
ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان
على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله
عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه أن رآه أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك
بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول
الثاني إن إلى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى
مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك أرأيت الذي ينهى وروي أنه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع

جمع رقشاء وهي المنقطة سود وبيض النقط والقطوف من الدواب البطيء [illegible] والمدى الشفرة الكبيرة

دينك ونتبعك فنزل جبريل عليه السلام فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة
فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إبقاء عليهم وروي عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه
بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا أبا الحكم
فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله
عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى
فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما
نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد
فإن قلت ما متعلق أرأيت **قلت** الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين **فإن قلت** فأين جواب الشرط
قلت هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره
في جواب الشرط الثاني **فإن قلت** فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني
وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه **فإن قلت** فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت **قلت** هي زائدة
مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية**
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله
وأمره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى
النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم
مهره أو سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبها في المصحف بالألف على حكم
الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن
المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على
الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما
ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير
لهم مجلس صهب السبال أذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي أن أبا جهل
مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله فقال أتهددني وأنا أكثر
أهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب
الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم أمسي
وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته
الزبانية عيانا **كلا لا تطعه واسجد واقترب** كلا ردع لأبي جهل لا تطعه أي اثبت على ما أنت عليه من
عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب

شعر [illegible]
وأنديه [illegible] بها النزول والنصال
[illegible]

ما يكون العبد من ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ
المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة
القدر وما أدريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر عظم القرآن من ثلثة أوجه أحدها أن
أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة
والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه روي أنه أنزل جملة واحدة
في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبرئيل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله
نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فأكثرهم
على أنها في شهر رمضان في العشر الأخير في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها
أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند
إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من
قوله فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على الليالي وما أدريك ما ليلة القدر يعني
ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء
فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل
أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي
وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا
عابدين من أولئك العباد تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر
تنزلهم إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبرئيل عليه السلام وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة
من كل أمر أي من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان قيل لا يلقون
مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة و
الخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع الفجر بفتح
اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا
ليلة القدر سورة البينة مكية وهي ثمان آيات وقيل مدنية بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن
الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة
فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة كان الكفار من الفريقين أهل
الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي عليه السلام لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث
النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا

يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم
الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن
يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق
حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما وانفكاك الشيء من الشيء
أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة والبينة
الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حال من البينة ويجوز أن يراد بالبينة القرآن أولم
تأتيهم بينة ما في الصحف الأولى ورسول الله جبرئيل عليه السلام يتلو ما في الصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت
في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف في الوحي ويجوز أن يراد النبي عليه السلام فإن قلت كيف نسب تلاوة الصحف
المطهرة إليه وهو أمي قلت إذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات
قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من
آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد
أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب قلت لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا
بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه وما أمروا يعني في التورية والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة أي دين
الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فإن قلت ما وجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا
الله قلت معناه وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا بمعنى
بأن يعبدوا قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل
وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان
يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها
بأن ربك أوحى لها زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا
في المضاعف فإن قلت ما معنى زلزالها بالإضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله
وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستوجبانه
من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم

جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها وقال الإنسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها
وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون
من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون **فإن قلت** ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها **قلت** هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام
التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن هذا ما كانت
الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها **فإن قلت** إذا ويومئذ ما ناصبهما **قلت** يومئذ بدل من
إذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث **فإن قلت** أين مفعولا تحدث **قلت** قد حذف أولهما
والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها **فإن قلت** بم تعلقت الباء في قوله بأن ربك **قلت** بتحدث معناه
تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك
أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في
الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول
حدثته كذا وحدثته بكذا وأوحى لها بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال أوحى لها
القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف **يومئذ يصدر**
الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يصدرون
عن مخارجهم من القبور إلى الموقف أشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا
يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء أعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرأ ابن عباس
وزيد بن علي رضي الله عنهم يره بالضم ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال خذا بطن هرشى
أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء
فإن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من
الخير والشر **قلت** المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق
الأشقياء لأنه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت أربع
مرات كان كمن قرأ القرآن كله **سورة والعاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم**
والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أقسم بخيل الغزاة
تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة العبسي
والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات
لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها

إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم

قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد
وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فأثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت
غبارا فوسطن بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الأعداء ووسطه
بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من
قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد **شعر** فمتى ينقع صراخ صادق أي فهيجن في المغار عليهم صياحا
وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثورن إلى
وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهي مبالغة في
وسطن وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب
إلى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس
بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد
والعاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل
كما استعير المشافر والحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون إلا
للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها في السير وليس
بثبت وجمعا هو المزدلفة **فإن قلت** علام عطف فأثرن **قلت** على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه
لأن المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن **إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه**
لحب الخير لشديد أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير
الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي
وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن تفريطه
في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه ثم إن عظماهما في
جنب نعمة الله قليلة ضئيلة وإنه وإن الإنسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده
لظهور أمره وقيل وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد الخير المال من قوله تعالى إن ترك خيرا والشديد البخيل
الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة **شعر** أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد
يعني وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وإنه لحب المال وإيثار الدنيا
وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان
مطيقا له ضابطا أو أراد إنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث
وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره
ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبرته بهم وقرأ أبو السمال

ازدادتهم بهم من شدة حبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا **سورة القارعة مكية وهي ثماني آيات بسم الله الرحمن الرحيم**
القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال
كالعهن المنفوش الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش
في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير
شعر ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل
واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه
لتفرق اجزائها وقرأ ابن مسعود رضي كالصوف **فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت**
موازينه فامه هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر
عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها وفيه حديث ابي بكر رضي عمر رضي في وصيته له وانما ثقلت موازين
من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل
وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات
ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت
امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه
فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها
سبعين خريفا اي فمأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه
هاوية فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية
في التفسير الثاني او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القاري حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها
الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة
ثقل الله ميزانه يوم القيمة **سورة التكاثر ثمان آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر**
حتى زرتم المقابر الهاه عن كذا والهاه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء
نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت
بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهيكم التكاثر بالاحياء
حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما
بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك
وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد
الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك

عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة
عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذات الضماد او يزور القبرا وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أألهاكم على الاستفهام
الذي معناه التقرير **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم**
لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون
الدنيا جميع همه ولا يهتم لدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم
وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف
تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر
التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من
الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما
انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح التي قبلها من تفخيم وتعظيم وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد
الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ
لترون بالهمز وهي مستكرهة **فان قلت** لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد **قلت** ذاك في الواو التي
ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اي
الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي
شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه **فان قلت** ما النعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد
الا وله نعيم **قلت** هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع
اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها
الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا
طعاما وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه
في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية **سورة العصر مكية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم**
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام
من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان
لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر والكفران والمعنى ان الناس في خسران
من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا على خلاف تجارتهم

موقعا في الخسارة والسعادة لحق وتواصوا بالحق الثابت الذي لا يصح إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله
وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق
وتواصى بالصبر **سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة
لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده** الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه
طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد
ضري بهما ونحوهما اللعنة والضحكة قال زياد إن أغيب فأنت الهامز اللمزة تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا اللمزة الهمزة
وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه و
يشتم وقيل نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن
المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول
كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه الذي بدل من
كل أو نصب على الذم وقرئ جمّع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ
وعدده أي جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد
وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدّه على فك الإدغام نحو ضننوا
بمعنى ضنوا أخلده معنى أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته و
طول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس
الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه
في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن
الحسن أنه عاد موسرا فقال ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة
الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك
**كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم
مؤصدة في عمد ممددة** كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان أي هو وماله ولينبذن بضم الذال أي هو
وأنصاره ولينبذنه أي المال في الحطمة في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الأكول
إنه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط
القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا اطلعت عليه
نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى
اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها مؤصدة

مطبقة قيل ... الحبال لكونها فيها ... ومنه أوصدت الباب أغلقته مؤصدة وقرئ في عُمُد بضمتين وعَمْد بسكون الميم
في عمد ممددة للتقييد والمبالغة يعني أنهم ... من الخروج وتحقيق يأسهم من الإخراج فيوصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب
العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر
فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله
عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه **سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم
ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة
من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء
وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج إلى الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا
عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان الفيل وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب
وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم
يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر
حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم
هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم
من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع
صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع
عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها الذي كان في زمن رسول الله
بأربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين
يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا
سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال
سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود
أخذ لك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول لاهم إن المرء يمنع
رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك **شعر**
يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله إنها
لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم
الجور وكان سبب يساره وعن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم
وعن عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم والمعنى كم تر

آثار فعل الله بالحبشة فهي عجيبة الاعجوبة متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع النصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرا ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما انث على المعنى وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورد بقول ابن مقبل **مصراع** ضربا تواصت به الابطال سجيلا لمكان سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه مثلهم بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

لايلاف قريش يتعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين **فان قلت** فلم دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس من غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال **شعر** من المؤلفات الرمل ادماء حرة وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال **شعر**

زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سأل ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بالاطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين

قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه قول القائل صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يتركه ويجفوه ولا يحض اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين **فويل للمصلين الذين هم يراءون ويمنعون الماعون** ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة

ازانره معلوم شاهره

من الترك وضع الكلمة التي هي حقيقة الصلاة ومعظم اركان الاسلام علما على ان المكذبين بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم **فان قلت** كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد **قلت** معناه الجمع لان المراد به الجنس **فان قلت** اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم **قلت** معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون **فان قلت** ما معنى المراءاة **قلت** هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكاة قال الراعي **شعر** قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاوره في العادة الناس الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال **شعر**

وانت كثير يا ابن مروان طيب ❊ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ❊ وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي عليه السلام انه قرأها حين

ابن العقائل الخ ... وكثير من الرجال الكريم والعطاء والسيد ط

انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجه الله وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له الابتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته **فان قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت **فان قلت** فلم جاء على ما دون من **قلت** لان المراد

اي لو سال الله لاعطاه ... واقسام الاسعاف ط

الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة
فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الكافرون فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع
الاكبر سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح و
رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من
اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى
عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى
نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الكفر
عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار
وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله وقد كان الله تعالى
امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله في ملة
الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا
وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة رضي لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية
وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما
اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون
في الاسلام افواجا من غير قتال وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول
فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على
انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له
اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره
مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب
الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها انه كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم

وبحمدك

وبحمدك استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل الامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين
الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع
وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة و
روي انه لما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس رضي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل
ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انه
لما نزلت خطب رسول الله فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه
فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهم كان يدنيه ويأذن له
مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس
فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال
بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر رضي
ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعدما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة
رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم
اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا جاء
نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة والسلم سورة تبت مكية وهي خمس آيات
بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة
من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب
وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل
كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب
روي انه لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال
يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والكنية تكرمة قلت فيه ثلثة اوجه احدها
ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم
على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة
من قرا يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع
ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالضم والثاني انه كان اسمه عبد العزى

فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا
بان يذكر بها ويقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله ابا المهلب ابا صفرة بصفرة
في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ
ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى
نارا ذات لهب ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة
او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او
ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه
او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا
فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل
الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان
يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا
ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته حمالة الحطب في جيدها
حبل من مسد وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل
الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي
بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى
اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب
بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل
وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال
فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في
جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا
لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت
العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة
الحطب فقال شعر ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ۞ ام ما تعير من حمالة الحطب ۞ غراء شادخة في المجد غرتها
كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ۞ ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها
حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها

حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية
وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد هو ضمير الشان والله احد
الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت
الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت
حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي
هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني
وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله
احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن
وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا
والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد
المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم
وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة
فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث
وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من
الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة
لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة
والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف
بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني
وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يلد
وصف بالقدم والاولية وقوله لم يولد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك و
بت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه
على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح الكلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات
الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقدم
واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة

عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لأمر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات
الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم
هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على
كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من
خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك و
توحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي
صلى الله عليه وسلم أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون
دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

الفلق والفرق الصبح
لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم
سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب
عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما
اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه
من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال
بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون
من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله
غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر
كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت
العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس
اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ
وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من
شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من
الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر
والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر

والعيش

اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في
خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم اذا كان ثم اطعام شيء ضار او
اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان
الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون
بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة
اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من ما يصيب الله
من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر
والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اذا
اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده
بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من
حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما
خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص
شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي
يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل
نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد
لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنتين وقال ابو تمام شعر
وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

وقرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام و
نحوه فخذ اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر
الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم
ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم وولي امرهم فان قلت ملك الناس
اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم
زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد
يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه
الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس

الرعاع الاعراب صح

اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي كأنه
وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي
ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي
عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في
محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ
الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني
وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين
الانس ويجوز ان يكون متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة
الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس على ان اسم الناس ينطلق على الجنة و
استدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا
لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك
وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله
يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان
الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان
قال جار الله وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة
من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعقب في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم
وانا اذ خشوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنور وجهه
الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من مهاجرتي الى البيت ومجاورتي
وما انطوى عليه من مصابرتي على تواكل من العربي وتخاذل من الحظوظ ثم اسأله ان يجيرني الصراط المستقيم وقرانه
المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقائقه الملخص عن مضايقه المطلع
على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص لنكته واللطائف لطائفه المستخرج عن فقره وخبايا علمه المكتنز الفوائد
المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول
تجنب المستكره المملول ولم يكن في مقدرته الا ابراد كل شيء على قانونه تكفي منا لم تجدها محققة
مجوهرة بجواهر العلوم وعلمها غامضة البحار وبما شرفني به وحذفني واحتشى بكرامته وتوحدني في موارد
على يدي في مبسط بشارته ومنزل آياته ومهبط وحيه من البلد الامين بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت
المحرم حتى وقع التأويل حيث وجد التنزيل ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويجاوز عن

السر مخاطلا لا مقبض

فرطاتي

فرطاتي يوم التناد ولا يمتحني بها على رؤس الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله
ومتابع نواله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم قال المصنف رحمة الله عليه في آخر نسخته
وهذه النسخة منتسخة من نسخة الاصل الاولى نقلت من السواد وهي ام الكتاب الحرمية المبارك
المتيمن بها المحترمة بان يستنزل بها بركات السما ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها بيد المصنف
تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم
الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسمائة
وهو حامد لله على ما يسر من تمامه ومصل على محمد عبده
ورسوله وعلى آله واصحابه
اجمعين

يا ناظرا فيه سل بالله مرحمة على المصنف واستغفر لصاحبه واطلب لنفسك من خير تريد به من بعد ذلك غفرانا لكاتبه
ستبقى خطوطي في الدفاتر برهة
وانملتي تحت التراب رميم

م م م
م

كتابخانه مجلس شوراى ملى
١٣٠٢

تقديم سلطان القراء
١٣٤٥